

المكتبة المطبوعة

مُزَوَّرُ (الزُهَبِ) وَمَعَاذُنِ الْجَوْهَرِ

صيف الزمان الكبير والذو الجليل (الغدير) بن الحسين بن علي السعدي
الوفد في عام ١٢١٦ من الهجرة

رابع أسره ، ورثه ، سببه ، وعلق عليه

محمد محي الدين عبد الحميد

الجزء الثاني

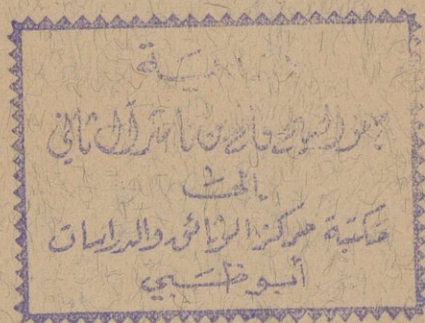
جميع مطبوعات المطبع

والكتاب

مكتبة الفروع (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب)

الكتاب (الكتاب)

المكتبة المطبوعة



ذكر اليمن وملوكها ومقدار سنيها

أول من يعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه
 عبد شمس ، وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة
 سمى سبأ على ما قيل ، والله أعلم ، وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة
 ثم ملك بعده ولده حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، وكان أشجع الناس
 في وقته ، وأفرسهم ، وأكثرهم جمالا ، وكان ملكه خمسين سنة ، وقيل أكثر
 من ذلك ، وقيل أقل ، وكان يعرف بالمتوج ، وكان أول من وضع على رأسه
 تاج الذهب من ملوك اليمن

ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ ؛ فطال عمره ، وكبر سنه ، واستقامت له
 الأمور ، وكان ملكه ثلاثمائة سنة ، وقيل غير ذلك
 ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان إلى ولد حمير لأخبار يطول ذكرها ،
 وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان

ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبأ ، واتصل ملكه ، وغمر الناس عدله ، عمرو بن سبأ
 وشملهم إحسانه ، وكان ملكه ثلاثمائة سنة

وقيل : إن أول من ملك بعد كهلان الرأش ، وهو الحرث بن ذى سدد

ثم ملك جبار بن غالب بن إفريقس بن صيفي بن يشجب بن سبأ ، وكان
 أبرهة ذو المنار جبار بن غالب
 ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة ، وقيل : إن هذا الملك هو أبرهة بن الرأش
 المعروف بذى المنار

ثم ملك بعده الرأش بن شداد بن ملظاظ ، وكان ملكه مائة وخمسا
 وعشرين سنة
 بقية ملوك
 اليمن

ثم ملك بعده أبرهة بن الرأش ، وهو ذو منار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة

ذو الأذعار ثم ملك بعده أخوه المعبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وقد تنوزع في مقدار ملكه : فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ، ومنهم من ذكر سبعا ، ومنهم من قال ستا

تبع الأول ثم ملك تبع الأول ، وكان ملكه أربعمائة سنة ، وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلتها ، وقيل غير ذلك ، والأشهر ما قدمنا

بلقيس وسليمان ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد ، وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته الرواة فيما روى أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء ، فأمر بقتل السوداء منهما ، وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن ، وأن الشيخ زوجه بابتنته ، واشترط عليه شروطا ، فعلمت منه بلقيس ، ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها ، فغابت عنه ، في خبر ظريف ، وهو موجود في كتب التبابعة ، وإنما نحكى هذه الأخبار على حسب ما وجدناه في كتب الأخباريين وعلى حسب ما توجه الشريعة والتسليم لها ، وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم لأنهم ينكرون هذا ويمنعونه ، وإنما نحكى في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسامحين للحق ، وأخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل ، وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وإعجاز الخليقة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة ، وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه ، وما اقتص من خبر الهدهد ، وما اقتص من أمرها ، فلما سليمان اليمن ثلاثا وعشرين سنة

ثم عاد بعد ذلك الملك إلى حمير فلما حكم ناسر النعم بن عمرو بن يعفر ، وكان ناسر النعم ملكه خمسا وثلاثين سنة

ثم ملك بعده كليكرب بن تبع^(١) ، وكان ملكه ثلثمائة سنة وعشرين سنة ، كليكرب وسكن قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان

ثم ملك بعده حسان بن تبع ، فاستقام له الأمر ، ثم وقع بعد ذلك في حسان بن تبع ملكه تنازع وخلاف ، وكان ملكه إلى أن قتل خمسا وعشرين سنة

ثم ملك بعده عمرو بن تبع ، وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضي ، عمرو بن تبع وكان ملكه أربعين سنة ، ويقال : إنه عدم النوم ؛ لما كان من فعله في قتل أخيه

ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب ، وهو الملك السائر من اليمن إلى تبع بن حسان الحجاز ، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب ، وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود ، فكساها القصب اليابس ، وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية ، ورجعوا عن عبادة الأصنام ، وكان ملكه نحو مائة سنة

ثم ملك عمرو بن تبع بعد تفرق وتنازع كان بينهم في الملك ، ثم خلع عن الملك وملسكو عليهم مرثد بن كلال ، وكان في اليمن تنازع وحروب ، وكان ملكه أربعين سنة

ثم ملك بعده وكيع بن مرثد ، وكان ملكه تسعا وثلاثين سنة

ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح بن وكيع بن مرثد ، وهو الذي يدعى أبرهة بن الصباح شبيهة الحمد ، وكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة ، وقيل أقل من ذلك ، وكان علامة وله سير مدونة

(١) كليكرب هو ابن زيد ، وزيد هو تبع الأول ، وزيد : ابن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي النار ، أما حسان الآتي فهو ابن تبع الآخر ، واسم تبع الآخر ثبان أسعد ، وكنيته أبو كرب . وثبان بزنة غراب أو رمان

ذو شناتر

ثم ملك بعده عمرو بن ذى قيعان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة
ثم ملك بعده ذو شناتر ، ولم يكن من أهل بيت الملك ، فغرى بالأحداث
من أبناء الملوك ، وطالبهم بما يطالب به النسوان ، وأظهر الفسق باليمن والمواطن
وعدل مع ذلك فى الرعية ، وأنصف المظلوم ، وكان ملكه ثلاثين سنة ، وقيل :
تسعا وعشرين سنة ، وقتله يوسف ذونواس ، وكان من أبناء الملوك ؛ خوفا على
نفسه ، وأنفة أن يفسق به

يوسف
ذونواس
وأصحاب
الأخدود

ثم ملك بعده يوسف ذونواس بن زرعة بن تبع الأصغر بن حسان بن
كلي كرب ، وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا ، وما كان من أمره
مع أصحاب الأخدود ، وتحريقه إياهم بالنار ، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى
كتابه فقال : (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) وإليه عبرت الحبشة
من بلاد ناصع والزليع ، وهو ساحل الحبشة على حسب ما ذكرنا ، إلى بلاد
زبيد من أرض اليمن ، ففرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار ؛
وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة ، وقيل أقل من ذلك ، وذلك أن النجاشى
ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس بأتباع المسيح عليه السلام وما يعذبهم به من
أنواع العذاب والتحرير بالنار بعث إليه الحبشة وعليهم أرباط بن أصحمة ، فملك
اليمن عشرين سنة ، ثم وثب عليه أبرهة الأشرم بن يكسوم فقتله ، وملك اليمن ،
فلما بلغ ذلك من فعله إلى النجاشى غضب عليه ، وحلف بالمسيح أن يحجز ناصيته
ويريق دمه ، ويطأ ثرْبته - يعنى أرض اليمن - فبلغ ذلك أبرهة ، فجز ناصيته
وجعلها فى حُقٍّ من العاج ، وجعل دمه فى قارورة ، وجعل من تراب اليمن فى
جراب ، وأنفذ ذلك إلى النجاشى ملك الحبشة ، وضم إلى ذلك هدايا كثيرة
وأطافا ، وكتب إليه يعترف بالعبودية ، ويخلف له بدين النصرانية أنه فى طاعته
وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يحجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه ، وقد
أنفذت إلى الملك ناصيتى فليجزها بيده ، وبدمى فى قارورة فلهرقه ، وبجرب

من تربة بلادى فليطأه بقدميه ، وليطفيء الملك عنى غضبه ، فقد أبررت يمينه ،
وهو على سرير ملكه ، فلما وصل ذلك إلى النجاشى استصوب رأيه ، واستحسن
عقله ، وصفح عنه

وأبرهة بن يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل لإخرا ب الكعبة ، وذلك
لأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان ، فعدل إلى الطائف ، فبعثت
أبورغال معه ثقيف بأبى رغال ليدله على الطريق السهل إلى مكة ، فهلك أبورغال فى
الطريق بموضع يقال له الغمس بين الطائف ومكة ، فرُجم قبره بعد ذلك ، وفى
ذلك يقول جرير بن الخطفي فى الفرزدق :-

إذا مات الفرزدق فارجعوه كما ترْمُونَ قبر أبى رغال

قال المسعودى رحمه الله : وقيل : إن أبارغال وَجَّهَهُ صالح النبى صلى الله
عليه وسلم على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه
ثقيف - وهو قسى بن منبه - فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته فى أهل الحرم ، فقال
غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبى رغال : نحن قسى وقسى أبونا ،
وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت التقي :-

نقوا عن أرضهم عدنانَ طُرًّا وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبارغال بمكة إذ يسوق بها الوضينا

وفى ذلك يقول عمرو بن دراك العبدى :-

ترانى إن قطعت حبال قيس وخالفت المرور على تميم
لأعظم من فخار أبى رغال وأجور فى الحكومة من سدوم
وقال مسكين الدارمى :-

وأرجم قبره فى كل عام كَرَجَمِ الناس قبر أبى رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان
من أمرهم فى ذلك .

قال : وفي طريق العراق إلى مكة - وذلك بين الثعلبية والهند نحو النظامية -

قبر العبادي

موضع يعرف بقبر العبادي ، ترجمه المارة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال ،
وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب « أخبار الزمان » وفي كتاب
« حداثق الأذهان » وفي أخبار أهل البيت رضى الله عنهم .

فكان ملك أبرهة على اليمن إلى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت
أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الأبابيل ثلاثاً وأربعين سنة .
وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من الحرم
سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ
العرب الذي أوله حجة العدد .

وسند ذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملاً من تاريخ
العالم ، وتاريخ الأنبياء والملوك ؛ في باب نقرده لذلك ، إن شاء الله تعالى .
ثم ملك اليمن بعد أبرهة الأشرم ولده يكسوم ؛ فعم أذاه سائر اليمن ، وكان
ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

يكسوم
ابن أبرهة

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ؛ فاشتدت وطأته على اليمن ، وعم أذاه سائر
الناس ، وزاد على أبيه وأخيه في الأذى ، وكانت أمه من آل ذى يزن ، وكان
سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ، ومضى إلى قيصر يستنجده ، فأقام ببابه
سبع سنين ، وأبى أن ينجده ، وقال : أنتم يهود ، والحبشة نصارى ، وليس
في الديانة أن ينصر الخالف على الموافق ، فضى إلى كسرى أنوشروان ، فاستنجده
ومت إليه بالقرابة ، وسأله النصرة ، فقال له كسرى : وما هذه القرابة التي أدليت
بها إلى ؟ فقال : أيها الملك الجبلة وهى الجلدة البيضاء ، إذ كنت أقرب إليك
منهم ؛ فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان ، وشغل بحرب الروم وغيرها من
الأمم ، ومات سيف بن ذى يزن ، فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب
الملك ، فلما سأل عن حاله ، قال : لى قبل الملك ميراث ، فوقف بين يدي

مسروق
ابن أبرهة

أنوشروان ، فسأله عن ميراثه ، فقال : أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهَرَزَ اصْبَهَنَدَ الديلمى فى أهل السجون ، فقال : إن فتحوا فلنا ، وإن هلكوا فلنا ، وكلا الوجهين فتح ، فحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم ، حتى أتوا أبله البصرة - وهى برج البحر ، ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة ، وهذه مدن إسلامية - فركبوا فى سفن البحر ، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مَثُوب ، فخرجوا من السفن ، وقد كان أصيب بعضهم فى البحر ، فأمرهم وهَرَزُ أن يحرقوا السفن ليعلموا أنه الموت ، ولا وجه يؤمّلون المفر إليه فيجهدون أنفسهم ، وفى ذلك يقول رجل من حضرموت :

أصبح من مَثُوبَ ألف فى الجنن من رهط ساسان ورهط مهرسن^(١)
ليخرجوا السودان من أرض اليمن دَلْهُمْ قَصْدَ السبيل ذو وزن

فى شعر له طويل ، ونما خبرهم إلى ملك اليمن مسروق بن أبرهة ؛ فأتاهم فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس ، وتضاف القوم ، وكان مسروق على فيل عظيم ، فقال وهَرَزُ لمن كان معه من الفرس : اصدقوهم الخبر ، واستشعروا الصبر ، ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ، ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ، ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لأصحاب السفن ، فقال وهَرَزُ : ذهب ملكه ، وتنقل من كبير إلى صغير ، وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بمعلق من الذهب يصىء كالنار ، فرمى وهَرَزُ ، ورمى القوم ، وقال وهَرَزُ لأصحابه : قد رميت ابن الحمار ، فانظروا إن كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك ، فانظروا إليهم يجتمعون ويتفرقون عنه ، فأخبروه بذلك ، فقال : احمالوا على القوم واددوهم ، فانكشفت الحبشة وأخذهم السيف ، ورفع رأس مسروق ورءوس خواص الحبشة ورؤوسائهم ، فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا ، وقد كان أنوشروان اشترط على معديكرب شروطا : منها أن الفرس تزوج باليمن

(١) مَثُوب - بفتح الميم وسكون الثاء وفتح الواو - بلد باليمن ، قاله ياقوت

ولا تتزوج اليمن منها ، وفي ذلك يقول الشاعر : —

على أن ينكحوا النسوان منهم وأن لا ينكحوا في الفارسينا
فتزوج وهرز معديكرب بتاج كان معه وقفازات من الفضة ألبسه إياها ،
ورثته في ملكه على اليمن ، وكتب إلى أنوشروان بالفتح ، وخلف هناك جماعة
من أصحابه

معديكرب
يملك اليمن

وكان جميع ممالك الأحابش اثنتين وسبعين سنة ، وكان ملك مسروق
ابن أبرهة إلى أن قتل ثلاث سنين ، وذلك لحسن وأربعين خلت من ملك أنوشروان
وأنت معدي كرب الوفود من العرب تهنئه بالملك ، فأتاه عبد المطلب وجدُّ
أمية بن أبي الصلت ، وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذى يزن في
هذا الكتاب فيما بعد ، وما قيل من الشعر ، وفي مسير الفرس إلى اليمن ونصرتهم
على الحبشة يقول بعض أولاد فارس : —

وفود
العرب تهنيء
معديكرب

نَحْنُ خُضُنَا الْبَحَارَ حَتَّى فَكَّكْنَا حَمِيرًا مِنْ بَلِيَّةِ السُّودَانِ
بُلْيُوثٍ مِنْ آلِ سَاسَانَ شُؤْسٍ يَمْنَعُونَ الْحَرِيمَ بِالْمُرَّانِ
وَبَيْضِ بَوَاتِرٍ تَتَلَالَا كَسْنَا الْبَرْقَ فِي ذُرَى الْأَبْدَانِ
فَقَتَلْنَا مَسْرُوقَ إِذْ تَاهَ لَمَّا أَنْ تَدَاعَتْ قَبَائِلُ الْحَبْشَانِ
وَفَلَقْنَا يَاقُوتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بِنَشَابَةِ الْفَتَى السَّاسَانِي
وَهَرَزَ الدِّيلَمِيَّ لَمَّا رَأَاهُ رَابِطَ الْجَأَشِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
وَحَوَيْنَا بِلَادَ قَحْطَانَ قَسْرًا ثُمَّ سَرْنَا إِلَى ذُرَى غَمْدَانَ
فَنَعَمْنَا فِيهِ بِكُلِّ سُرُورٍ وَمَنْنَا عَلَى بَنِي قَحْطَانَ
وفي ذلك يقول البحترى يمدح أبناء العجم ، ويدكر فضل الفرس على
أسلافه ؛ لأنه من قحطان :

فكم لكم من يد يزكو الثناء بها ونعمة ذكرها باقٍ على الزمن
إن تفعلوها فليست بكر أنعمكم ولا يد كأيديكم على اليمن

أيام جَلَى أنوشروان جدم
إذ لا تزال خيول الفرس دافعةً
غيابة الذل عن سيف بن ذى يزن
بالضرب والطعن عن صنعا وعن عدن
أتم بنو النعم المجدى ونحن بنو
من فاز منكم بفضل الطول والمنن

قال المسعودى : وأتت معديكرب الوفود من العرب تهنيه بعود الملك إليه ،
وأشراف العرب وزعمائها ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وخويلد
ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وجد أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وقيل
أبو الصلت أبوه ، فدخلوا إليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بمعدان ،
وهو مضمخٌ بالعنبر ، وسواد المسك يلوح على مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى
يمينه ويساره الملوك وأبناء المقاول

فتكلمت الخطباء ، ونطقت الزعماء ، وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم
فقال عبد المطلب : إن الله جل جلاله قد أحلك — أيها الملك — محلا رفيعا صعبا
منيعا شامخا باذخا ، وأنبئتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله ،
وَبَسَقَ فرعه في أكرم معدن ، وأطيب موضع وموطن ، فأنت — أبيت اللعن —
رأس العرب وتبعتها الذئب يخطب له ، وأنت — أيها الملك — ذروة العرب
الذئب له تنقاد ، وعمودها الذئب عليه العماد ، ومعقلها الذئب تلتجئ إليه العباد ،
سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يحمد ذكر من أنت سلفه ،
ولن يهلك من أنت خلفه ؛ أيها الملك ، نحن أهل الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا
إليك الذئب أبهجنا من كشف الكرب فرحا ، ونحن وفداً تهنئة لا وفد المرزئة ،^(١)
فقال له الملك : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
فقال الملك معدي كرب بن سيف : ابن أختنا ؟ قال : نعم ، قال : أدنوه مني ؛
فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى الوفد ، فقال لهم : مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ،
ومستنخا سهلا ، وملكا مرتجلا ، يعطى عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقاتلكم ،

(١) الذي في الأصول كلها « الرزية » وما أثبتناه هو المحفوظ المعروف

وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما أقمتم ،
والحِباء إذا ظعنتم

أبو زمعة
الثقفي بين يدي
معد يكرب

ثم قام أبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي ، فأنشأ يقول (١) :-

ليطلب الوتر أمثالُ ابن ذى يزن في لجة البحر أجوالاً وأحوالاً
حتى أتى بيني الأحرار يحملهم تخالمهم في سواد الليل أجوالاً
لله درهمٌ من عصبَةٍ خرجوا ما إن رأيت لهم في الناس أمثالاً
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أمسى شريدهم في الأرض فُلالاً
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقفاً في رأس عُمدانَ داراً منك محلالاً
ثم اطلُ بالمسك إذ شالت نعماتهم وأسبل اليوم في بُردَيْكَ إسبالاً
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعاداً بعد أبوالاً

ولمعد يكرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن
أخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره ، بشرَّ به عبد المطلب ،
وأخبره عن أحواله ، وما يكون من أمره ، وحباً جميع الوفد ، وانصرفوا ، وقد أتينا
على ما كان من أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » فأغنى عن إعادته ووصفه
قال المسعودي : وأقام معد يكرب بن سيف بن ذى يزن ملكاً على اليمن ،

مقتل
معد يكرب

واصطنع عبيداً من الحبشة حراة يمشون بين يديه بالحراة ، فركب في بعض
الأيام من باب قصره المعروف بعُمدان بمدينة صنعاء ، فلما صار إلى رحبتها عطفت
عليه الحراة من الحبشة ، فقتلوه بجراهم ، وكان ملكه أربع سنين ، وهو آخر
ملوك اليمن من قحطان ، فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً ملكوا ثلاثة
آلاف سنة ومائة وتسعين سنة

رواية أخرى
في ملوك اليمن

قال المسعودي : وأما عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية ، وسأله

(١) في بعض هذه الأبيات اختلاف في الرواية ، ولم نشأ أن نغيره ، فانظر (سيرة
ابن هشام ج ١ ص ٦٩ و ٧٠) فهي موجودة فيها مع زيادة

عن أخبار اليمن وملوكها ، وتواريخ سنيها ، فانه ذكر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ملك مائة سنة وأربعمائة وثمانين سنة

ثم ملك بعده الحرث بن شداد بن ملظاظ بن عمرو ، مائة وخمسة وعشرين سنة

ثم ملك بعده أبرهة بن الرأش ، وهو أبرهة ذو المنار ، مائة وثلاثاً وثلاثين سنة

ثم ملك بعد إفريقس بن أبرهة ، مائة وأربعمائة وستين سنة
ثم ملك بعده أخوه الهداد بن شرحبيل بن عمرو ، وهو ذو الصرح ، سنة
ثم ملك بعده بلقيس بنت الهداد ، سبع سنين
ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ، ثلاثاً وعشرين سنة ، على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس

ثم ملك بعده رحبعم بن سليمان ، سنة
ثم رجع الملك إلى حمير ؛ فملك من بعد رحبعم بن سليمان ناسر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الأذعار ، خمساً وثلاثين سنة ، وقد قيل في تسميته ذا الأذعار خبر تأباه العقول ، وتنكر النفوس كون مثله في العالم ، ويجوز كون ذلك في المقدور ، وأنه إنما سمي ذا الأذعار لأنه وصل إلى قوم في أقاصى مفاوز اليمن وحضرموت مشوهى الخلقة عجيبى الصورة وجوههم في صدورهم ، فلما رأى أهل اليمن ذلك أذعرهم ما شاهدوا من ذلك ، وجزعت منه نفوسهم ، فسمى ذا الأذعار ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بكيفيته

ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن إفريقس ، ثلاثاً وخمسين سنة
ثم ملك بعده من ولده كليكرب بن تبع ، وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب ، أربعمائة وثمانين سنة

ثم ملك بعده كلال بن سويب ، أربعمائة وسبعين سنة

ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع
 ثم ملك بعده مرثد ، سبعا وثلاثين سنة
 ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح ، ثلاثا وسبعين سنة
 ثم ملك بعده ذو شناتر بن زرعة ، ويقال : يوسف ، ويقال : بل اسمه
 عريب بن قطن ، تسعا وثمانين سنة

ثم ملك بعده حنيقة ، ويعرف بنى الشناتر ، أربعا وثمانين سنة
 فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة ، وإنما ذكرنا ما حكيناه عن
 عبيد بن شرية في ترتيب ملوكهم ، وتباين تواريخ سنينهم ؛ لنأتى على جميع
 ما قيل في ذلك من التنازع ، والله ولى التوفيق

ولما قتلت الحبشة معد يكر ب بن سيف بن ذى يزن - على حسب ما قدمنا -
 في الرحبة بحراهم كان بصنعاء خليفة لوهز في جماعة من العجم ، ممن كان
 ضمهم وهز إلى معد يكر ب ؛ فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة ، وضبط
 البلد ، وكتب بذلك إلى وهز وهو بباب أنوشروان الملك ، وذلك بالمدائن من
 أرض فارس ، فأعلم وهز بذلك الملك ، فسيره في البر في أربعة آلاف من
 الأساورة ، وأمره باصلاح اليمن ، وأن لا يبقى على أحد من بقايا الحبشة ، ولا على
 جعد قطط قد شرك السودان في نسبه ، فأتى وهز اليمن ، ونزل صنعاء ، فلم
 يترك بها أحدا من السودان ولا من أنسابهم ، وملك أنوشروان وهز على اليمن
 إلى أن هلك بصنعاء ، ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ، ثم ملك
 بعده حوراد الشهر ، ثم ملك بعده ابن سيحان ، ثم ملك بعده المرزبان حرسوا
 وكان من أهل بيت مملكة فارس ، ثم ملك بعده حرس ، وكان مولده باليمن
 ثم ملك بعده باذان بن ساسان

ملوك اليمن
من الفرس

قال المسعودى : فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس ،
 وقد ملك اليمن رجل من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو يعد من ملوك

ملوك اليمن من
أبناء إبراهيم
الخليل

اليمن ، واسمه هينية بن أميم بن بدل بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال : —

وهينية الذي زادت قواه على زيدان إذ حال الزوال
تمكن قائماً وبنى طريقاً إلى زيدان أعيط لا ينال

ويقال : إنه منتبه بن أميم بن بدل بن لسان بن إبراهيم الخليل

وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار ، مثل آل ذي شحر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن ، إلا اليسير منهم فأنهم نزلوا غيرها ، وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود

يوم شيدت ظفار قيل : لمن أذنت ؟ فقالت : لحير الأخيار

ثم سيلت من بعد ذاك ، فقالت : إن ملكي للأحباش الأشرار

ثم سيلت من بعد ذاك ، فقالت : إن ملكي لفارس التجار

وقليلاً ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار

من أسود يلقبهم البحر فيها تشعل النار في أعلى الديار

وهذا خبر عن ملوك تداولوها أخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ما وصفنا ، وينتظر في المستقبل من الزمان ما ذكرنا من وقود النيران في أعلى الديار ، وعند أهل اليمن أن ديارهم سيغلب عليها الأحباش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن وأحداث ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ، ثم غلب الإسلام فظفر بحمد الله .

وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك ، وسيرهم ، ومطافئهم في البلاد ، وحروبهم ، وأبنتهم في سائر مطافئهم ؛ في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب .

وبلد اليمن طويل عريض : حده مما يلي مكة الموضع المعروف بلجة الملك سبع مراحل إلى صنعاء ، ومن صنعاء إلى عمان — وهو آخر عمل اليمن — تسع مراحل

والمرحلة من خمسة فراسخ إلى ستة ، والحد الثاني من حكم ورحاء إلى ما بين مفاوز
حضر موت وعمان عشرون مرحلة ، وإلى الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه
أنه بحر القازم والصين والهند ، فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة
وأسماء ملوك اليمن كذى يَزَن وذى نُوَاس وذى منار وغير ذلك مضافة إلى مواضع
وإلى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم ، وتبين
كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم .

وإذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة
من بنى نصر وغيرهم ؛ للحوقهم باليمن ، ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من
الملوك ، إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم

ولما ملك جذيمة الوضاح أتت عليه الزبّاء بنت عمرو بن ظرب بن حسان
ابن أذينة بن السميدع بن هوبر ، وقد كان ملك من مشارق الشام إلى الفرات
من قبل الروم ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمصيرة ، بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا
وقد كانت الزبّاء تملك بعد أبيها ، وأطعت جذيمة في نفسها إلى أن قتلتها ،
وأقام جذيمة ملكاً في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملك
أردشير بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة ، فكان ملكه
مائة سنة وثمان عشرة سنة ، وكان يكنى بأبي مالك ، وفيه يقول بعض شعراء
الجاهلية ، وهو سويد بن كاهل اليشكري :

جذيمة الوضاح
صاحب الزبّاء

إِنْ أَذَقْ حَتْفَى قَبْلِي ذَاقَهُ طَسَمَ عَادَ وَجَدِيسَ ذُو السَّبْعِ

وَأَبُو مَالِكِ الْقَيْلِ الَّذِي قَتَلْتَهُ بِنْتُ عَمْرٍو بِالْخُدَعِ

وكان الملك قبل جذيمة أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، والله أعلم ، وكان
يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الأزد بن العوف بن مالك بن زيد بن كهلان

ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فصار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا .

ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة بن نخم ، وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملكه ، وإليه تنسب ملوك النصرية ، وهم ملوك الحيرة ، فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة .

قال المسعودي : وقد ذكر غير واحد ممن عني بأخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاة ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي ، وأنه قال ذات يوم لندمائته : لقد ذكر لي عن غلام من إياد له ظرف وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كأسي والقيام على رأسي لكان الرأي ، قالوا : الرأي ما رأى الملك ، فليبعث إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدى بن نصر بن ربيعة ؛ فولاه مجلسه ، ففشقته رقاش ابنة مالك أخت الملك ، فقالت : يا عدى ، إذا سقيت القوم فامزج لهم ، وغرق للملك ، فاذا أخذت الخمر منه فاخطبني منه فإنه يزوجك ، فأشهد القوم إن فعل ، ففعل الغلام ذلك ، فزوجه فأشهد عليه ، وانصرف الغلام إليها فأنبأها ، فقالت : عرسٌ بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق ، فقال له جذيمة : ما هذا الأثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس ، قال : أي عرس ؟ قال : عرس رقاش ، فنخر وأكب على الأرض ، ورفع عدى جراميزه ، وهرب ، وأسرع جذيمة في طلبه ، فلم يجده ، وقال بعضهم : بل قتله وبعث إليها يقول :

حدّثني رقاش لا تكذّبيني أبحر زنيّت أم بهجين
أم بعبد فأنّت أهل لعبد أم بدون فأنّت أهل لدون

ملك
عمرو بن عدى

زواج
عدى بن نصر
رقاش أخت
جذيمة

فأجابته رقاش تقول :

أَنْتِ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي وَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلزَّيْنِ
ذَاكَ مِنْ شَرِّكَ الْمَدَامَةِ صَرَفًا وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْجُنُونِ

فنقلها جذيمة إليه ، وحصنها في قصره ، فاشتملت على حمل ، وولدت غلاما ،
فسمته عمرا ، ووشحته ، حتى إذا ترعرع حملته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ، ثم
أزارته خاله ، فأعجب به ، وألقيت عليه منه محبة ومودة ، حتى إذا خرج الملك
في سنة مُكَلِّئَةٍ قَدْ أَكْمَأَتْ ، فبسط له في أرضه ، وخرج عمرو في غلّة يَجْنُونِ
الْكِمَاءِ ؛ فَكَانُوا إِذَا أَصَابُوا كِمَاءَ طَيِّبَةٍ أَكَلُوهَا ، وَإِذَا أَصَابَهَا عَمْرُو خَبَأَهَا ، ثُمَّ
اقْبَلُوا يَتَعَادَوْنَ وَعَمْرُو يَتَقَدِّمُهُمْ ، وَيَقُولُ : -

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلَّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فالتزمه جذيمة وحياء ، ثم إن الجن استطارتها ، فضرب له جذيمة في الأفاق
زمانا ، فلم يسمع له بخبر ، فكف عنه ، إذ أقبل رجلان يقال لأحدهما مالك ،
وللآخر عقيل ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملك بهدية ، فنزلا على ماء ، ومعهما قينة
يقال لها أم عمرو ، فنصبت قدرا ، وأصلحت لهما طعاما ، فبينما هما يأكلان إذ
أقبل رجل أشعث أغبر الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله ، حتى جلس مَزَجَرُ
الْكَلْبِ ، ومد يده ، فناولته القينة طعاما ، فأكل ، فلم يغن عنه شيئا ، فديده
فَقَالَتِ الْقَيْنَةُ : إِنْ يَعْطِيَ الْعَبْدُ كِرَاعًا طَلَبَ ذِرَاعًا ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، ثُمَّ نَاولَتْ صَاحِبِيهَا
مِنْ شَرَابِهَا ، وَأَوْكَتْ زَقْمَهَا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَدَى : -

عَدَلَتِ الْكَأْسُ عَنَا أُمَّ عَمْرُو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا

وَمَا شَرَّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا ^(١)

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلَانِ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَ : إِنْ تَنْكَرَانِي فَلَنْ تَنْكَرَا حَسْبِي ،
أَنَا عَمْرُو بْنُ عَدَى ، فَقَامَا إِلَيْهِ فَلَمَّاهُ ، وَغَسَّلَا رَأْسَهُ ، وَقَلَمَا أَظْفَارَهُ ، وَقَصَرَا مِنْ

(١) وَالْبَيْتَانِ يَنْسَبَانِ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ ، وَهِيَ فِي طَوِيلَتِهِ

لمته ، وألبساه من طرائف ثيابهما ، وقالوا : ما كنا لنهدى إلى الملك هدية هي
أنفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته ، قد رده الله إليه ، فخرجوا به ،
حتى إذا وقفا على باب الملك بشرابه ، فصرفه إلى أمه ، وقال لهما : **حُكِّمَكُما** ،
فقالا : **حكمتنا منادمتك مابقيت وبقينا** ، قال : **ذلك لكما** ، فهما ندما نأ جذيمة
المعروفان ، وإياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مراثيته لأخيه مالك حين قتله
خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح : —

وكنا كندمائي جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كآني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وقال أبو خراش الهذلي : —

ألم تعلمي أن قد تفرَّقَ قبلنا خايلا صفاء مالك وعقيل
وإن أم عمرو عمدت إليه ، فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام ، حتى
إذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك ، وجعلت في عنقه طوقاً من ذهب
لنذكر كان عليها ، ثم أمرته بزيارة خاله ، فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه
قال : **سَبَّ عَمْرُو عن الطوق** ، وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره
وإن الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر ملكة
الشَّام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العالميق كانوا في سليح ، وقال بعضهم :
بل كانت رومية ، وكانت تتكلم بالعربية ، مدائها على شاطئ الفرات من
الجانِب الشرق والغربي وهي اليوم خراب ، وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات
وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أبقايا بين مدائها ، وكانت تعدو بالجنود ،
فخطبها جذيمة الأبرش ، فكتبت إليه : **إني فاعلة** ، ومثلك من رغب فيه ، فإذا
شئت فاشخصْ إلي ، وكانت بكرا ، فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه ، فاستشارهم ،
فأشاروا عليه بالمضى ، وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لحم ، فأمره أن
لا يفعل ، ويكتب إليها ، فان كانت صادقة أقبلت إليك ، وإلا لم تقع في حبالها ،

فمضاه وأطاعهم ، حتى إذا كان ببقّة من دون هيت إلى الأنبار جمعهم وشاورهم ، فأمره بالشخص إليها لما علموا من رأيه في ذلك ، وقال قصير : تنصرف ودمك في وجهك ، فقال جذيمة : ببقّة قضى الأمر ، فأرسلها مثلاً ، وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم : لا يطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلاً ، وظعن جذيمة ، حتى إذا عين مدينتها - وهى بمكان دون الخانوقة - ونظر إلى الكتائب دونها ، فهاله ما رأى ، فقال : أى قصير ، ما الرأى ؟ فقال قصير : إني تركت الرأى ببقّة ، فقال عند ذلك : أشّر على ، فقال : إن لقيتك الكتائب فحيتك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة ، وإن هم أخذوا بجنبك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم ، فاركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق ، يعنى فرسا كانت جنبت معه ، فاستقبله القوم وأحاطوا به ، فلم يركب العصا ، فعمد إليها قصير فركبها وحمل وانطلق ، فالتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به ، فقال جذيمة : ماضل من تجرى به العصا ، فأدخل على الزباء ، فاستقبلته وقد كشفت عن كعبتها (أى عفلها) وتنصفت باستها ، وقالت : يا جذيمة ، أى متاع عروس ترى ؟ قال : أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر ، فقالت أما والله ماذاك من عدم مواس ، ولا قلة أواس ، ولكن شيمة ماس ، ثم أجلسته على نطع ، ودعت له بطست من عسجد ، فقطعت رَواهشه واستنزفته ، حتى إذا ضعفت قُوَاه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام ، وقد قيل لها : إنه إن وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه ، فقالت : أى جذيم ، لا تُضيعن من دمك شيئاً ، فأنى إنما بعثت إليك لأنه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل ، فقال جذيمة : وما يغنيك من دم أضاعه أهله ! ؟ وفى ذلك يقول المغيث : —

من الدارمين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبة والخبل

واستصفت دمه ، وجعلته فى برنية ، وقال بعضهم : دخل عليها جذيمة فى قصر لها ليس فيه إلا الجوارى ، وهى على سريرها ، فقالت للإماء : خذن بيد

ثم دعت بنطع فأجلسته عليه ، فعرف الشر ، وكشفت عن عورتها فإذا هي قد عقدت شعر استها من وراء ، فقالت : أشوار عروس ترى ؟ فقال : بل شوارامة براء ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أناس ، ثم أمرت برواهشه فقطعت ، فجعل دمه يشخب في النطع كراهة أن يفسد مقعدها ، فقال جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله

ونجا قصير ، فأورد الخبر على عمرو بن عبد الحى التنوخى بالحيرة ، فأشفق لذلك ، فقال له قصير : اطلب بثأر ابن عمك ، وإلا سببتك العرب ، فلم يجعل بذلك أن عنده خبرا ، فخرج قصير إلى عمرو بن عدى ، فقال له : هل لك إلى أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب ثأر خالك ؟ فجعل له ذلك ، فصرف وجوه الجنود إليه ، ومناهم بالمال والحال ، فانصرف إليه منهم بشر كثير ، فالتقى هو والتنوخى ، فلما خافوا الفتن بايعه التنوخى ، وتم الأمر لعمرو بن عدى ، فقال له قصير : انظر ما وعدتني به في الزباء ، فقال عمرو : كيف لنا بها وهى أمتع من عقاب الجو ؟ فقال : أما إذ أبيت فإني جادع أنفى وأذنى ومحتال لقتلها جهدى ، فأعنى وخلأك دم ، فقال عمرو : أنت أبصر ، وعلى معونتك ، فجذع أنفه ، فقبل : لأمر ما جذع قصير أنفه ، ثم انطلق حتى دخل على الزباء ، فقالت : من أنت ؟ فقال : أنا قصير ، لا ورب المشارق ما كان على وجه الأرض بشركان أنصح لجذيمة ولا أغش لك منى ، حتى جذع عمرو أنفى وأذنى ؛ فعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منى معك ، فقالت : أى قصير ، تقبل منزلتك وتصرفك في بضائعنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مال الحيرة ، فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدى ، وانصرف به إليها ؛ فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك ، وزادته مالا إلى ما جاء به ، وقال : إنه ليس من ملك إلا وهم يتخذون في مدائنهم ألقابا تكون لهم عددا ، فقالت له : أما إني قد فعلت ذلك ، قد تقبت سرىا وبنيته من تحت سريرى هذا حتى خرج من تحت الفرات إلى سرير أختى

دخلة ففرح بذلك قصير ، ثم ظعن حتى أتى عمرا ، فركب عمرو في ألقي رجل على ألف بعير في الصناديق ، حتى صار إليها ، فقدم قصير وسبق الأبرة ، فقال لها : اصعدى حائط مدينتك ، وانظري إلى مالك ، وتقدمي إلى بوابك فلا يتعرض لشيء من أموالنا فاني قد جئت بمال صامت ، وكانت قد أمنتته ، فلم تكن تخافه وصعدت وفعات ما أمرها ، فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت : —

ما للجمال مشيهاً ويدياً أجندلاً يحمان أم حديداً
أم صرّفاً بارداً شديداً أم الرجال جُماً قعوداً

ودخلت الابل المدينة ، حتى إذا بقي آخرها جملا عيل صبر البواب ، فطعن بمنخسة كانت في يده خاصرة رجل ، ففصرط ، فقال البواب : بشتابشتا ، بالنبطية ، أي في الجوالق ثمر ، وثار الرجال من الجوالق ضرباً بأسيا فهم ، فخرجت الزباء هاربة إلى سربها ، فأبصرت قصيرا عند نفقها مُصلتاً سيفه ، فانصرفت راجعة ، وتلقاها عمرو بن عدى ، فضربها ، وقال بعضهم : مصت خاتمها ، وكان فيه سم ساعة ، وقالت : بيدي لا بيد عمرو ، وخربت المدينة ، وسبيت الذراري ، فقالت الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثر من ذلك قول المتلمس : —

ومن طلب الأوتار ماحزاً أنه قصير ورام الموت بالسيف يهس
تعاميت لما صرع القوم رهطه تبين في أثوابه كيف يلبس
ومن ذلك قول عدى بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم : —

ألا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقّة الأمراء يوماً جذيمة عصره ينبجو معينا^(١)
وطاوع أمرهم وعصا قصيرا وكان يقول لو وقع اليقيننا
لخطبته التي غدرت وخانت وهن ذوات غائلة لحينا

مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا إلا ضفرت شعراستها من خلفه ، ثم تقاعست

(١) في الاصول « دعا بالنقبة » وهو تحريف ، وانظرياقوت « بقّة »

فتقلعه ، حتى فعلت ذلك بما رد — حصن دومة الجندل — والأبلى — حصن
تياء الفرد — حصنين منيعين ، فقالت : تمرد ماردوعز الأبقى ، وهما الحصنان
اللذان تذكرهما العرب في أشعارها ، قال الأعشى في ذلك : —

بالأبقى الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
وجذيمة الوضاح الذي يقول فيه :

ماست مودعة الحديد مث فنجد منهم وغائر
أن تاه أحور ذورعي ن لنا وأحوى ذوا بأعر
والملك كان لذى نوا س حوله من ذى بحائر
بالسابتات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر (١)
أزمان عملاق وفي هم منهمو باد وحاضر

وإنما سمي جذيمة الأبرص الوضاح لأنه كان به برص ؛ فكنى به إعظامه
قال المسعودى : هذا بدء خبر بنى عدى ، وقد قدمنا أن مدة ملكه
كانت سنة .

وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ستين سنة .

وملك بعده عمرو بن امرئ القيس ، وهو محرق العرب ، خمسا وعشرين سنة
وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان
وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة ، وكانت
أمه الهيجانة بنت ساول من مراد ويقال من إباد .

وملك المنذر بن النعمان فارس حليلة ، وهو الذى بنى الخورنق ، وكرس
الكراديس ، خمسا وثلاثين سنة ، وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر
وملك المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ، أربعا وثلاثين سنة ، وكانت
أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن قضى بن دعابن خويلد بن أسد
ابن ربيعة بن سرار ، وإنما سميت ماء السماء لحسنها وجهها .

(١) فى نسخة « بالسابتات وبالقنا »

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر ، أربعا وعشرين سنة ، وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر .

ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة ، وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية بن معديكرب .

وملك النعمان بن المنذر ، وهو الذى يقال له «أبيت اللعن» اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب .

وذكر عدة من الأخباريين أن النابغة استأذن على النعمان يوما فقال له الحاجب : إن الملك على شرابه ، قال : فهو وقت الملق ؛ تقبله الأفئدة وهو جذل للريحيق ، فان تلج تلق المجد عن غرر مواهبه ، فأنت قسيم ما أفدت ، قال له الحاجب : ما تنى عنايتى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدى ؟ قال النابغة : ومن عنده ؟ قال الحاجب : خالد بن جعفر الكلابي نديمه ، فقال النابغة : هل لك إلى أن تؤدى إلى خالد عنى ما أقول لك ؟ قال : وماهو ؟ قال : تقول : إن من يدرك وفاء الدرك بك وتأديتى من الشكر ما قد علمت ؛ فلما صار خالد إلى بعض ما تبعته موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب ، فقال : ليهنك النثم حادث النعيم ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر ، وكان خالد رفيقا يأتي الأشياء بلطف وحسن بصيرة ، فدخل متبسما ، وهو يقول : -

إلا لثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

واللات لكأنى أنظر إلى ذى رعين وقد مدت لهم قضبان المجد إلى معالم إحسانكم ومناقب أنسابكم فى حلبة أنت - أبيت اللعن - غرتها ، فجمت سابقا منهما ، وجاؤا لم يلم لهم سعى ، قال النعمان : لأنت فى وصفك أبلغ إحسانا من النابغة فى نظام قافيته ، فقال خالد : ما أبلغ فيك حسنا إلا وهو دون قدرك استحقاقا للشرف الباهر ، ولو كان النابغة حاضر القال وقلنا ، فأمر النعمان بادخاله ، فخرج الحاجب فقال : قد أذن بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ادخل ، فدخل ثم

انتصب بين يديه وحياء بتحيةة الملك ، وقال : أبيت اللعن ، أتتأخر وأنت سائد
العرب ، وغرة الحسب ، واللات لأمسك أيمن من يومه ، ولتفكك أحسن من وجهه ،
وليسارك أسمح من يمينه ، ولوعذك أصاح من رفده ، ولعبيدك أكثر من قومه ،
ولاسمك أشهر من قدره ، ولنفسك أكبر من جده ، وليومك أشهر من دهره ، ثم قال :-
أخلاق مجدك جلت ما لها خطر في الجود والناس بين العلم والخبر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغا ضيغم في صورة القمر
قهل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشى فوه جوهرًا ، ثم قال : بمثل هذا
فلتمدح الملوك

وقد كان النعمان قتل عدى بن زيد التميمي ، وكان يكتب لكسرى
أبرويز ويترجم إذا وفد عليه زعماء العرب ؛ لموجدة وجدها عليه النعمان ، في خبر
طويل الشرح ، فلما قتل صار زيد بن عدى مكان أبيه ، فذكر لأبرويز جمال
نساء آل المنذر ، ووصفهن له ، فكتب إلى النعمان بأمره أن يبعث إليه بأخته ،
فلما قرأ النعمان كتابه قال للرسول - وهو زيد بن عدى - يا زيد ، أما لكسرى
في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العرييات ؟! فقال زيد : إنما أراد الملك
إكرامك أبيت اللعن بصهرك ، ولو علم أن ذلك يشق عليك لما فعله ، وسأحسن
ذلك عنده ، وأعذر كما يقبله ، فقال النعمان : فافعل ، فقد تعرف ما على العرب
في تزويج العجم من الغضاضة والشناعة ، فأدى إليه قوله في مها السواد على أقبح
الوجوه ، وأوجده عليه ، وقال : ما لها ؟ فقال : البقر ، فأخذ عليه ، وقال : رب
عبد قد صار في الطغيان إلى أكثر من هذا ، فلما بلغت كلمته إلى النعمان تخوفه ،
فخرج هاربا حتى صار إلى طيء ؛ لصهر كان له فيهم ، ثم خرج من عندهم حتى
أتى بني رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس ، فقالوا له : أقم
معنا فانا مانعوك مما تمنع منه أنفسنا ، فيجزأهم الخير ، ورحل عنهم يريد كسرى
ليرى فيه رأيه ، وذلك قول زهير بن أبي سلمى :-

ألم تر للنعمان كان بنَجْوَة من الدهر لو أن امرأ كان ناجيا
 فغير عنه ملك عشرين حجة من الدهر يوما واحدا كان غاويا
 فلم أر مَسْلُوبًا له مثل ملكه أقل صديقًا معطيا ومواسيا
 خلا أن حيامن رواحة حافظوا وكانوا أناسا يَتَّقُونَ الخازيا
 يسرون حتى جَيَّشُوا عند ثاره هجان المطايا والعقاق المذاكيا
 فجازاهم خيرا وأثنى عليهم وودَّعَهُمْ تَوَدِّيعُ أَنْ لَا تَلْقَا
 وأخبر النعمان حتى أتى المدائن فَصَفَّ له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهم
 المَصْبَغَات صفين ، فلما صار النعمان بينهن قلن له : أما فينا للملك غنى عن بقر
 السواد ! ؟ فعلم النعمان أنه غير ناج منه ، ولقيه زيد بن عدى ، فقال له النعمان :
 أنت فعلت هذا بى لن تخلصتُ لأستقينا بكأس أبيك ، فقال له زيد : امض
 تغم فقد أخيت له أخية لا يقطعها المهر الأرن ، وأمر كسرى النعمان فجلس
 فى مجلسه بسباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة ، وقال بعضهم :
 بل مات فى محبسه بسباط ، وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثر : فمن ذلك قول
 الأعشى وأجاد :-

ولا الملك النعمان يومَ لقيته بغيظته يعطى الضحاك ويرفق
 ويحبى إليه المسلمون وعنده صريعون فى أنهارها والخور نق
 ويقسم أمر الناس يوما وليلة وهم ساكتون والمنية تنطق
 فذاك وما أنجى من الموت ربه بسباط حتى مات وهو محرزق
 وقال هانئ بن مسعود الشيبانى :-

إن ذا التاج ، لأبالك ، أضحى فى الورى رأسه تخوت الفيول
 إن كسرى عدا على الملك النعم مان حتى سقاه مر البليل
 ومما رثى به النعمان :-

لم تبكه هندولا أختها خرقاء ، واستعجم ناعيه

بين فيول الهند تخبطنه مختبطا تدمى نواحيه

وقد كان النعمان حين أراد المضي إلى كسرى مستسلما مر على بنى شيبان وفاء هاني بن فؤدعهم سلاحه وعياله عندهاني بن مسعود بن هاني الشيباني ؛ فلما أتى كسرى على النعمان بعث إلى هاني بن مسعود وطالبه بتركته ، فامتنع ، وأبى أن يخفر الذمة ، فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذى قار ، وقد أتينا على ذلك فيما بعد من هذا الكتاب فأغنى عن إعادته هنا

خرقاء بنت
النعمان

وقد كانت خرقاء بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشى ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها ، فلما هلك النعمان لكها الزمان فأنزلهما من الرفعة إلى الذلة ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس وقتل رستم فأثت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهن في زيتها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطاب صلته ، فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد ، فقال : أيكن خرقاء ؟ قالت : هاأناذه ، قال : أنت خرقاء ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك في استفهامي ؟ ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنقل أهاها انتقالا ، وتعبهم بعد حال حالا ؛ كنا ملوك هذا المصر يجي لنا خراجهم ، ويطيعنا أهلهم مدى المدة وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا ، وكذلك الدهر ياسعد ؛ إنه ليس يأتي قوما بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة ، ثم أنشأت تقول : —

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف^(١)
فأف لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
فقال سعد قاتل الله عدى بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول : —
إن الدهر صولة فاحذرنها لا تبتنن قد أمنت الدهورا

(١) حفظى « إذا نحن فيهم سوقة نتنصف »

قد يبيت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا

قال : فبينما هي واقفة بين يدي سعد إذ دخل عمرو بن معديكرب ، وكان زوارا لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر إليها قال : أنت خرقاء ؟ قالت : نعم ، قال : فما دهك فأذهب بجودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نعمتك ؟ فقالت : يا عمرو ، إن الدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم ؛ فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلهم بعد عز ، إن هذا لأمر كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم نسكره ، قال : فأكرمها سعد ، وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت : حى أختك بتحية ملوكنا بعضهم لبعض ، لانزع الله من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردّها عليه ، ثم خرجت من عنده فلقبها نساء المدينة قتلن لها : ما فعل بك الأمير ؟ قالت : أكرم وجهي ، إنما يكرم الكريم الكريم

قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : فهؤلاء ملوك الحيرة إلى أن ظهر الاسلام ، فأظهره الله ، وأذل الكافرين ، فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرص على حسب ما قدمنا آتينا في صدر هذا الباب ، ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرم فملك على العرب بالحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فكان ملكه تسع سنين ، وثمانية أشهر مضت من ملك إياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس ، وقد كان كذلك قبل عمرو بن عدى ملوك الحيرة على حسب ما ذكرنا ، وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنين وعشرين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن عمران الحيرة وبدوه إلى أن خربت في وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة

إحصاء بملوك
الحيرة ومدتهم

قال المسعودي : ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا إلى صدر من أيام المعتضد ، فانه استولى عليها الخراب ، وقد كان جماعة من خلفاء بني

العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويصلون المقام بها ؛ لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها ، وصحة تربتها ، وصلابتها ، وقرب الخورنق والتحف منها ، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فالحقوا بغيرها من البلاد لتداعى الخراب إليها ، وأقفر في هذا الوقت ليس بها إلا الصدى والبوم ، وعند كثير من أهل الدراية التامة بما يحدث في المستقبل من الزمان أن سعدا سيعود بالعمران وأن هذا النحاس عنها سيزول ، وكذلك الكوفة

قال المسعودي : ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغُرر من مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » وفيما بعد من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن إعادته

ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور .

ثم ملك بعده سومات ، وهو أيوب بن رزاح ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه ، وما اقتص من أمره ، ثم غلبت الروم على ديارها ، فتنفروا في البلاد ، وكانت قضاة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا إلى ملوك الروم فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب ، وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك . ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم ملك بعده الحواري بن النعمان ، ولم يملك من تنوخ إلا ما ذكرنا ، وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تميم الله بن الأزد ابن دبيرة بن ثعلب بن حلوان بن إلخاف بن قضاة بن مالك بن حمير ، وقد تنوزع في قضاة : أمن معد كان أم من قحطان ؛ فقضاة تأتي أن تكون من معد ، وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا ، وقد قيل في نسب قضاة واتصالها بحمير

ما ذكرنا من النسب ، ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ ، وتنصر من ملكته الروم على العرب الذين بالشام ، وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر بن سبأ ؛ فسارت غسان إلى الشام من ولد مازن ، وذلك أن الأزد بن الغوث بن تبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن مازن وإليه ترجع جميع قبائل غسان ، وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري : —

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرُ نَجْبٍ الْأَزْدُ نَسَبَتْنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ

وسندكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا ، وخبر سيل العرم ، وتفرقهم في البلاد ، وخبر الماء المعروف بغسان ، وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيا على هذا الماء إلى أن أدركه الموت ، وكان عمره ثمانمائة سنة : أربعائة سوقة ، وأربعائة ملكا .

وغلبت غسان على من بالشام من العرب ؛ فملكها الروم على العرب ، فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن ماس بن غسان بن الأزد بن الغوث .

ثم ملك بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ، وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة ، وهي التي ذكرتها الشعراء في أشعارها ، وتنسب جماعة من ملوك غسان إليها .

وملك بعده النعمان بن الحرث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

ثم ملك بعده عوف بن أبي شمر ، وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم ملك جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن مازن وهو غسان

ابن الأزد بن عوف وهو الملك الذى امتدحه حسان بن ثابت الأنصارى حيث
يقول فى شعر طويل : —

أشهرنّها فان ملكك بالشأ م إلى الروم فخر كل يمانى
وفيه يقول أيضاً :

لمن الدار أقفرت بمغان بين أعلى اليرموك والصمان
من قريات من ثلاثين عدت ناسكا منه بالقصور الدوانى
قد دنا الفصح والولائد ينظمـن سراحا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر وحقا تصرف الأزمان
صلوات المسيح فى ذلك الديـر دعاء القسيس والرهبان

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك

وذكر عدة من الأخبار بين أن حسان بن ثابت الأنصارى زار الحرث بن أبى
شمر الغسانى — وكان النعمان بن المنذر اللخمى يساميه — فقال له وهو عنده :
يا بن الفريعة ، لقد نبئت أنك تفضل النعمان على ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟
فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من
جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمانك أنفع من نداءه ، ولقليلك
أكثر من كثيره ، ولثمادك أشرع من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ،
ولجدوّك أغور من بحره ، وليومك أطول من شهره ، ولشهرك أمد من حوله ،
ولحولك خير من حقبه ، ولزندك أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ،
وإنك من غسان وإنه من لحم ، فكيف أفضله عليك وأعدله بك ؟! فقال :
يا بن الفريعة ، هذا لا يسمع إلا فى شعر ، فقال : —

نبئت أن أبا منذر يساميك للحرث الأصغر
قفأوك^(١) أحسن من وجهه وأملك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها كيمنى يديه على المعسر

(١) فى جميع الأصول «قفاك» ووزن البيت عليه لا يستقيم ، ومد المقصور يقع فى الشعر

وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام ، وجبله بن الأيهم هو الذي أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقَوَدِ من اللطمة ، وخبره واضح مشهور قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر أخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرها من ملك الشام ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الغساني إلى الاسلام ورغبه في الايمان ، وقد أتينا على خبره وما كان من إسلامه وأخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتبنا « أخبار الزمان » فيما بعد ، وفي أبيه يقول النابغة : -

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ

لِلْحَرْثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَرْثِ الْأَصْغَرِ وَالْحَرْثِ خَيْرُ الْأَنَامِ

ثُمَّ لَهْنَدٌ وَلَهْنَدٌ وَقَدْ أَسْرَعَ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْهُ أَمَامُ

وَخَمْسَةُ آبَائِهِمْ مَا هُمْ أَكْرَمُ مِنْ يَشْرَبُ صُوبَ الْغَمَامِ

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكا ، وقد كان بالشام ملوك ببلاد مأرب من أرض البلقاء من بلاد دمشق ، وكذلك مدائن قوم لوط من أرض الأردن وبلاد فلسطين ، وكانت خمس مدن ، فكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم ، وكانت سمة كل ملك فارعا ، وكذلك ذكر في التوراة ، وذكر أسماء هذه المدن ، أعرضنا عنه إذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار .

وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها ؛ إذ كان لأسماء لهم تعميم وتشهرهم ، كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشي ، ولئلا يطول الكتاب بذكرهم ، وقد أتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض الممالك في سائر الأمم الحالية والممالك الباقية من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الإخبار عنه ، وإنما ذكرنا في هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه وعرفت مملكته ميلاً إلى

الاختصار ، وطلبنا للإيجاز ، وتنبيهنا على ما سلف من أخبارهم في كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا ، والله الموفق .

ذكر البوادي من العرب وغيرها من الأمم وعلة سكنها البدو ، وجمل من أخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

وقد تقدم ذكرنا لولد قحطان ، وأن من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس وعملق وجهرم وثمود وعبيل ووبار ، وسائر من سمينا ، وأن من بقي من ذكرنا دخلوا في العرب الباقية إلى هذا الوقت ، وهم قحطان ومعد ، ولا يعلم أن قبيلة بقي يشار إليه في الأرض من العرب الأول غير معد وقحطان ، وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والأذواء ، وشيد البنيان في الشرق والغرب ، ومصر الأمصار ، وبنى المدن الكبار ، كإفريقش بن أبرهة ، وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة إفريقية وصقلية ، وما كور من الكور هنالك ، وما اتخذ من العمائر ، وكسير شمر إلى أرض المشرق ، وبنياهن سمرقند ، ومن خلف هنالك من حمير بها ، وبلاد التبت والصين ، وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف .

وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد فيها على السكيت ، وفخر دعبل بمن سلف من ملوكهم وسير في الأرض وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان ، فقال في شعره : —

هُمُ كَتَبُوا الْكِتَابَ بِبَابِ مَرَوْ وَبَابِ الصِّينِ كَانُوا الْكَاتِبِينَ

وَهُمْ جَمَعُوا الْجَمْعَ بِسَمَرْقَنْدٍ وَهُمْ غَرَسُوا هُنَاكَ التَّنْبِتِينَ

وقد كان من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم ، حتى ينتقد إلى ملكه أهل الشجر وحضر موت ، فينشد يستحق أن يسمى تبعًا ،

ومن تخلف عن ملكه مَنْ ذكرنا سَمى ملكا ، ولم يطلق له اسم تبع ، وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها (أهم خير أم قوم تبع - الآية) حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة ، وإنما سَمى تبعا بمن تبعه ، وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس ، وقد كان تبع أبو كرب سار في الأرض ، ووطىء الممالك وذلها ، ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف حينئذ جور ابن سابور ، فلقي أبو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتاد ، وليس بقتاد بن فيروز من السامانية ، فانهزم قتاد ، وأتى تبع أبو كرب على ملكه ، وملك العراق والشام والحجاز وكثيراً من الشرق

وفي ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع : —

ورد الملك تبع وبنوه	ورثوهم جدودهم والجدودا
إذ جيينا جيانا من ظفار	ثم سرنا بها مسيرا بعيذا
فاستبحنا بالخيـل ملك قتاد	وابن أفلود قائما مصفودا
فكسونا البيت الذي حرم الله	ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا	وجعلنا لنا به إقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا	وسجدنا عند المقام سجودا

وقال أيضاً فيه : —

لست بالتبع الياني إن لم	تر كض الخيل في سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخرج قسرا	أو تعقنى عوائق العواق

وقد كانت لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة ، واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر وإياد وأمار ، وتداعت بحجدها نزار ، وتواهبت ما كان بينها من

الدماء والثأر ؛ فكانت لهم غلبة ؛ ففي ذلك يقول أبو دود الإيادي : —

ضربنا على تبع حربـه	حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هاربا	وكان جبانا كثير الـهـب

وأتبعته فهو للجبين وكان العزيز بها من غلب

وقد ذكرنا فيما بعد بدء النسب من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وولده إسماعيل وتفرق النسب إلى نزار بن معد بن عدنان ؛ فلنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الأربعة مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، ثم نعقب ذلك بما إلتيه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب ، مع علة سكنى البوادي من عرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والأودية وسائر البراري والتفار .

ذكر عدة من أخباري العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد : إيدا ، وبه كان يكنى ، وأمار - وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل ؛ إذ كان فيما ذكرنا تنازع ؛ لأن من الناس من أحقهم بالين ، ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد أمار بن نزار - وربيعة ، ومضر ، فلما حضرت نزارا الوفاة دعا بنيها ودعا بجارية له شطاء ، فقال لإياد : هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ، ثم أخذ بيد مضر فأدخله قبة له حمراء من آدم ، ثم قال : هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ، ثم أخذ بيد ربيعة وقال له : هذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبههما من مالى فلك ، ثم أخذ بيد أمار وقال له : هذه البدرية والجلس وما أشبههما من مالى فلك ، فان أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، وكان ملك نجران ، حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته ، فلم يلبث نزار إلا قليلا حتى هلك ، وأشكلت القسمة على ولده ، فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران ، وهم في مفازة ، إذا هم بأثر بعير ، فقال إياد : إن هذا البعير الذى ترون أثره أعور ، فقال أمار : وإنه لأبتر ، قال ربيعة : وإنه لأزور ، قال مضر : وإنه لشروء ، فلم يلبثوا أن رفع إليهم راكب يوضع بين راحلته ، فلما غشيهم قال لهم : هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم ؟ قال إياد : بعيرك أعور ؟ قال : فانه لأعور ، قال أمار : بعيرك أبتر ؟ قال : فانه لأبتر ، قال ربيعة : بعيرك أزور ؟ قال : فانه لأزور ، قال مضر : كان بعيرك

أولاد

نزار بن معد
والأفعى
الجرهمي

شرودا ، قال : إنه لشروء ، ثم قال لهم : فأين بعيرى ؟ دلونى عليه ، قالوا : والله ما حسنا لك ببعير ولا رأينا ، قال : أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعته شيئاً ، قالوا : ما رأينا بعيراً ، فتبعهم حتى قدموا نجران ، فلما أناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا ، وصاح الرجل من وراء الباب : أيها الملك ، هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا أنهم مارأوه ، فدعا به الأفعى فقال : ما تقول ؟ فقال : أيها الملك ، هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه ، فقال لهم الأفعى : ماتقولون ؟ قالوا : رأينا فى سفرنا هذا إليك أثر بعير فقال إياد : إنه لأعور ، قال : وما يدريك أنه أعور ؟ قال : رأيته مجتهداً فى رعى الكلاء من شق قد لحسه والشق الآخر واف كثير الالتفاف لم يمسه فقلت إنه أعور ، وقال أمار : رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلت أنه أبتى ، وقال ربيعة : رأيت أثر إحدى يديه ثابتا والآخرة فاسدا فعلت أنه أزور ، وقال مضر : رأيته يرمى الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلاء الملتف الغض فلا ينعش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرمى فيه فعلت أنه شرود ، فقال الأفعى : صدقتم ، قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه التمس بعيرك ، ثم قال الأفعى للقوم : من أنتم ؟ فأخبروه بحالهم ، وانتسبوا ، فرحب بهم وحياهم ، ثم قال : ما خطبكم ؟ فقصوا عليه قصة أبيهم ، قال الأفعى : وكيف تحتاجون إلى وأنتم على ما أرى ؟ قالوا : أمرنا بذلك أبونا ، ثم أمر بهم فأنزّلوا ، وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مشواهم وإطافهم بأفضل ما يقدر عليه ، ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفاً أديباً ، فقال : انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأنتن بها ، فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا : ما رأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه ، فقال إياد : صدقتم لولا أن نحلّه فى هامة جبار ، فوعاها الغلام ، فلما حضر غداؤهم وجىء بالشواء فاذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا : ما رأينا شواء أجود شيئاً ولا أرخص للحوا ولا أسمن منه ، فقال أمار : صدقتم لولا أنه غذى بلبن كلبة ، ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا : ما رأينا خمر أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه ، فقال ربيعة : صدقتم

لولا أن كرمها نبت على قبر ، ثم قالوا : مارأينا منزلا أكرم قري ولا أخصب رجلا من هذا الملك ، قال مضر : صدقتم لولا أنه لغير أبيه ، فذهب الغلام إلى الأفعى ، فأخبره بما كان منهم ، فدخل الأفعى على أمه ، فقال : أقسمت عليك إلا ما أخبرتنى من أنا ومن أبي ، فقالت : يابني ، وما دعاك إلى هذا ؟ أنت ابن الأفعى الملك الأكبر ، قال : حقا لتصدقني ، فألح عليها ، قالت : يابني ، إن أباك الأفعى الذى تدعى له كان شيخا قد ثقل ، فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت ، وقد كان قدم إلينا شاب من أبناء الملوك ، فدعوته إلى نفسى ، فعلمت بك منه ، ثم بعث إلى القهرمان فقال : أخبرني عن الشهد الذى بعثت به إلى هؤلاء النفر ما خطبه ، قال : إنا أخبرنا بدبر في طيف ، فبعثت إليه من يشوره ، فأخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكورة في ذلك الطيف ، فاذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام ، فأتوا بعسل لم أر مثله ، فقدمته إلى القوم لجودته ، ثم بعث إلى صاحب مائدته فقال : ماهذه الشاة التى شويتها لهؤلاء القوم ؟ قال : إني بعثت إلى الراعى أن ابعث إلى بأحسن شيء عندك فبعث بها إلى ، وما سألته عنها ، فبعث إلى الراعى أن أعافى خبر هذه الشاة ، قال : إنها أول ما ولدت من غنمى عام أول ، فماتت أمها ، فبقيت ، وكانت كلبة لى قد وضعت فأنست السخلة بجراء الكلبة ، فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها ، فلم أجدفى غنمى مثلاً ، فبعثت بها إليك ، ثم بعث إلى صاحب الشراب ، فقال : ماهذا الخمر الذى سقيت لهؤلاء القوم ؟ قال : من جنة كرم نبتت غرسها على قبر أبيك ، فليس فى العرب مثل شرابها ، فقال الأفعى : ماهؤلاء القوم إن هم إلا شياطين ، ثم أحضرهم فقال : ماخطبكم قُصُّوا على قصتكم ، فقال إباد : إن أبى جعل لى خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك نقداً^(١) ففى

(١) النقد - بالتحريك - جنس من الغنم ، وكان قد قضى لا ياد بالخدمة والماشية البلق فسمى إباد الشمطاء ، وانظر (مجمع الامثال : ١ ، ١٤ بولاق) وكان فى الأصول « أن أباك ترك برسا ففى لك ورعلوها مع الخادم » وهو كلام كمانرى . . .

لك ورعاؤها مع الخادم ، قال أئمار : إن أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله ، قال : فلك ماترك أبوك من الرقة والخرثى والأرض ، قتال ربيعة : إن أبي جعل لي فرسا أدهم وبيتا أسود وما أشبههما من ماله ، قال : فإن أباك ترك خيلا دهماً وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد ، فسمى ربيعة الفرس ، قتال مضر : إن أبي جعل لي قبة حمراء من آدم وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك إبلا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله ، فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء ، والذهب ، فسمى مضر الحمراء ، وكانوا على ذلك مع إخوانهم جرهم بمكة فأصابتهم سنة أهلكت الشاء وعامة الابل ، وبقيت الخيل ، وكان ربيعة يغزو عليها ويصل إخوته ، وذهب ما كان لأئمار من شاء في تلك السنين ، ثم عاود الناس الخصب والغيث ، فرجعت الابل وثابت إليها أنفسهم ومشت ، فتناسلت وكثرت ، وقام مضر بأمر إخوته ، فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابهم قشعوا ليلاً وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يد أئمار عظم يتعرقه قد جاء به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فتأوه مضر ، وصاح عيني عيني ، وتشاغل به إخوته فركب أئمار بعد أن أكرم إبله ، فالحق بديار اليمن ، وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الأربعة : إليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة ، وكذلك تفتخر مضر في كلامها المنثور والمنظوم ، وربيعه الفرس وربيعه القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس ، وإياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه ، وأئمار وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه ولكل واحد من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ويتسع شرحها : من ذكر ما حلوا به من الديار ، وتشعب أنسابها ، وتسلسلها ، فأقنى الناس على ذكرها ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها ، فنعنا ذلك من إعادته في هذا الكتاب

فلنذكر الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجم ، وإليه نسب ،

من سكنى من حل البدو من العرب وغيرها من الأمم المتوحشة كالترك
والكرد والشبجة والبربر ، ومن تقطن بالبرارى وقطن الجبال ، والعله الموجبة
لذلك من فعلهم

تباين الناس فى السبب الموجب لما وصفنا ؛ فذهب كثير من الناس إلى أن
الجيل الأول ممن سكن الأرض سكنوا حيناً من الزمان لم يبنوا بناء ، ولا شيدوا
مدناً ، وكان سكنهم فى شبه الأكواخ والمظال ، ثم إن نفراً منهم أخذوا فى
ابتناء المساكن ، وخاف بعدهم خاف فابتنوا الأبنية ، وثبتت فرقة منهم على
سجيتها الأولى فى البيوت والأظلال ينتجعون الأماكن الرفهة الخصبية ، وينتقلون
عنها إذا أجذبت ، فمضت هذه الطائفة على نهج الأقدمين

وذكرت طائفة أن أول ذلك أن الناس لما نصب عنهم الطوفان الذى تفرق الناس
أهلك الله به الأرض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا فى طلب
البقاع الخصبية المتخيرة ، وانفرد من انفرد بانتجاع الأرضين وحلول البيداء ،
وآخرون بقاعاً تخيروها كمن ابنتى إقليم بابل من النبط ، ومن سلم من ولد حام
ابن نوح عليه السلام مع نمرود بن كنعان بن سنجارب بن نمرود الأول بن
كوش بن سام بن نوح ، وذلك حين تملك على إقليم بابل من قبل الضحاك ،
وهو بنوارست ، وكن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا فى باب
مصر وأخبارها فى هذا الكتاب ، وكن عمر الشام من الكنعانيين ، وكن حل
يوادى البربر وهم هواره وزناتة وضريسة ومعولة ورمحولة ونقرة وكتامة ولواتة
ومراتة ورلوبة ونفوسة ولعطة وصدسة ومعمورة وعفارة وفاطة ووارثة واسمة
وبنواسحين وارلتة وهى مورمانه وبنو وكلان وبنو نصرران وبنو دووعس
وبنو منهوسا وصنهاجة ، ومن سكن من أنواع الأجناس من الأحابش وغيرهم
الغابة المعروفة بغابة المبرابرية سون ورعوين والعروبة وسنسون ، ومنهم من سكن
غير الغابة واتسع فى هذه البلاد من المغرب

وقد ذكرنا أن أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام ، وأن ملكهم كان جالوت ، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، إلى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت ، فلم يملك عليهم بعده ملك ، وأنهم انتهوا إلى ديار المغرب إلى موضع يعرف بلونية ، فانتشروا هنالك ، فنزل منهم زناتة ومعمولة وضريسه الجبال من تلك الديار وبطن الأودية ، ونزلوا أرض برقة ، ونزلت هوارة بلاد إياس وهى بلاد طرابلس المغرب إلى الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار للأفرنجية والروم ، فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم إلى جزائر البحر الرومى ، فسكن الأكثر منهم جزيرة صقلية ، وتفرقت البربر ببلاد إفريقية وأقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة ألفى ميل من بلاد القيروان ، وتراجعت الروم والأفرنجية إلى مدنهم ، وذلك على موادة وصالح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال والأودية والرمال والدهاس وأطراف البرارى والقفار ومن بحر أفريقية وصقلية يخرج المرجان ، وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس ، وغير هؤلاء ممن ذكرنا من الأمم من سكن قطع الأرض وابتنى لمداين شرقا وغربا

ورأت العرب أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بالعز ، وأيق بنى الأنفة ، وقالوا : لنكون محكمين فى الأرض نسكن حيث نشاء أصلاح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو ، من أجل ذلك

وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ، ونبل الهمم والأقدار ، وشدة الأنفة والحمية من المعرة ، والهرب من العار ؛ بدأت بالتفكر فى المنازل ، والتقدير للمواطن ، فتأملوا شأن المدن والأبنية ، فوجدوا فيها معرة ونقصا ، وقال ذو المعرفة والتمييز : إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح ؛ إذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمزجة قطّانه ، وقال ذوو

الآراء منهم : إن الأبنية والتحويط حصّر عن التصرف في الأرض ، ومقطعة
عن الجولان ، وتقييد للهمم ، وجس لما في الغرائز من المسابقة إلى الشرف ، ولا
خير في اللبث على هذه الحالة ، وزعموا أيضا أن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء ،
وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سרוحه عن المرور ، وقذاه عن السلوك ؛ فسكنوا البر
الأفيح الذي لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضرر ، هذا مع ارتفاع الأقداء ،
وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن ، وتقاء
القرايح في التنقل في المساكن ، مع صحة الأمزجة ، وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ،
وصيانة الأجسام ، فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء ،
وطبع الهواء الفضاء ، وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام ،
فأثرت العرب سكنى البوادي والحلول في البيداء ، فهم أقوى الناس همما ،
وأشدّهم أحلاما ، وأصحهم أجساما ، وأعزهم جارا ، وأحماهم ذمارا ، وأفضلهم
جوارا ، وأجودهم فطنا ، لما أكسبهم إياه صفاء الجوّ وتقاء الفضاء ، لأن الأبدان
تحتوي أجزائها على متكاثف الأكدار ، وعناء الأقدار ، بما يرتفع إليه
ويتلاطم في عرصاته وأقفه من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففي
أكنافه جميع ما يتصعد إليه ، وكذلك تراكب الأقداء والأدواء والعاهات في
أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم ، وتضاعفت في أشعارهم وأشارهم ، ففصلت
العرب على سائر من عداها من بوادي الأمم المعترضة لما ذكرنا من تغييرها
الأماكن وارتداد المواطن

قال المسعودي : وكذلك جانبوا فضاظة الأكراد وسكان الجبال من
الأجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم خروث الأرض ودّهاسها ، وذلك أن
هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها
وارتفاعها ، لعدم استقامة الاعتدال في أرضها ، فلذلك أخلاق قطانها على ما هي
عليه من الغلظ

وذكر الهيثم بن عدى والشرقى بن القطامى وغيرهما من الأخباريين أنه وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب ، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها واختيارها البدو ، فقال : أيها الملك ، ملكوا الأرض ولم تملكهم ، وأمنوا من التحصين بالأسوار ، واعتمدوا على المُرَهَفَاتِ الباترة ، والرماح السامرة حسا وحصنا ، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له ، يردون منها خيارها ، ويقصدون أظافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس الجرة وسعد الجدى مشرفين على الأرض بحسب ذلك ، قال : فما رياحها ؟ قال : أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس ، قال : فكم الرياح ؟ قال : أربع ، فإذا انحرفت واحدة منهن قيل نكباء ، وما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر جنوب ، وما بازائها مما يستقبلها من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور ، وما جاء من قبل ذلك فهي صبا ، قال : فما أكثر غذائهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيد والتمر ، قال : فما خلائقهم ؟ قال : العز ، والشرف ، والمكارم ، وقرى الضيف ، وإذمار الجار ، وإجارة الخائف ، وأداء الحملات ، وبذل المهج فى المكرمات ، وهم سراة الليل ، وليوث القيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألفوا القناعة ، وسبقوا الضراعة ، لهم الأخذ بالثار ، والأثقة من العار ، والحماية للذمار ، قال كسرى : لقد وصفت هذا الجيل كرما ونبلا ، وما أولانا بانجاح ذلك فيهم

فتخيرت العرب فى البرارى والمهمات والمصاف : فمنهم المنجد والمتهتم من سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لخم وجذام ، ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع ملكية يعرفون عليها ، كالرها والسماوة والتهايم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست ترى قبيلة من العرب توغل عن الأماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم ، كما ضارج وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه

الأكراد
وأصلهم
وسكنهم

وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم : فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل ، انفردوا في قديم الزمان ، وانضافوا إلى الجبال والأودية ، دعتهم إلى ذلك الأتفة ، وجاوروا ما هنالك من الأمم الساكنة المدن والعائر من الأعاجم والفرس ، فخالوا عن نسانهم ، وصارت اغتهم أعجمية ، وولد كل من الأكراد لغة لهم بالكردية ، ومن الناس من رأى أنهم من مضر ابن نزار ، وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوفائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر ، وقد اختصموا في الجبال طلبا للمياه والمراعى فخالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم ، ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على إمائه المناققات الشيطان المعروف بالجسد ، وعصم الله منه المؤمنين أن يقع عليهم فعلق منه المناققات ، فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال : أكردوهن إلى الجبال والأودية فربتهم أمهاتهم ، وتناكحوا ، وتناسلوا ، فذلك بدء نسب الأكراد ؛ ومن الناس من رأى أن الضحاك ذا الأفواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذى تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو أنه خرج بكتفيه حَيَّتَانِ لا يهدآن إلا بأدمغة الناس ، فأففى خلقا كثيرا من فارس ، واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس دِرَفَش كاصان ، فأخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل نهاوند على ما ذكرنا ، وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخاط أدمغتهما ويطعم تينسك الحيتين اللتين في كتفى الضحاك ، ويطرد من يخلص إلى الجبل ، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الأكراد ، وهؤلاء من نسلهم ، وتشعبوا أخفاذا ، وما ذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة .

والفرس في أخبار الضحاك مع إبليس أخبار عجيبة ، هى موجودة في كتبهم

الترك

رأى آخر
في الأكراد

بعض أيام
العرب

وتزعم الفرس أن ظهور المقدم ذكره في ملوك الفرس هو نوح النبي عليه السلام ،
وتفسير درفس بالفارسية الفهلوية - وهى الأولى - : الراية والمطرود والعلم
وأما الترك وأجناسها فقد قدمنا كثيرا من أخبارها ، وقد غلط قوم فزعوا
أن الترك من ولد طوج بن أفريدون ، وهذا غلط ، ولى طوج على الترك وسلح
على الروم ، وكيف توليه عليم وهم ولده ؟ وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد
طوج بن أفريدون ، بل لطوج فى الترك عقب مشهور ، والمعظم فى أجناس الترك
هم التبت ، وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبابعة ربتهم هناك
وما قلنا من الأكراد فالأشهر عند الناس ، والأصح من أنسابهم ،
أنهم من ولد ربيعة بن نزار ؛ فأما نوع من الأكراد - وهم الشاهجان ببلاد ما بين
الكوفة والبصرة ، وهى أرض الدينور وهمدان - فلا تناكر بينهم أنهم من ولد
ربيعة بن نزار بن معد ، والآخر ذان - وهم من السكيكان ببلاد أذربيجان
والهلبانية والسراة وماحوى بلاد الجبال من الساذنجان والكريه والبارد لكان
والبارينجان واليارسان والحالبه والحبانار فيه والحوانيه والمسكان ومن حل
بلاد الشام من الديابله وغيرهم - فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ، ومنهم
اليعقوبية والخورفان ، وهم نصارى ، وديارهم مما يلي الموصل وجبل الجودى
وفى الأكراد من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما
فهذه جملة من أخبار بوادى العالم ، وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم
والخارج وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلي بلاد
سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض العفص والمولح والحب
قال المسعودى : فأما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من
كتبتنا ، وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام ، كيوم الهبابة ، وحروب ذبيان
والين ، وحرب داحس والغبراء ، وحرب بكر بن وائل وتغلب ، وهى حرب
البسوس ، ويوم الكلاب ، ويوم حرار ، ومقتل جساس بن زهير ، ويوم ذى

قار ، ويوم شعب جناحه ، وما كان من بنى عامر وغيرهم ، وحرب الأوس
والخزرج ، وما كان بين غسان وعك
وسنورد بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفريقها في
البلاد ، ونذكر جملا من آرائها ودياناتها في الجاهلية ، وما ذهبت إليه في الغيلان
والهواتف والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام ، وغير ذلك من شيمها ،
وبالله التوفيق

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية

وتفرقها في البلاد ، وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

كانت العرب في جاهليتها فرقا : منهم الموحد المقر بخالقه ، المصدق بالبعث
والنشور ، موقنا بأن الله يثيب المطيع ، ويعاقب العاصي ، وقد تقدم ذكرنا في
هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا إلى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته
في الفترة ، كقس بن ساعدة الإيادي ، ورباب السبتي ، وبحيرا الراهب ، وكان
من عبد القيس

وكان من العرب من أقر بالخالق ، وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة ،
وأنكر الرسل ، وعكف على عبادة الأصنام ، وهم الذين حكى الله عز وجل
قولهم : (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - الآية) وهذا الصنف الذين
حججوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا البدن ، ونسكوا لها النسائك ، وأحلوا
لها وحرموا

ومنهم من أقر بالخالق ، وكذب بالرسل والبعث ، ومال إلى قول أهل الدهر ،
وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى : (وقالوا إن

هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية

ومنهم المارُّ على عنجهيته ، الراكب لهمجيته

وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ، ويزعمون أنها بنات الله ، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله ، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقوله تعالى : (أفأرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى)

فمن كان مقرا بالتوحيد ، مثبتا للوعيد ، تاركا للتقليد ؛ عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، وكان حفر بئر زمزم ، وكانت مطوية ، وذلك فى ملك كسرى قباد ، فاستخرج منها غزآتى ذهب عليهما الدر والجوهر ، وغير ذلك من الحلى ، وسبعة أسياف قلعية ، وسبعة أدرع سوابغ ؛ فضرب من الأسياف باب الكعبة ، وجعل إحدى الغزالتين صفائح ، وجعل الأخرى فى الكعبة ، وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا ، وجعل باب الكعبة ذهباً ، وفى ذلك يقول عبد المطلب : —

أعطى بلا شحٍّ ولا مشاحح سقيا على رغم العدو الكاشح

بعد كنوز الحلى والصفائح حلياً لبيت الله ذى المسارح

وكان قد نذر إن رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكر أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم إليه وهو عبدالله أبو النبی صلى الله عليه وسلم ، فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل فى خبر طويل

وقد كان أبرهة حين سار بالحبشة وآتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بحب الحصب ، فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيّد مكة ، فعظمه وهابه لاستدارة نور النبی صلى الله عليه وسلم فى جبينه ، فقال له : سألنى يا عبد المطلب ،

فأبى أن يسأله إلا إبلا له ، فأمر بردها ، وقال : ألا تسألني الرجوع ، فقال : أنا رب هذه الأبل ، وللبيت رب سيمنعه منك ، وانصرف عبد المطلب إلى مكة وهو يقول : —

يا أهل مَكَّةَ قد وافاكم ملك
مع الفيول على أنيابها الزَّردُ
هذا النجاشيُّ قد سارت كتائبه
مع الليوث عليها البيض تتقدُّ
يريد كعبتكمُ والله مانعه
كمنع تبعٍ لما جاءها حرد
وأمر قريشا أن تلحق ببطن الأودية ورءوس الجبال من معرة الحبشة ،
وقلد الإبل النعال وخلاها في الحرم ، ووقف بباب الكعبة وهو يقول : —

ياربِّ لا أرجو لهم سواكا
ياربِّ فامنع منهم حماكا
إنَّ عدوَّ البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا
ويقول : —

ياربِّ إن المرء يـ
نع رحله فامنع رحالك
لا يغلبنَّ صليبهـ
ومحالمهم عدوا محالك

فأرسل الله عليهم الطير الأبايل أشباه العاسيب ترميهم بحجارة من سجيل
وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، فأهلكهم
الله عز وجل

وقد ذكرنا خبر أبي رغال فيما سلف هذا الكتاب حين دهم ، وهلاكه
في الطريق ، وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن ثقل بن حبيب الخثعمي يدها على
الطريق ، وثقل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه ، وقدر يعلمهم من البلاء ، وانفرد
عن حملتهم يؤمل الخلاص وقد تاهوا فأنشأ يقول : —

ألا ردى حمى لك ياردينا
نعمنا كم مع الأصباح عينا
فأنك لو رأيت ولن تريه
لدى جنب الحصب مارأينا
حمدتُ الله إذ عاينت طيرا
وحصب حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نقيض كأنَّ علىَّ للحبشان ديناً
وقد ذكرنا ما كان منهم في هلك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب
فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول :

أَيُّهَا الدَّاعِي لَقَدْ أَسْمَعْتَنِي ثُمَّ مَابِي عَنْ نِدَاكُمْ مِنْ صَمَمٍ
إِنْ لِلْبَيْتِ لَرَبًّا مَانِعًا مَنْ يَرِدُهُ بِأَثَامٍ يُصْطَلَمُ
رَامَهُ تُبَعِّعُ فِيمَنْ جَنَدَتْ حَمِيرٌ وَالْحَيَّ مِنْ آلِ قُرْمٍ
فَانْتَنَى عَنْهُ وَفِي أَوْدَاجِهِ جَارِحٌ أَمْسَكَ عَنْهُ بِالْكُظْمِ
قَاتَ وَالْأَشْرَمُ يَرْمِي حَيْلَةً : إِنْ ذَا الْأَشْرَمُ غَرَّ بِالْحُرْمِ
فَبِرْكَائِكَ اللَّهُ فِيمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِمَ
نَحْنُ دَمَرْنَا ثَمُودًا عَنْوَةً ثُمَّ عَادَاقَ قَبْلَهَا ذَاتَ الْإِرَمِ
نَعْبُدُ اللَّهَ وَفِينَا سُنَّةُ صَلَاةِ الْقُرْبَى وَإِيْفَاءِ الذِّمَمِ
لَمْ يَزَلْ اللَّهُ فِينَا حِجَّةً يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنَا النَّقَمِ

قال المسعودي : وقد استدلل قوم ممن ذهب إلى الغلو في بعض المذاهب
والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر ، وقول عبد المطلب
فيما كان منهم في قديم الزمان ، وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب
في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما قدم عليه مُنْصَرَفَةً من تبوك فأسلم ، قال :
سمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يارسول الله ، إني أريد أن أمتدحك ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لا يَفْضُضُ الله فاك ، فأنشأ يقول :

مَنْ قَبْلَهَا طَبِيتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدِعٍ حَيْثُ يَخْصِفُ الْوَرَقَ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ وَلَا مَضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ حِجَّةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغُرُقَ ^(١)
تَنْتَقِلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بِدَاطِقِ
أَنْتَ لَهَا وَارِثٌ وَأَشْرَقْتَ الـ أَرْضَ وَأَوْرَى بَنُورَكَ الْأَفْقَ

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي الذور وسبل الرشاد نخترق
قالوا : وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والأخبار والمغازي ، ونقلوا هذا
المديح من قول العباس وما كان من سرور النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
واستبشاره به ، فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشرعين شعر
عبد المطاب وشعر العباس دلالة لهم على موطن ادعوها ، وتغلغوا إلى شبه بعيدة
استخرجوها ، فمنع منها ما تقدم من أوائل العقول ، وموجبات الفحص ، ذكر ذلك
جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزهم ، من فرق الحمدية والعلانية
وغيرهم من فرق الغلاة : منهم إسحق بن محمد النخعي المعروف بالأحمر في كتابه
المعروف بكتاب الصراط ، وقد ذكر ذلك الفياض بن علي في نقضه لكتاب
الصراط ، وذكره المعروف بالهنكي في نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط ،
وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب ، وهو على مذهب العلانية ، وقد أتينا على
ذكر هؤلاء الحمدية والتمريرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط ،
واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب إلى القول بتناسخ الأرواح في
أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم من سلف من اليونانيين والهند
والثنوية والمجوس واليهود والنصارى ، وذكر قول أحمد بن حنبل وابن يالوس
وجعفر القاضي ، إلى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتأخر إلى هذا الوقت - وهو سنة
اثنين وثلاثين وثلثمائة - ممن أحدث تقريرا على ما سلف من أصولهم ، وأبدى شبها أيدها
ما تقدم من مذاهبهم ، مثل الحسين بن منصور المعروف بالخلاج ، وأصحاب أبي
يعقوب المراتبي ، ثم أصحاب السوق ومن تأخر عنهم وفارقهم في أصولهم ، مثل أبي
جعفر محمد بن علي اللقاني المعروف بابن أبي القراق وغيرهم من أمم ، وذكرنا الفرق
بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا الوقت من يراعى وقت الظهر ، وأصحاب

حجج الليل والنهار؛ إذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ، وأن الأرواح تنتقل في شيء من الأجسام الحيوانية، وأحالوا على القديم عز وجل، أن يجوز عليه شيء مما تقدم في كتابنا آنفاً

وقد تغلغل بنا الكلام في ذكر عبد المطلب؛ تنازع الناس في عبد المطلب: فمنهم من رأى أنه كان مؤمناً موحداً، وأنه لم يشرك بالله عز وجل، ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نقل في الأصحاب الطاهرة، وأنه أخبر أنه ولد من نكاح لامن سفاح، ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركاً، وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من صح إيمانه، وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق وفي النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوماً للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم

وقد أتينا على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله في كتابنا «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «الاستنصار» ووصف أقاويل الناس في الإمامة وفي كتاب «الصفوة» أيضاً

وكان عبد المطلب يوصى ولده بصلة الأرحام، وإطعام الطعام، ويرغبهم فعل من يراعى في المتعقب معاداً وبعثاً ونشوراً، وجعل السقاية والرفادة إلى ابنه عبد مناف — وهو أبو طالب — وأوصاه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد تنوزع في اسم أبي طالب: فمنهم من رأى أن اسمه ما وصفنا، ومنهم من رأى أن كنيته اسمه، وأن علي بن أبي طالب رضى الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم «وكتب علي بن أبي طالب»، باسقاط الألف، وقد ذكر عبد المطلب في شعر له وصية أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: —

أوصيت من كنيته بطالب بابن الذي قد غاب ليس بأب
وقد كان أكبر العرب ممن بقى ودثر يُقَرُّ بالصانع ويستدل على الخالق

وقد كان في ملك النمرود بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التي
نسفت صرح النمرود ببابل من أرض العراق ، فبات الناس ولسانهم سرياني ،
وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا ، فسمى الموضع من ذلك
الوقت بابل ؛ فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا ، وفي ولديا فت
ابن نوح سبعة وثلاثون لسانا ، على حسب ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب ،
وكان من تكلم بالعربية يعرّب وجرم وعاد وعيسيل وجديس وثمود وعملق
وطسم ووبار وعبد بن ضخم ؛ فسار يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن
إرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول : —

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل الأيمن العرب ذى المهمل
يا قوم سيروا في الرّعيّل الأول أنا الندى باللسان المسهل
الأيمن المنطق غير المشكل حثوت والأمة في تبليل
يا قوم سيروا في الرعيّل الأول نحو يمين الشمس في تمهل
فحل باليمن على ما وصفنا آتقا من هذا الكتاب

وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو
يقول : —

إني أنا عاد الطويل البادى وسام جدّي بن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزبادى وسوقه الطارف والتلادى
فحل بالأحفاف وأداني الرمل بين عمان وحضر موت واليمن ، وتفرق هؤلاء
في الأرض ؛ فانتشر منهم ناس كثير : منهم جيرون بن سعد بن عاد حلّ بدمشق
فصّر مصرها ، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها ، وشيد بنيانها ، وتسمى إرم ذات
العماد ، وقد روى عن كعب الأحبار في إرم ذات العماد غير هذا ، وهذا الموضع
بدمشق في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — سوق من أسواقها ،
عند باب المسجد الجامع ، يعرف بجيرون ، وجيرون هو بنيان عظيم كان

مسير عاد
إلى الأحفاف

إرم ذات
العماد بدمشق

قصر هذا الملك ، عليه أبواب من نحاس عجيبة : بعضها على ما كانت عليه ،
والبعض على مسجد الجامع ، وقد ذكرنا فيما مر خبر بني أسهود
وسار بعد عاد بن عوص ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن
تبعه وهو يقول : —

نزل ثمود
الحجر

أنا الفتى الذى دعى ثمودا يا قوم سيروا ودعوا التريدا
لعلنا أن ندرك الوفودا فنلحق البادى لنا العديدا
إنا أبينا اليعرب الحميدا وعاد ما عاد الفتى الجليدا
فنزل هؤلاء الحجر إلى فرع ، وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من الكتاب ،
وخبر نبينهم صالح عليه السلام ، وأنهم نحو وادى القرى بين الشام والحجاز
وسار بعد ثمود جد يس بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده
ومن تبعه وهو يقول : —

مسير جد يس
إلى اليمامة

أنا جد يس والمسير المسلكا فدتك نفسى يا ثمود المهلكا
دعوتنى فقد قصدت نحوكا إذ سارت العيس وأبدت شخصكا
وقد قلنا فيما سلف : إنهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة

وسار بعد جد يس عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو
يقول : —

مسير عملاق
إلى مواضع
مختلفة

لما رأيت الناس ذا تبكبل وسار منا ذو اللسان الأول
وحدثتنا فى اللاحاق الأول فسرت حثا بالسوام المهمل

فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ، ومنهم من سار إلى بلاد مصر والمغرب ؛
وقيل : إن هؤلاء بعض فراعنة مصر ، وقد ذكرنا قول من ألحق العماليق
وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن إسحق بن إبراهيم الخليل ، وزعم أنهم من ولد
العيس على حسب ما ذكرنا فيما تقدم ؛

وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشام وغيره ، وقد

أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في كتابنا « أخبار الزمان » وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق ، وأنهم انضافوا إلى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من تغور الروم فيما بينهم وبين فارس

فمن ملك الروم من العماليق أذينة بن السميدع الذي ذكره الأعشى في قوله : —

أزال أذينة عن ملكه وأخرج عن ملكه ذا يزن
وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة بن طرب ، ويقال : هو الذي يعرف بأمه

ثم ملك عمرو بن طرب ، ويقال : هو الذي كان يعرف بأمه ، وقد كان بينه وبين جذيمة الأبرش الأزدي ابن مالك حروب كثيرة ، فقتله جذيمة على ما ذكرنا ، وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر : —

كان عمرو بن زبال يعيش مسلكا ولم يكن حوله الرايات تحتفق
لأم جذيمة من ضرساء مشعلة فيها خراشف بالنيران ترتشق
ثم سار طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول : —

إني أنا طسم وجدّي سام سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الأخ والأعلاما قلت لنفسى : ألحق السواما
أخاك عملاقا وذا الإقدام يافث لا كان ولي حام

فنزله هؤلاء البحرين

وقد كان جميع من ذكرنا بدوا ، وانتشروا في الأرض ، على حسب ما ذكرنا من مساكنهم ، وكثرت جدیس فملك عليها الأسود بن غفار ، وكثرت طسم ؛ فملك عليها عمليق بن جدیس ، وقد ذكرنا عبيد بن شريعة الجرهمي

مسير طسم نحو البحرين

حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم بن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعاً باليمامة ، واسمها إذ ذاك جو

عملوق ملك
طسم الظالم

وكان لطسم ملك يقال له عملوق ، وكان ظلوماً غشوماً ، لا ينهائى شئ عن هواه ، مع إصراره وإقدامه على جديس ، وتعديه عليهم ، وقهره إياهم ، فلبثوا في ذلك دهراً ، وهم أهل مظلماً ، قد غمطوا النعمة ، وانتكسوا الحرمة ، وبلادهم أفضل البلاد ، وأكثرها خيراً ، فيها صنوف الشجر والأعشاب ، وهى حدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق ، فأراد قبض ولده منها ، فأبت عليه ، فارتفعوا إلى الملك عملوق ليحكم بينهما ، فقالت المرأة : أيها الملك ، هذا الذى حملته تسعاً ، ووضعته دفعا ، وأرضعته شفعا ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفى خصاله ، أراد أن يأخذه قسراً ، ويسلبنيه قهراً ، ويتركنى منه صفراً ، قال زوجها : قد أخذت المهر كاملاً ، ولم أنل منه نائلاً ، إلا ولداً حاملاً ، فافعل ماأنت فاعلا ، فأمر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل فى غلمانها ، فقالت هزيلة فى ذلك : —

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَبْرَمَ حُكْمًا فِى هَزِيلَةِ ظَالِمَا
لِعَمْرِى لَقَدْ حَكَمْتَ لَامْتُورَعَا وَلَا فَهَمًا عِنْدَ الْحُكُومَةِ عَالِمَا
نَدِمْتُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَتَزَحِّح وَأَصْبَحَ زَوْجِى حَائِرَ الرَّأْيِ نَادِمَا

فبلغ الملك قول هزيلة ، فغضب ، وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف إلى زوجها حتى تحمل إليه فيفترعها قبل زوجها ، فلقوا من ذلك ذلاً طويلاً ، ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة ، وقيل : الشموس ، بنت غفار الطسمى أخت الأسود بن غفار^(١) ، فلما كانت ليلة هديها إلى زوجها انطلق بها إلى عملوق الملك ليطأها على عادته ، ومعه القينات يعنين ويقنن فى غنائهن : —

(١) هكذا ورد فى تاريخ الطبرى (٣٨: ٢) ووقع فى الأصول « الشموس بنت عمار أخت الأسود بن غفار » بالخطأ فى الموضعين وعدم الاتفاق حتى على الخطأ

إبدأ بعملوق وقومى فاركبى وبادرى الصبح بأمر معجب
فالبكر بعدكم من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملوق واقترعها وخلقى سبيلها فخرجت عفيرة على قومها
فى دماؤها شاقّة جيبها عن قبلها ودبرها ، وهى تقول :

لأحد أذل من جدیس أهكذا يفعلُ بالعروس

وقالت أيضا تحرض جدیس على طسم ، وأبت أن تمضى إلى زوجها
من كلمة : —

أصلح مايؤتى إلى فتیاتکم
أصلح تمشى فى الدما فتیاتکم
فان أنتم لاتغضبوا بعد هذه
ودونکم طیب العروس ؛ فاما
قبيحا وشيكا الذى ليس دافعا
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
فموتوا كراما واصبروا لعدوكم
ولا تجزعوا للحرب ياقوم إنما
فيهلك فيها كل نكس مؤكل
وفى ذلك يقول أخوها : —

جاءت تمشى طسم فى خمیس
ياطسم ماتقیت من جدیس
كالريح فى هشهشة اليبیس
حقالك الویل فهیسی هیسی

قال : فلما سمعت جدیس بذلك وغيره من قولها اجتمعت غضبا لذلك ، فقال
لهم الأسود بن غفار ، وكان فيهم سيدا مطاعا : يا جدیس ، أطيعونى فيما آمرکم به ،
وأدعوك إليه ، ففى ذلك عز الدهر ، وذهاب الذل ، قالوا : وما ذلك ؟ قال :
قد علمتم أن هؤلاء — يعنى طسما — ليسوا بأعز منكم ، ولكن ملك صاحبكم عليكم
وعليهم هو الذى يذعننا إليه بالطاعة ، ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ، ولو

امتنعنا منه لكان لنا النصف ، فقالوا : قد قبلنا قولك ، ولكن القوم أقرانا ،
وأكثر عددا وعددا منا ، فنخاف إن ظفروا بنا أن لا يقيّلونا ، فقال : والله
يا جديس لتطيعنني فيما آمركم به وأدعوكم إليه ألا تسكن على سيفي فأقتل به نفسي ،
قالوا : فانا نطيعك فيما قد عزمنا عليه ، قال : فاني صانع لعمالق وقومه من طسم
طعاما وداعيمهم إليه ، فاذا جاؤا إليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا إليهم
بأسيافنا ، فانفردت أنا بالملك ، وانفرد كل رجل منكم برجل منهم ، قالوا : فافعل
ما بدالك ، واجتمع رأيهم عليه ، فقاتل عفيرة لأخيبا الأسود : لا تفعل هذا ؛ فان
الغدر فيه ذلة وعار ، ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما ، قال
لا ، ولكن نمكر بهم ، فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم ، وأبلغ في الانتقام
منهم ، فقاتل عفيرة في ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا

ثم إن الأسود صنع طعاما كثيرا ، وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في
الرمل حيث أعدوا الطعام ، ثم قال لهم : إذا أتاكم القوم يرفلون في حليهم فخذوا
أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، وابدؤا بالرؤساء ؛ فانكم إذا
قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ، ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها ، قالوا : تفعل
ما قلت .

ثم دعا الأسود بعمالق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليامة فأسرعوا
إجابة دعوة الأسود ، فلما توافوا إلى المدعاة وثبت جديس ، فاستثاروا سيوفهم من
الرمل ، وشدوا على عمالق وأصحابه فقتلوه حتى أفنوه عن آخرهم ومضوا إلى ديارهم
فاتهبوها ، وقال الأسود بن غفار في ذلك أشعارا يرثي بها طسما ، ويذكر نعيمها
وفعل عمالق بأخته ، يطول عن ذكرها الكتاب ، وقد تقدمت فيما سلف
من كتبنا .

رباح بن مرة الطسمى
يستنجد حمير
على جديس

قال : وهرب رجل من طسم - وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى - فأتى
إلى حسان بن تبع الحميري ملك اليمن يومئذ ، فاستغاث به ، وقد كان عمد إلى

جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا ، وحملها معه ، وأخرج معه كلبة ، فلما ورد على حسان كسريد كلبته ، وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ، ودخل إلى حسان واستعاذ به ، وأخبره بالذي صنعت جديس بقومه ، فقال له الملك : لله أبوك ، فمن أين مبداك ؟ قال : أبيت اللعن من أرض قريية وقوم انتهبك منهم ما لم ينتهبك من أحد ، أنا رباح بن مرة الطسمى ، دعتنا جديس إلى مدعاة لهم فأجنبناهم منفصين في الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم ، فما ذقنا الطعام حتى صرنا حطاما ، بلا طلب دم ولا ترة سلفت ؛ فدونك - أبيت اللعن - قوما قطعوا أرحامنا ، وسفكوا دماءنا ، قال الملك حسان : أمعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة ؟ قال : نعم ، فقال الملك : إن كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريية ، ووعدته بالنصرة ، ثم نادى في حمير بالمسير ، وأعلمهم بما فعل بطسم ، قالوا : من فعل هذا أبيت اللعن ؟ قال : عبيدهم ، قالوا : مالنا في هذا من أرب ، هم إخواننا فلا نعين بعضنا على بعض ، وهم عبيدك أيها الملك فدعهم ، فقال حسان : ما هذا بحسن ، أرايتم لو كان هذا فيكم أكان حسنا لملككم أن يهدر دماءكم ؟ وما علينا في الحكم إلا أننا ننصف بعضنا من بعض ، فقام فرسانهم فقالوا : أبيت اللعن الأمر أمرك ، فمرنا بما أحببت ، فأمرهم بالمسير ، فساروا وسار بهم رباح بن مرة ، حتى إذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان : أبيت اللعن ، إن لى أختا متزوجة في جديس ليس في الأرض أبصر منها إنها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال ، وأنا أخاف أن تنذر القوم بك ، فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقطع شجرة من الأرض فيجعلها أمامه ثم يسير ، فأمر حسان بذلك ، ففعلوا ثم ساروا ، وكان اسم أخت رباح « يمامة » فأشرفت من منظرها فقالت : يا جديس ، لقد سارت إليكم الشجر ، قالوا لها : ماذا ؟ قالت : أشجار تسير وراءها شيء ، وإني لأرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا ، فكذبوها ، وكان ذلك كما ذكرت ؛ فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ،

ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم :

إني أرى شَجَرًا من خلفها بَشَرٌ فكيف تجتمع الأشجار والبشر

ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

وأقبل الملك حسان بحمير حتى إذا كان من جوّ على مسيرة ليلة عبى جيوشه

ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا ، فأففى نساءهم وصبيانهم ، وهرب

الأسود بن غفار ملكها حتى نزل بدار طيء فأجاروه من الملك وغيره ، من غير

أن يعرفوه ، فيذكر أن نسله اليوم في طيء مذكور .

فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة ، وكانت امرأة زرقاء ،

فأمر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود ، فسألها عن ذلك ، فقالت : حجر

أسود يقال له الأئمد كنت أكتحل به فنشب إلى بصرى ، وكانت أول من

اكتحل به ، فاتخذوه بعد ذلك كحلا ، وأمر الملك باليمامة فصُلبت على باب

جو ، وقال : سموأجوا باليمامة ؛ فسميت بها إلى اليوم .

قال المسعودى : ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن

سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه ، فنزل بأرض وبار بالأرض المعروفة برمل

عالج ، فأصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الأرض ، وقد قدمنا

فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الأخباريون من العرب ،

وخرجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الأمر المفهوم ؛ بزعمهم أن الله عز

وجل حين أهلك هذه الأمة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما

وكانت ديار داسم بأرض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة ، وطسم كانت

ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بوا وبلاد حوران والتبت ، وذلك بين دمشق

وطبرية من أرض الشام ، وعملاق وعاد وشمود ، وأن الجن كانت تسكن في ديار

وبار ، وحماتها من كل من أرادها وقصد إليها من الإنس ، وأنها كانت أخصب

بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا ، وإن دنا أحد

مسير وبار
ابن أميم

أرض وبار
مسكن الجن
في زعم العرب

من الناس إلى تلك البلاد غالطاً أو متعمداً حثت الجن في وجهه التراب ، وسفت عليه سوافي الرمل ، وأثارت عليه الزوابع ، فإن أراد الرجوع خبلوه وتيهوه ، وربما قتلوه ، وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل ، فاذا قيل لهم : دلُّونا على جهنم ، وقفُّونا على حده ، زعموا أنها من أرادها أغشى على قلبه ، كأنهم كنى إسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصدَّهم الله تعالى عن الخروج ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أن تم فيهم مراده ، وانتهى فيهم حكمه ، وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم في هذه الأرض المجهولة : —

دَعَا جَعَلَا لَا يَهْتَدَى لَمَقِيلَهُ مِنْ اللُّؤْمِ حَتَّى يَهْتَدَى لَوُبَارِ
وَدَاعٍ دَعَاوَاللَّيْلِ مُرْخٍ سُدُّوْلَهُ رَجَاءُ الْقَرَى يَامَسْلَمِ بْنِ جِبَارِ
وَأَقْوَاهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرَةٌ

والعرب ممن سلف وخلف في الجاهلية والاسلام يخبروننا عن هذه الأرض كأخبارهم عن وادى الروم والصَّمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الأرضين التى نزلوا فيها ؛ يجتمعون عليها طلباً للماء والكلاء ، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية ، وهى عندهم من الإبل التى قد ضربت فيها فحول الجن ، فالوحشية من نسل إبل الجن ، والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية ، وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى : —

كَأَنِّى عَلَى وَحْشِيَّةٍ أَوْ نَعَامَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الطَّيْرِ وَهُوَ ظَلِيمٌ
وَالْأَشْعَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ

وفى بسطنا لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها — مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز — خروجٌ عن حد الإيجاز والاختصار ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا

مسير عبد ضخم

وسار بعد وبار بن أميم عَبْدُ ضَخْمِ بْنِ إِرْمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لُؤْلُؤٍ وَمِنْ تَبْعِهِ إِلَى الطَّائِفِ

فنزّلوا الطائف ، فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر ، فذثروا وذكرتهم الشعراء ،
وفيههم يقول الأزدى : —

وعبد ضخم إذا نسبتهم أبيض أهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقاً يجمعهم فين الخط قحة العرب

وذكر أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم ، وهى
حروف ا ب ت ث ، وهى التسعة والعشرون حرفاً ، وقد قيل غير ذلك ، على
حسب تنازع بدء الكتابة .

وسار بعد عبد ضخم بن إرم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه ، وطافوا
البلاد ، حتى أتوا مكة فنزلوها ، وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى : —

هذا سبيل كسبيل يعرب البادى القول المبين المعرب
يا قوم سيروا عن فعال الأجنب جرهم جدى وقحطان أبى

وسار أميم بن لاوذ بن إرم بعد جرهم بن قحطان فحل بأرض فارس ؛
فانقرس — على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، فى باب تنازع الناس
فى أنساب فارس — من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ،
وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الإسلام : —

أبونا أميم الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك بهم فخرى
وما عد قوم من حديث وحادث^(١) من المجد إلا ذكرنا أفضل الذكر

وقد ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل
كانوا أهل خيم وبدوا مجتمعين فى مساكنهم من الأرض ، وأن أمياً أول من ابتنى
البنيان ، ورفع الحيطان ، وقطع الأشجار ، وسقف السقوف ، واتخذ السطوح ،
وأن ولد حام بن نوح حلّوا ببلاد الجنوب ، وأن ولد كوش بن كنعان خاصة
هم النوبة ، على حسب ما قدمنا آنفاً فى باب السودان من هذا الكتاب ، وأن

(١) كذا ، ولعله « من قديم وحادث »

فخذنا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد إفريقية وطنجة من أرض المغرب ،
فنزلوها ؛ وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام

تنازع الناس
في نسب البربر

وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر ؛ فمنهم من رأى أنهم من غسان
وغيرهم من اليمن ، وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب
عند ما كان من سيل العرم ، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان ، ومنهم من
رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا

الشام
بلاد كنعان

ونزل كنعان بن حام والأغلب من ولد كنعان بلاد الشام ، فهم الكنعانيون
وبهم تعرف تلك الديار ، فقليل : بلاد كنعان .

مسير بوقر بن
لوط إلى الهند

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والأنباط
وسار بوقر [بن لوط^(١)] بن حام بولده ومن تبعه إلى أرض الهند والسند ، وبالسند
أمم لهم أجسام طوال ، وهم من بلاد المنصورة من أرض السند ، فعلى هذا القول
أن الهند والسند من ولد بوقر بن حام بن نوح ، فولد حام في الجنوب من الأرض
الأكثر منهم ، وولد يافت في الشمال فيما بين المشرق والمغرب ، على حسب ما ذكرنا
من الأمم وتفرقها في الشرق وغيره مما يلي جبل الفتح والباب والأبواب .

بقي عاد
وأصنامها

وبغت عاد في الأرض وملسكها الجلعان بن الوهم ؛ فكانوا يعبدون ثلاثة
أصنام ، وهي : صمود ، وصداء ، والهباء ، فبعث الله إليهم هودا على حسب
ما قدمنا ، فكذبوه ، وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الخلود بن عاد^(٢)
ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل ،
وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود ، فمنعوا المطر ثلاث سنين ، وأجدبت
الأرض فلم يدرك عليهم ضرع .

وقد كان من ذكرنا من الأمم لا يجحد الصانع جل وعز ، ويعلمون أن نوحا

(١) هذه الكلمة زائدة هنا في أصول الكتاب ، وقد سقطت فيما يلي .

(٢) كذا في تاريخ الطبري (١١١: ١) وكان في الأصل « بن الخلود بن عياذ »
وسقط من الطبري ذكر خالد ، وفيه أن الدين نزلوا الهند بنو نوح بن يقطن (١٠٥: ١)

عليه السلام كان نبيا ، وأنه وفي لقومه بما وعدهم من العذاب ، إلا أن القوم دخلت عليهم شبهة بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ، ومالت نفوسهم إلى الدعة ، وما تدعو إليه الطباع من الملاذ والتقليد ، وكان في نفوسهم هيبه الصانع ، والقرب إليه بالتمثيل وعبادتها ، لظنهم أنها مقربة لهم إليه ، وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة ، وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء ، فوفدت عاد إلى مكة يستسقون لهم ، وكان بمكة يومئذ العالقيق ، فأتى الوفد مكة ، فأقبلوا على الشرب والهوى ، حتى جاءتهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر يشرحن لهم ماوردوا من أجله ، وهو : -

ألا ياقيلُ وَيَحْكُ قم فهينم لعل الله يمحطنا غماما
فيسقى أرض عادٍ إنَّ عادا قد أُمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وإن الوحش تأتى أرض عاد فلا تخشى لراميمهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا تقوا التحية والسلاما
ثم إن معاوية بن بكر دعا إحدى الجرادتين فغنت :

ألا ياقيل من عوص ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ من الطول الكرام
سقى الله بنى عاد معاصوب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم ، وبادروا إلى الاستسقاء لقومهم ، وفي مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح ، وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة : -

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشا لا تبلهم السماء
ألا قبح الإله حلوم عاد فان قلوبهم قمر هواء
لهم صنم يقال له صمود يقابله صدداء والهباء

فأبصرنا النبي سبيل رشد فأبصرنا الهدى ونأى العناء
وإني موقن فاستيقنوه بأن إله هود هو العلاء
وأن إله هود هو إلهي على الله التوكل والرجاء
وأنى لاحق بالأمس هودا وإخوته إذا حق المساء

فأرسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم ، من وادٍ لهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : (هذا عارض ممطرا) وتباشروا بذلك ، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال : (بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم - الآية) فأتتهم الريح يوم الأربعاء ، فلم تأت الأربعاء الثانية ومنهم حى ، فمن أجل ذلك كره الناس يوم الأربعاء .

وقد بينا فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك ، وكيف وقوعه من أيام الشهر فى باب الشهور ، فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انقرد هو ومن معه من المؤمنين ، وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل : -

لو أن عاداً سمعت من هود واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد عاداً وبالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عائرة القدود حبواً على الآناف والحدود
ساقطة الأجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود
أحدوثه فى الأبد الأبيد

وقال مهد بن سعد فى شعره : -

دعاهم خيفة لله هود فما نفع النذير ولا أجابوا
فلما أن أبوا إلا عتوا أصابهم بيغيهم العذاب

وقد كان الآخر من الملوك الجلبان ، وقد تقدم ذكره فى هذا الباب لملك عاد وثمود وغيرهم ، وقيل : إن أول من ملك عاداً من الملوك عاد بن عوص ثلثائة سنة ، ثم ملك ابن عاد بن عوص ، قال : ولما دثرت هذه الأمم من

العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس ، فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها ، وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها ، فقال شاعرهم يرثي من كان في تلك الديار : -

الجحفة

إِنَّ طَسْمًا وجرحها وجديسا والعماليق في السنين الخوالى
عمروا البيت حقة ثم ولوا واستمرت بهم صروف الليالى
وأراك الزمان منهم وأضحى غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فأمسوا دورهم بلقع لمرّ الشمال
وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح هو وولده ، فهلكوا بالسيل ، فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم .

يثرب

وكان يثرب بن قامة بن مهليل بن إرم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب ، فهلك هؤلاء أيضا ببعض غوائل الدهر وآفاته ، فقال شاعرهم : -

عَيْنُ جُودَى عَلَى عبيد يرجع بأماق فيضانها بانسجام
عمروا يثربا ليس بها سف ر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا السبيل بالأرحام
وقد أخبر الله جلت قدرته عنهم ، فقال : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)

تنازع الناس
في شعيب ونسبه

وقد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعييل بن مر بن عنقاء ابن مدين بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، وكان لسانه العربية : فمهم من رأى أنهم من العرب الدائرة والأمم البائدة ، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية ، ومنهم من رأى أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم ، وأن شعيبا أخوهم في النسب ، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك

متصلة ، فمنهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطى وكلن وسعفص وقرشت ، وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل ، وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك ، وهي التسعة والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل ، وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه ، على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، وليس كتابنا هذا موضعا لما قاله الناس فيها ، وتنازعوا في تأويلها والمراد بها ، وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وَّج ، وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد ، وكلن وسعفص وقرشت ملوكا بمَدْيَنَ ، وقيل : ببلاد مصر ، وكان كلن على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا ، وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم ، وأن شعيبا دعاهم فكذبوه ، ووعدهم بعذاب يوم الظلة ، ففتح عليهم باب من السماء من نار ، ونجا شعيب بمن آمن معه إلى الموضع المعروف بالأيكة ، وهي غِيَصَةُ نَحْوِ مَدْيَنَ ، فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلمت سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب ، فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم ، وأزالوهم عن أماكنهم ، وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم ، فجعلها الله عليهم نارا ، فأنت عليهم ، فرثت حارثة بنت كلن أباها فقالت وكانت بالحجاز : —

كلن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه السحتف نارا تحت ظلة
كونت نارا وأضحت دار قومي مضحلة

وفي ذلك يقول المنتصر بن المنذر المديني : —

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة أتيت بها عمرا وحي بني عمرو
وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

ملوك بني حطى وسعفص ذى الندى وهوز أرباب الثنية والحجر
همو قطنوا البيت الحرام ورتبوا خطورا وساموا فى المكارم والفخر
ولهؤلاء الملوك أخبار عجيبه من حروب وسير ، وكيفية تغلبهم على هذه
الممالك وتملكهم عليها ، وإبادتهم من كان فيها وعليها من الأمم ، قد أتينا على
ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتبنا هذا منبه عليها وباعث
على درسها .

وأما بنو حضورا وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من
الأرض والممالك ، وقد تنازع الناس فيهم : فمنهم من أحقهم بمن ذكرنا من
العرب البائدة ممن سميوا ، ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح ، وقيل
فى أنسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه ، وقد كان بعث الله عز وجل إليهم شعيب
ابن ذى مهدي بن حضورا بن عدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه ، وهذا غير شعيب
ابن نوفل بن رعبيل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل صاحب مدين
المتزوج إليه موسى بن عمران المقدم ذكره ، وبينهما مئوّن من السنين ، وقد
كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف سنة ، ولما بعث إلى حضورا واشتد
كفرهم جدّ نبيهم شعيب بن ذى مهدي فى دعائهم وخوفهم وتوعدهم ، فقتلوه من
بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت
حجته على قومه ، فلم يضيع الله دمه ، ولم يكذب وعيده ، فأوحى الله تعالى إلى
نبي كان فى عصره - وهو برخيا بن أحيبا بن روبايل بن شاليل ، وكان من
سبط يهوذا بن إسرائيل بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام - أن يأتى
بختنصر ، وكان بالشام ، وقيل غيره من الملوك ؛ فيأمره أن يغزو العرب الذين
لا أغلاق لبيوتهم ، فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك : صدقت ، لى سبع
ليال أوامر فى نومى بما ذكرت ، وأناذى بمجيئك إلى ، وأبشّر ، ويقال لى
ما أمرتى به ، وأنا أنتصر للنبي المقتول المظلوم الفريد ؛ فسار إليهم فى جنوده ،

حضورا
وتنازع الناس
فى أنسابهم

وغشى ديارهم في عساكره ، وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لخربه من حيث عم الصوت جميعهم ، وهو يقول :

سَيَغْلِبُ قَوْمٌ غَالَبُوا اللَّهَ جَهْرَةً وإن كايده كان أقوى وأكيداً
كذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مريضاً ومن وإلى النفاق والأحدأ

فلما سمعوا ذلك علموا أن الأمر قد نزل بهم ، فانقضت جنودهم ، وتفرقت جموعهم ، وولت كتائبهم ، وأخذهم السيف ؛ لخصدوا أجمعين وقد ذكر أن في قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل : (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون)

وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه : فمن الناس من رأى أنهم كانوا بأرض السماوة ، وأنها كانت عمار متصلة ذات جنان ومياه متدفقة ، وذلك بين العراق والشأم إلى حد الحجاز ، وهي الآن ديار خراب برارى وقفار ، ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية ، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة إلى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشأم

قال المسعودى : وقد آتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية ، وقد كان قبل ظهور الإسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن ، سنورد جملاً منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب ، على حسب ما نرى إلينا من أخبارهم ، واتصل بنا من آثارهم ، وذكره الناس من آرائهم ، عن الفاني والباقي ، إن شاء الله تعالى

ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهوام والصفير

وغير ذلك من مذاهب الجاهلية في النفوس والمرء

الاختلاف
في النفس

تنازع الناس في كیفیتها : فمنهم من زعم أن النفوس في الدم لا غير ، وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، ولذلك سمو المرأة نُفْسَاء لما يخرج منها من الدم ، ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء : هل ينبجسه أم لا ؟ قال تأبط شرّاً لخاله الشنفرى الأكبر ، وكان من قصته أنه قال : أجمته عضبا ، فسالت نفسه سكبا ، وقالوا : إن الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ، ولكن في حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة ؛ لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة ، فاذا مات بقي اليبس والبرد ، ونفيت الحرارة ، قال ابن براق من كلمة : —

وكم لاقيتُ ذا حُبٍّ شديد تسيل به النفوس على الصدور

إذا الحربُ العوانُ به استَهَمَت وحال ؛ فذاك يوم قَمَطَرِيرُ

وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان ، فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل : —

سَلَطَ الطَّيْرُ وَالْمَنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامٌ

لأن هذا الطائر يسمونه الهام ، والواحدة هامة ، وجاء الإسلام وهم على ذلك ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هَامَ ولا صَفَرٌ » .

الهوام

ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم ، وهى أبدا تتوحش وتصدح ، وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى .

ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به ، حتى قال الصلت بن أمية لبنيه : -

هامتى تخبرنى بما تستشعروا فتجنبوا الشنعاء والمكروها^(١)

وفى ذلك يقول فى الاسلام تَوْبَةُ فى ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيليةً سلمت على ودونى جندل وصفائح

لسامت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على أن الصدى ينزل إلى قبورهم ويصعد ، ومن ذلك

ما روى عن حاتم طيء مما سنورد خبره فى هذا الكتاب

أَتَيْتَ لَصَحْبِكَ تَبَغَى الْقَرَى لَدَى حُفْرَةٍ صَدَحَتْ هَامُهَا

وسنذكر هذا الشعر فى أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الأخيلية من

هذا الكتاب ؛ وقد قيل : إن هذه الأبيات لغير توبة ، وهذا كثير فى أشعارهم

ومشور كلامهم وسجعهم وخطبهم ، وغير ذلك من محاوراتهم .

وللعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الأرواح

وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا المترجم ؛ « سر الحياة » وكتاب « الدعاوى »
وبالله التوفيق .

ذكر أقوال العرب فى الغيلان والتغول

وما لحق بهذا الباب

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار ظريفة

العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ، ويظهر لخواصهم فى أنواع

من الصور ؛ فيخاطبونها ، وربما ضيفوها ، وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم :

فمنها قول تابط شرا : -

وأدهم قد جبتُ جِلْبَابَهُ كما اجتابت الكاعبُ الخيلا

(١) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن ولا الاعراب .

فَأَصْبَحْتُ وَالْغُولُ لِي جَارَةٌ فَيَا جَارَتِي أَنْتِ مَا أَهْوَلَا
وَطَالَبَتْهَا بِضَعْفَا فَالْتَوَتْ بَوَاجِهٍ تَغُولُ فَاسْتَعْوَلَا
فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ جَارَتِي فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوِيِّ مَنَزَلَا

ويزعمون أن رجلها رجلا عنز ، وكانوا إذا إعترضتهم الغول في الفيافي
يرتجزون ويقولون :

يَا رَجُلَ عَنَزٍ أَهَقِي نَهِيْقَا لَنْ تَنْزِلِي السَّبِيلَ وَالطَّرِيقَا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي وأوقات النهار ، فيتوهمون أنها إنسان
فيتبعونها ، فتزليهم عن الطريق التي هم عليها ، وتتيههم ، وكان ذلك قد اشتهر
عندهم وعرفوه ، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد ، فإذا صيغ بها على
ما وصفنا شَرَدَتْ عنهم في بطون الأودية ورءوس الجبال .

وقد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد
ذلك في بعض أسفاره إلى الشام ، وأن الغول كانت تقول له ، وأنه ضربها بسيفه
وذلك قبل ظهور الاسلام ، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم .

وقد حكى عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم
تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج منفردا في نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب
القفار ، وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى في الشكل ، وقد ذهبت طوائف
من الهند إلى أن ذلك إنما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند
طلوعها ، مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الحبار ، وهى الشعرى العبور ،
وأن ذلك يُحْدِث داء في الكلاب ، وسهيل في الحمل ، والتئب في الدب ،
وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في الصحارى وغيرها
من العالم قسميه عوام الناس غولا ، وهى ثمانية وأربعون كوكبا ، وقد ذكرها
بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر ، وقد وصف ذلك أبو معشر في كتابة المعروف
بالمدخل الكبير في النجوم ، وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره في
أنواع مختلفة

الغول تتلون
وتضلل

عمر بن
الخطاب
والغول

الغول
عند الفلاسفة
والمتجيمين

وزعمت طائفة من الناس أن الغول شيء يعرض للسفّار ، ويتمثل في
 ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى ، إلا أن أكثر كلامهم على أنه أنثى ،
 وقد قال أبو المطراب : —

وحالفني الوحوش على الوفاء وتحت عهدهن وبا البعاد
 وغولا قفرة ذكرا وأنثى كأنّ عليهما قطع النجاد

وقال آخر — وهو كعب بن زهير الصحابي : —
 فما تدوم على حال تكوّنُ بها كما تلوّنُ في أثوابها الغولُ
 وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في هذا المعنى ، وأن كل
 كوكب يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعا من
 الأفعال ينفرده بفعله عن غيره من الكواكب

وكانت العرب قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث
 والتحليل واختلال السابلة ، قال أبو المطراب : —

فلله درُّ الغول أي رقيقة لصاحب قفّرٍ حالف وهو معبر
 أرنت بلحن بعد لحن ، وأوقدت حوآلى نيرانا تلوح وتزهر

السعلة

وقد فرقوا بين السعلة والغول ، قال عبيد : —
 وساخرة منى ، ولو أن عينها رأت ما رأت عيني من الهول جنت
 أبيت بسعلة وغول بقفرة إذا الليل وآرى اللحن فيه أرنت
 وقد وصفها بعضهم فقال : —

وحافر العنز هم ساق مدملجة وجفن عين خلاف الإنس بالطول

بعض إيناء
 الغيلان
 والشیاطين
 للإنسان

وللناس كلام كثير في الغيلان والشیاطين والمردة والجن والقرب والقدار ،
 وهو نوع من الأنواع المشیطنة يعرف بهذا الاسم ، يظهر في أكناف اليمين والتهائم
 وأعلى صعيد مصر ، وأنه ربما يالحق الإنسان فينكحه فيتدوّد دبره فيموت ،
 وربما يتوارى للإنسان فيذعره ، فاذا أصاب الإنسان ذلك منه يقول له أهل تلك

النواحي التي سمينا : أمكنوح هو أم مذعور ؟ فان قالوا منسكوح يُئس منه ، وإن كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله ، وذلك أن الإنسان إذا عين ذلك سقط مغشيا عليه ، ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكثر به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه ، وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ، ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من هذه البقاع التي يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة أو غير ذلك من الآفات والأدواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين ، والله أعلم بكيفية ذلك

ولم نذكر في هذا الكتاب ما ذكره أهل الشرائع وما ذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو ، كوهب بن منبه وابن إسحق وغيرهما أن الله تعالى خلق الجن من نار السموم ، وخلق منه زوجته ، كما خلق حواء من آدم ، وأن الجن غشيا فحملت منه ، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة ، وأن بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة ، وهي أم القطارب ، وأن القطربة على صورة الهرة وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحرث أبو مرة ، وأن مسكنهم الجزائر ، وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخرابات والقلوات ، وأن السعالى من بيضة أخرى سكنوا الحمامات والمزابيل ، وأن الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك ، وأن من بيضة أخرى الحماميص - لأننا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وأتينا على ذكر أنسابهم والمشهور من أسمائهم ومسكنهم من الأرض والبحار ، وإن كان ما ذكره أهل الشرع مما وصفنا ممكننا غير ممتنع ولا واجب ، وإن كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرنا ، ويأبون ما وصفنا ، والمصنف حاطب ليل ، فأوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم ؛ إذ الواجب على كل ذي تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق في معنى ما ذكرناه ، وأتينا أيضا على سائر ما خبرنا من الأشخاص التي هي مرئية من

الجن والشیاطین وما قالوه فی سلوك الجن فی کتابنا المترجم بـ « کتاب المقالات فی أصول الدیانات » وبالله التوفیق

ذكر قول العرب فی الهواتف والجان

فأما الهواتف فقد كثرت فی العرب ، واتصلت بديارهم ، وكان أكثرها أيام مولد النبی صلی الله علیه وسلم ، وفي أولیة مبعثه ، ومن حکم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غیر مرئی

قال المسعودی : وقد تنازع الناس فی الهواتف والجان : فذكر فريق منهم وقال : إن ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد فی القفار ، والتفرد فی الأودية ، والسلوك فی المهامه والمروراة^(١) الموحشة ، لأن الإنسان إذا صار فی مثل هذه الأماكن يوجد له تفکر ووجل وجبن ، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام المؤذية ، والسوداویة الفاسدة ، فصورّت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ، وأوهمته الحال بنحو ما يعرض لذوی الوسواس ، وقُطِبُ ذلك وأسَّه سوء التفكير ، وخروجه علی غیر نظام قوى ، أو طریق مستقیم سليم ، لأن المتفرد فی القفار والمتوحد فی المروراة^(١) مستشعر للمخاوف ، متوهم للمتالف ، متوقع للحتوف ؛ لقوة الظنون الفاسدة علی فكره ، وانغراسها فی نفسه ، فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به ، واعتراض الجان له ، وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول : إن من الجن من هو علی صورة نصف الإنسان ، وإنه كان يظهر لها فی أسفارها فی حین خلواتها وتسميه شقاً

وذكر عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محدث الكنانی جد مروان بن الحكم لأمه أنه خرج فی بعض الليالی يريد مالا له بمكة ، فأنتهى إلى الموضع المعروف بخط عريان فإذا هو بشق قد ظهر له فی أوصاف ذكرها فقال : —

عَلِّمَ إِنْی مَقْتُولٌ وَإِنْ لَحْمِي مَأْكُولٌ

(١) المروراة - بفتح الميم والراء وسكون الواو - الأرض لاشيء بها ، وجمعها مروري ومروريات .

الهاتف
واختلاف
الناس فيه

علقمة بن
صفوان
والهاتف

أضربهم بالمدلول ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة : —

شَقُّ ، مالى ولك اغمد عني مُنْصَلَكُ
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين ، وهذا مشهور عندهم ، وأن علقمة
ابن صفوان قتلته الجن

وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتها في حَرْبِ بن أمية حين قتلته
الجن ، وهما : —

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا من قول الجن بأن أحدا من الناس لم يتأت له أن
ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع في إنشادها ؛ لأن الناس
قد ينشدون العشرين بيتا والأكثر والأقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا
يتتبعون فيه

ومن قتلته الجن مِرْدَاسُ السَّلَمَى ، وهو أبو عباس بن مرداس السلمي ،
وممنهم الغريص المغنى ، بعد أن ظهر غناؤه ، وقد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات
من الشعر ، فغناها ، فقتلته

وحدث يحيى بن عتاب ، عن علي بن حرب ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى
عن منصور بن زيد الطائي ، قال : رأيت قبر حاتم طيء بيعة ، وهو أعلى جبل
له واد يقال له الحامل ، وإذا قدر عظمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر
من التدور التي كان يطعم فيها الناس ، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة ،
وعلى يساره أربع جوار من حجارة ، كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره
كالنوائح عليه ، لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن ، مثلهن الجن على

بعض الذين
قتلتهم الجن

قبره ، ولم يَكُنْ قبل ذلك ، والجواري بالنهار كما وصفنا ، فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ، ونحن في منازلنا نسمع ذلك ، إلى أن يطلع الفجر [فاذا طلع الفجر ^(١) سكتن وهدأن ، وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجبا بهن ، فاذا دنا منهن وجدهن حجارة

وحدث يحيى بن عتاب الجوهري ، قال : حدثنا علي ، قال : أنبأني عبد الرحمن ابن يحيى المنذري ، عن أبي المنذر هشام الكلبي ، قال : حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد ، عن أبيه ، وكان مولى لأبي هريرة يحدث ، قال : كان رجل يكنى أبا البَخْتَرِي مَرَّ في نَقَرٍ من قومه بقبر حاتم طيء ، فنزلوا قريبا منه ، فبات أبو البختري يناديه : يا أبا الجعد ، أَقْرَبَنَا ، فقال قومه له : مهلا ما تكلم من رمة بالية ؟ قال : إن طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قرأه ، وناموا ، فانتبه صائحا : وارحلتاه ، فقال له أصحابه : ما بدالك ؟ قال : خرج حاتم من قبره بالسيف ، وأنا أنظر ، حتى عقر ناقتي ، قالوا له : كذبت ، ثم نظروا إلى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تتبع ، فقالوا له : والله قرأك ، فظالوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ، ثم أردفوه ، وانطلقوا سائرين ، فاذا راكبٌ بعيرٌ يقود آخر قد لحقهم فقال : أيكم أبو البختري ؟ فقال أبو البختري : أنا ذلك ، قال : أنا عدى بن حاتم ، وإن حاتما جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل ، فذكر شتمك إياه ، وأنه قرى أصحابك براحتك وأنشد : —

أبا البَخْتَرِيَّ ، لَأَنْتَ امْرُؤٌ ظَلُمَ العَشِيرَةَ شَتَامُهَا
أَتَيْتَ بِصَحْبِكَ تَبْغِي القَرَى لَدَى حُفْرَةٍ صَدَحَتْ هَامُهَا
أَتَبْغِي لَدَى الرَّمِّ عِنْدَ المَبِيتِ وَحَوْلَكَ طِيٌّ وَأَنْعَامُهَا
فَإِنَّا سَنَشْبَعُ أَضْيَافَنَا وَنَأْتِي المَطْيَ فَنَعْتَامُهَا

وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك ؛ فدونكه

وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفاني في مدحه عدى بن حاتم حيث يقول: —

أبوك أبو سبابة الخير لم يَزَلْ لدُنْ شَبَّ حَتَّى مات في الخير راغباً

بِهِ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي الشَّعْرِ مَيِّتًا وكان له إذ ذاك حياً مصاحباً

قَرَى قَبْرَهُ الْأَضْيَافُ إِذْ نَزَلُوا بِهِ ولم يَقْرَ قَبْرُ قَبْلِهِ الدَّهْرُ رَاكِبًا

وحدث أبو محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي

عبيدة معمر بن المثنى، قال: سمعت شيخاً من العرب قد أناف على المائة يقول:

إِنَّهُ خَرَجَ وَافِدًا عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ، قَالَ: فَسَرْتُ فِي لَيْلَةٍ صَهَاكِيَّةَ حَالِكَةٍ

كَأَنَّ السَّمَاءَ قَدْ بَرَقَتْ نَجْمُهَا بِطَرَائِقِ السَّحَابِ، وَضَلِلْتُ الطَّرِيقَ، فَتَوَلَّجْتُ

وَادِيًا لَا أَعْرِفُهُ، فَأَهْمَتْنِي نَفْسِي بِطَرَحِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ، فَلَمْ أَمِنْ عَرِيفِ الْجَنِّ،

فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَبِّ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّهِ، وَأَسْتَجِيرُهُ فِي طَرِيقِ هَذَا، وَأَسْتَرْشِدُهُ،

فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي: —

تَيَّامَنْ تَجَاهَكَ تَلَقَّ الْكَلَا تَسِيرُ وَتَأْمِنُ فِي الْمَسْلَكِ

قال: فتوجهت حيث أشار إلى، وقد أمنت بعض الأمن فاذا أنا بأقباس

نار تلمع أمامي في خلالها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة، فسرت وأصحبت

بأوسال — وهو ماء لـكـلب يقارب بـرية دمشق

وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ

يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)

ذكر ما ذهب إليه العرب

من القيافة والزجر والسائح والبارح وغير ذلك

تنازع الناس في القيافة وغيرها مما ذكر : فذهبت طائفة إلى تحقيق القيافة والأخذ بها ، لأن الأشباه تُنزع ، وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لأبيه أو أحد من أهله من جهة من الجهات ، ومنهم من ذهب إلى أن في الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الأعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك ، وأبى آخرون ما وصفنا ؛ إذ كان الناس قد يتشابهون في حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ، ويفترقون في غيرها من الصور ، وليس وجود الأغلب من الأشباه مما يوجب إلحاق الشبه بشبهه ودون أن يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالنتيain .

وهذه المعاني من خواص ما للعرب ، وما تفردت به دون سائر الأمم في الأغلب منها ، وإن كانت الكهانة قد وجدت في غيرها فان القيافة والزجر والتفائل والتطير ليس لغيرها في الأغلب من الأمور ، وليس هو موجوداً في سائر العرب ، وإنما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظر ، وإن وجد ذلك في بعض الأمم كوجود ذلك في الإفرنجية وما جانسها من هنالك من الأمم ؛ فيمكن أن يكون ذلك موروثاً عن العرب ، ومأخوذاً منها في سالف الدهر ؛ لأن العرب قد تنقلت في البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك إلى الجنس الذي قطنت بينهم العرب ، ويمكن أن تكون الإفرنجية ومن وجد فيها ذلك من الأمم أخذت بعد ظهور الإسلام عن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة ، وإن كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفاً ، ويمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به ؛ إذ كان ذلك داخلاً في الامكان خارجاً من باب الممتنع ؛ فيكون الزجر والفأل شاملاً لبعض

الخلاف في
القيافة
وجوازها

اختصاص
العرب بذلك

العرب وغيرها من خواص الأمم ، كوجود النعط للبربر ، والنظر في الكتف وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس .

وقد ذهبت طائفة ممن سلف من أهل البحث والتنقير إلى أن القيافة اسم منشأ القيافة مشتق من القفو ، وهو معنى استدلالى ، وأصل ذلك أن الأشكال انفصلت في صورة أنسابها بأشياء تخص الأنواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل أضرابها في وحيدات الأشخاص ، وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجهه الطبيعة من اتفاق كل شئ في حوزته وصرفه إلى وجهه ، كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أبانته من أغياره ، وفرقت بينه وبين أشكاله فذلك أيضا خصت أوحاد الأشخاص المنفصلة في الهيئة وتغير الغير من أغياره ، وكذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى في المرأى لغير من أغياره ، وكذلك لا تكاد وإن ضمها النوع وشمها المادة ؛ فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للأقرب صورة ؛ لأن تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع ، وكذلك تشبيه الشخص إلى النوع أقرب منه إلى الجنس ؛ لأن النوع والشخص قد ضمهما حدان مشتركان ، وإنما ضمه ضرب من ضروب البحث ، والجنس حد واحد ، فهو أصل القيافة عند الطائفة ، وهو ضرب من ضروب البحث وإلحاق النظر في الأغلب بنظيره ، من حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل ، وهو القياس بعينه ، وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسالمين ، وإنما هذا انتزعه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين ، فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة إلى القدم لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، والولد لو خالف صورة أبيه في كنهه أفعاله وباينه في سائر شكله في الأغلب لواقفه في القدم ، لأن النسل لا بد له من تخصيص قوته بشئ يميزه من غيره ينبه من سواه ، ولذلك وجدوا الطول في أزدشنوأة ، وكذلك صار الجفأة الأجسام والغلظ في الروم وأصحاب الجمال والأكثر من أهل الشام وأوباش مصر ، واللؤم في الخزر وأهل

حران من بلاد ديار بكر ، والشح بفارس ، واللؤم على الطعام بأصفهان ، وصار
تقرطح الرجاين وفطس الأنوف في السودان ، والطرب في الزنج خاصة

وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الأشخاص
العلوية والأجسام السماوية ، وقد تفصينا هذا الشأن على كماله في كتبنا في الأسرار
الطبيعية العلوية ، والغرائب النفسية في كتبنا في الصور السبعة في أنواع السياسات
المدنية على من زعم أن العالم متغير جوهره إلى الظلمة ، وأن النور فيه غريب مختار ،
وأن ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد : شيث بن آدم ، وزرادشت ، والمسيح
ويونس ، واثنان لا يمكن ذكرهما ، وأن النور والظلمة قديمان ، وأنها لا يريان إلا
غير مترجحين ، وأن الأشياء لا تعمل إلا في جوهرها ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما
من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما ، وهذا الخلف من الكلام والفساد من
المقال ، وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي الجوس : إن القديم تعالى ذكره
طالت وحدته فطالت فكرته ، فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته توالداهم
منه ، وهو الشيطان ، من تلك الوحشة التي ولتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة ،
وأن الله عز وجل لو كان قادرا على إفناء لهم منه لما ضرب له أجلا ، ولا أجل له
أمرا يغوى عباده ، ويفسد بلاده ، وهذا هو الحال بعينه ، والتناقض بنفسه ،
وعجب آخر من الآراء من قول بولص : إن المسيح عليه السلام هو الذي أرسله ،
وإن المسيح إنسان وإله ؛ لأنه إله صار إنسانا وإنسان صار إله ، وقد أتينا على
جمل من متناقضات أهل الآراء في أثناء ما تقدم من كتبنا ، وإنما تشعب بنا
الكلام إلى هذا النوع ، وتغلغل بنا القول إلى هذا المعنى ؛ لأنه من جنس ما كنا
فيه ، لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من هذا الكتاب :

وحدث المنقري عن العتي قال : وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من
ثقيف على نهر ، وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم ؛ إذ سنحت طباء سؤد
الزجر

منكرة ، ثم اعترضت الركب مقصرة في حُضرها ، واقفة على شأنها ، فأنكر ذلك عبيد الراعى ، ولم ينتبه له أصحابه ، فقال عبيد : -

ألم تدر ما قال الظباء السَّوَاحُ أَظُنُّ أَمَامَ الرِّكْبِ وَالرِّكْبُ رَاحُ
فَكَبَّرَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الزَّجَرَ مِنْهُمْ وَأَيُّنَ قَلْبِي أَنَّهُنَّ نَوَاحُ
ثُمَّ شَارَفُوا مَقْصِدَهُمْ ، فَأَلْفَوْا الرَّئِيسَ قَدْ نَهَشْتَهُ أَفْعَى فَأَتَتْ عَلَيْهِ .

قال أبو عبيدة معمر بن النشئ : وهذا من غريب الزجر ، وذلك أن السائح
مرجُوٌّ عند العرب ، والبارح هو الخوف ، وأظن عبيدا إنما زجر الظباء في حالة
رجوعها ، ووصف الحال الأول في شعره ، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ
ببهاوى الأسباب فيوضح عنها ؛ فهذا وجه زجر عبيد الراعى في شعره

ويقال : إن الكهانة لليمن ، والزجر لبني أسد ، والقيافة لبني مدلج وأحياء
مضر بن نزار بن معد ؛ لما كان من فعل بني نزار الأربعة في مسيرهم نحو الأفعى
الجرهمى ، ووصفهم الجمل الشارد ، على ما ذكرنا ، وذلك منهم قيافة ، فمن هنالك
تفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغفل في العروق ونزع ، وأهل
العروق أكهن ، وأهل الجمل أقوف ، وبأرض الخفاء - وهى بلاد الرمل من
بلاد مضر ، وأرض الشام في تلك الأراضى - يتناول الإنسان من تمر نخلم فيغيب
عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه ، فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ،
ولا يكادون يخطئون ، وهذا من فعلهم مشهور ، ولا يكاد تخفى عليهم أقدام
أى الناس هم

اختصاص بعض
العرب ببعض
هذه الأمور

ورأيت بهذه الأرض أناسا قد رتبهم ولاية المنازل يطوفون في هذا الرمل ،
يعرفون بالقصاص ، يقصون آثار الناس وغيرهم ، فيخبرون ولاية المنازل أى
الناس هم ممن طرق البلاد ، وهم لم يروهم ، بل رأوا آثار أقدامهم ، وهذا معنى
لطيف وحس دقيق .

القيافة

وقد قمت القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى

الغار ، حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لارمل عليها ولاطين
ولا تراب تتبين عليه الأقدام ، فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم
بما كان من نسج العنكبوت ، وما سفت عليه الرياح ، وما لحق القائف من
الخيرة ، وقوله : إلى ههنا انتهت الأقدام ، ومعه الجماعة من قريش لا يرون على
الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد ، وأبصارهم سليمة ، والآفات عنها مرتفعة ،
والموانع زائلة ، ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها ، ولا يتقنون
بالأبصار إحصاء إدراكها ؛ لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى ، وأهل الجبال والقفار
والرهاش أزجر وأعرف .

القيافة عند
أهل الشرع

وقد ذهب قوم من أهل الشريعة من فقهاء الأمصار وغيرهم من سلف إلى
الحكم بالقيافة استدلالاً على شرف القيافة ، وعظم خطرها ، وكبر محلها ، وتحقيق
فضلها ؛ لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها ، وتصديقه مُحَرِّزاً المدلجى
وقد أنكر جماعة من فقهاء الأمصار من سلف وخلف الحكم بالقيافة ،
والدليل على فساد الحكم بها إلحاق النبي صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك
فيه لعدم التشابه ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى وضعت غلاماً وإنه لأَسود ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقرباً إلى فهمه وقصداً منه لفساد علته التي قصدها
وشك « فهل لك من إبل » ؟ قال : نعم ، قال : « فما ألوانها » ؟ قال : حمر ،
قال : « فهل فيها أورك » ؟ قال : نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فمن أين
ذلك ؟ لعل عِرْقاً نزع » وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن أسحيم
« إن جاءت به على النعت المسكروه فهو للذي رميت به » فلما جاءت به على
النعت المسكروه ووجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : « لولا حكم الله لكان لي ولك شأن » فألحق الولد مع عدم الشبهة هنالك ،
ولم يلحق بالشبه ههنا ، ولم يجعله حكماً ، وقضى بوجود القراش وثبوت النص على
فساد الحكم بالتشابه .

وهذا قصدنا فيه هذا الكلام ، وإنما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة ، وهذا باب يطول فيه الخطب ، ويكثر في معانيه الشرح ؛ لغموضه ولطفه ، وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت إليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بـ « كتاب الرؤوس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم وأسراره » وهو كتاب مشهور مستوعب

ذكر الكهانة وما قيل في ذلك

وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس

وحد النفس الناطقة

أصل ادعاء
علم الغيب

تنازع الناس في الكهانة : فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم إلى التكهن ، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب ، فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ما تريد أن يكون منها ؛ لأن صور الأشياء عندهم في النفس الكلية ؛ وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة - وهى الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة .

وذهب قوم من النصارى أن السيد المسيح إنما كان يعلم الغائبات من الأمور ، ويخبر عن الأشياء قبل كونها ؛ لأنها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ، ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ، ولا أمة خلت إلا كان فيها كهانة ، ولم يكن الأوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات ، وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم ، والصائبة تذهب إلى أن أزر ياسيس وأوايس وأويس الثانى - وهما هرمس وأغافيمون - كانوا يعلمون

الغيب ، ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ، ومنعوا أن تسكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب ، لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم .

وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف يقول من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس

وذكر كثير من الناس أن الكهانة تسكون من قبل شيطان يكون مع الساحن يخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون إلى الناس الأخبار ، بحسب ما يرد إليهم ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) إلى آخر القصة ، وقوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقوله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم - الآية) والشياطين والجن لاتعلم الغيب ، وإنما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل : (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

وطائفة ذهبت إلى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي ، وأن ذلك في المولد عند ثبوت عطارده على شرفه ، وأما ماعده من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة إذا كانت في عقد متساوية وأرباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والإخبار بالكائنات قبل حدوثها ؛ لاشراق هذه الأشراف الكوكبية . ومن هؤلاء من أوجب كون ذلك في القرانات الكبار

وذهب كثير من تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية ، وأن النفس إذا وعند آخرين قويت وزادت قهرت الطبيعة ، وأبانت للانسان كل سر لطيف ، وخبرته بكل معنى شريف ، وغاصت بلطاقتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن السكال ، وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلاها فيما ذكرنا فانهم

استراق السمع
سبب الكهانة
عند بعضهم

سبب الكهانة
عند بعضهم
علل فلكية

علل نفسية

قالوا : رأينا الإنسان ينسب إلى قسمين ، وهما النفس والجسد ، ووجدنا الجسد مواتاً لا حركة له ولا حس إلا بالنفس ، وكان الميت لا يعلم سبباً ولا يؤديه ؛ فوجب أن يكون العلم للنفس ، والنفوس طبقات : منها الصافي وهى النفس الحسية والنفس البراعية والنفس المجلية ، ومنها ما قوته فى الإنسان أزيد منه ، فلما كانت النسبة النورية للإنسان إلى النفس كانت تهدى الإنسان إلى استخراج الغيب وعلم آلاته ، وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم ، فإذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة ، وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الأجسام وتشويه الخلق ؛ كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة وزوبعة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو مزيقياء وحرثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان

وأما العراف — وهو دون الكاهن — فمثل الأبلق الأسدى ، والأجلح الزهرى ، وعروة بن زيد الأسدى ، ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة : —

العراف وبعض
العرافين

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حَكْمَهُ وعراف نجد إن هُما شَفِيَانِي

وكهند صاحب المستنير ، وكان فى نهاية التقدم فى العرافة .

الكهانة
فى العرب

والكهانة أصلها نفسى لا لطيفة باقية ومقارنة لأعجاز باهرة ، وهى تكون فى العرب على الأكثر وفى غيرهم على وجه النادرة ؛ لأنه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى ، وقوة مادة نور النفس ، وإذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعبقة النفس وقع شرها بكثرة الوحدة وإدمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الأئس بهم ، وذلك أن النفس إذا هى تفردت فكرت ، وإذا هى فكرت بعدت ، وإذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى ؛ فنظرت بالعين النورية ، ولحظت بالنور الثاقب ، ومضت على الشريعة المستوية ، فأخبرت عن الأشياء على

ما هى به وعليه ، وربما قويت النفس فى الإنسان فأشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها ، وكان كبراء اليونانيين ينعنون هذه الطائفة بالروحانية ، ويقولون : إن النفس إذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الإنسان تهذب إلى استخراج البدائع والأخبار المستترات ، واستدلوا على ذلك أن الإنسان إذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده إلى ما على تصوره ، وهكذا النفس أيضاً إذا تهذب كانت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة .

الرؤيا وأسبابها

وقد تنازع الناس فى الرؤيا ، والسبب الموقع لها وماهيتها ، وكيفية وقوعها ، فقال فريق : إن النوم هو اشتغال النفس عن الأمور الظاهرة بملاقة حوادث باطنة فيها ، وذلك على وجهين : أحدهما معروف بالعين ، قائم الصفة ، يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها ، فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الإدراك إلى الحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها ، وإذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا ، لأنه ليس النوم الكلى الذى يعم الأطفال والعجائز والشيخوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالفة السحر ، وكذلك نوم الليل على ما وصفنا ، والوجه الآخر - وهو النوم الكلى الذى يعم الأطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها - وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لأن الجوع عند صناعة أهل الطبعة ، وهى الموجبة لتحديد الكبد من الفراغ والأغذية .

ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الأشياء على ضربين : أحدهما حس ، والآخر فكر ، فالصورة المحبوسة لا تدركها إلا فى هيئتها ، فإذا تخلص علمها عندنا كان إدراكها مفردا من طبعها ، فيكون فكر الإنسان مالم ينم مانعا للحس ، حتى إذا نام فهدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الأشياء فيها قائمة كأنها محبوسة ، لأن الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها

بالفكر ضعيفا ، فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الأشياء كأنها محسوسة
فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله إذا كان يقظان للشيء الذى قد كان
أشبهه ، وليس لذلك نظام ، وإنما هو ما اتفق ، فذلك يرى الإنسان كأنه يطير
وليس بطائر ، وإنما صورة الطيران مفردة كما تعلمها إذا غابت ، ولكن فكرته
فيها تقوى حتى كأنها معاينة له ، فأما ما يراه من الأشياء التى تدل على ما يريد
فإنما ذلك لأن النفس عالمة بالصور ، فإذا خلصت فى المنام من شوائب الأجسام
أشرفت على ما ينالها ، وهى عالمة أيضاً فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل
خيالات تدل بها على تلك الأشياء التى تريد أن تكون ، حتى إذا تذكرت تلك
الخيالات وتلك الأشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ،
ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط ، على حسب مراتبها من الصفاء والكدر
يكون صدق ما تخيلته وكذبه .

وقال فريق آخر : إذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهرا لم يبطل استعمالها
فى نفسها ، ولم يبطل استعمال قواها ، فتنتقل فى الأماكن ، وتشاهد الأشخاص
بالقوة الروحانية التى ليست بجسم ، لا بالقوة الجسمانية الغليظة ، وذلك أن القوة
الجسدية لا تدرك إلا بمشاركة وملامسة الأشياء : إما باتصال كاتصال اللون ،
وإما بانفصال الجسم من الأماكن ، والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا ،
لا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة إلى قرب المدرك .

ومنهم من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه إلى الكبد .

ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح .

ومنهم من زعم أن ما يحده الإنسان فى نومه من الخواطر إنما هو عمل الأغذية
والأطعمة والطبائع .

ومنهم من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان ، واعتل

هؤلاء بقوله تعالى : (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا)

ومنهم من رأى أنها جزء من إحدى وستين جزءاً من النبوة ، وتنازع هؤلاء
في كيفية الجزء وماهيته

ومنهم من ذهب إلى أن الإنسان الحساس هو غير هذا الجسم ، وأنه يخرج
عن البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت ، على حسب صفائه ،
واعتل هؤلاء وغيرهم - ممن ذهب إلى نحو هذا المعنى - بقوله عز وجل : (الله يتوفى
الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها) إلى قوله (إلى أجل مسمى)

وذهب الجمهور من المتطبيين في ذلك أن الأحلام بالأخلاق ، وترى بقدر
مزاج كل واحد منها وقوته ، وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء
يرون في منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه ، والغالب على من كان مزاجه البغم
أن يرى بحورا وأنهارا وعيوناً وأحواضا وغُدْرَانا ومياها كثيرة وأمواجا ، ويرى
كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قار به ، والغالب على من كان مزاجه
السوداء أن يرى في منامه أجداثا وقبوراً وأمواتاً مكفنين بسواد وبكاء ونوحا
ورنيناً وصراخاً وأشياء مفزعة وأمورا مفضضة وفيلة وأسودا ، والغالب على من كان
مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعباً ووصفاً وعزفاً وأنواع الملاحى
والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق
بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور

ولا خلاف بين المتطبيين في أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم ،
وأن كل حزن وخوف وإن اختلفت معانيه فإن ذلك من المرة السوداء ، واحتجوا
بضروب من الاحتجاجات ، فهذه جملتها ، وقد أوضحنا هذا في كتابنا « الرؤيا
والكمال » وفي كتاب « طب النفوس » فلا وجه لإطنا بنا في هذا الموضع من
كتابنا هذا إذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر

وإنما تغل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في إخبارنا عنهم ، ولم نعرض في تحديد النفس
هذا الكتاب لما ذهب إليه الناس في تحديد النفس ، وما قاله أفلاطون في تحديده
للنفس : إن النفس جوهر ليس بمحرك للبدن ، وما حده صاحب المنطق أن حد

النفس كمال الجسم الطبيعي ، وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ، ولا للفرق بين النفس والروح ، لأن الفرق بينهما أن الروح جسم ، والنفس لا جسم ، وأن الروح يتحرك به البدن ، والنفس تبطل أفعالها في البدن ، ولا تبطل هي في ذاتها ، والنفس تحرك البدن وتنيله الحس ، وذكره أفلاطون في كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة ، وذكره أفلاطون في كتابه إلى طيساويس ، وفي كتاب قارون ، وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم في ذلك في النفس والصورة

وقد تكلم الناس في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الألسن وغيرهم من الفلاسفة ، ثم تنازع أهل الاسلام في هيئة الانسان الحساس الدارك المأمور المنهى وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والنفس الأمارة بالسوء ، وغير ذلك مما ذهب إليه اليهود والمجوس والصابئة ، وغير ذلك مما قد أتينا على إيضاحه في كتاب « سر الحياة » وغيره من كتبنا

وقد كان سطيح الكاهن — وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان — يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها ، وكان شق بن مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنفر بن أثمار بن ربيعة بن نزار معه ^(١) في عصر واحد ، وكان فيهما حمرة الكهانة ، وكذلك سمقلة وزوبعة كانا في عصر واحد ، والله أعلم

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب نسب سطيح وشق الكاهنين ، والذي في سيرة ابن هشام (ج ١ ص ١١) أن اسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدى بن مازن ، وأن شقا ابن صعب بن يشكر بن أفرك بن قسر بن عبقربن أثمار ابن إراش ؛ بغير خلاف في نسب سطيح ، ومع خلاف كثير في أسماء آباء شق . ولم نشأ أن نغير في حروف الأصل بما يتوافق مع رواية السيرة لأننا نعلم أن العلماء لا يتفقون على ضبط هذه الأسماء وترتيبها

ذكر جمل من اخبار الكهان ، وسيل العرم وتفرق الأزدي في البلدان

قال المسعودي : قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارخ والساح
فلنذكر الآن لمعاً من أخبار الكهان ، وتفرق ولد سبأ في البلدان
ولم يزل ولد قحطان في أطيب عيش إلى أن هلك سبأ ، وكان القوم بعد
مضى سبأ تداولتهم الأعصار قرناً بعد قرن ، إلى أن أرسل الله عليهم سيل العرم
وذلك أن الرياسة انتهت فيهم إلى عمرو بن عمرو^(١) مزيقياء — وهو عمرو بن عامر
ابن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزدي
ابن الغوث بن كهلان بن سبأ — وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن ، وهي بلاد
سبأ التي ذكرها الله في القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم ، وهو السد ،
وكان فرسخا في فرسخ ، بناه لقمان الأكبر العادي — وهو لقمان بن عاد بن
عاديا — وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النور ، وهذا السد
هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر إذا حان أن يغشى أموالهم ؛
ففرقهم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم ، والناس في قصة هلكهم يختلفون ،
وفي سياقة أخبارهم يتباينون

وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض
اليمن ، وأثرها ، وأغدقها ، وأكثرها جنانا وغيضانا ، وأفسحها مروجا ، مع
بنيان حسن ، وشجر مصفوف ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار وأزهار متفرقة ؛
وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة ، وفي العرض مثل
ذلك ، وأن الراكب والمراكب يسير في تلك الجبال من أولها إلى أن ينتهي إلى
آخرها لا تواجه الشمس ولا تعارضه ؛ لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية ،
واستيلائها عليها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفه ، وأهنا

(١) سيأتي أن آخرهم هو عمرو بن عامر (ص ٩٤)

وصف
بلاد سبأ

حال ، وأرغد قري ، وفي نهاية الخصب ، وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة ، وكانت بلادهم في الأرض مثلا ، وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الأخلاق ، وطلاب الافضال على القاصد ، والسفر بحسب الامكان وما توجهه القدرة من الحال ، فكشوا على ذلك ما شاء الله من الأعصار : لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافيهم جبار في جيش إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد ، وأذعن لطاعتهم العباد ، فصاروا تاج الأرض ، وكانت المياه التي هي أكثر ما يرد إلى أرض سبأ تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال ، طول الخراق فيما وصفنا فرسخ ، وكان وراء السد والجبال أنهار عظام ، وكان في هذا الخراق الآخذ من تلك الأنهار ثلاثون نقبا مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً مَدَوَّرَةً على أحسن هندسة وأكمل تقدير ، وكانت المياه تخرج من تلك الأتقاب في مجاريها حتى تأتي الجبال فترويهما سقيا ، وتعم شرب القوم ، وقد كانت أرض سبأ قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه ، وكان ملك القوم في ذلك الزمان يُقَرَّبُ الحكماء ، ويدنيههم ، ويؤثرهم ، ويحسن إليهم ، فجمعهم من أقطار الأرض للالتجاء إلى رأيهم ، والأخذ من محض عقولهم ، فشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره ، وذلك أنه كان ينحدر من أعلى الجبل هابطا على رأسه يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء ، فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف إلى برارى تقذف به إلى البحر ، وأخبروا الملك أن الماء إذا حفر المصارف الهابطة طلبها ، وانحدر فيها ، ولم يتراكم حتى يعلو الجبال ؛ لأن في طباع الماء طلاب الخفض ، فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع إلى تلك الجهة وانحدر السيل في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلى الجبل ، وجعلوا فيه الخراق على ما وصفنا آنفا ، ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهى في جريانه إلى الخراق ثم ينبعث الماء منه إلى تلك الأتقاب ، وهى الثلاثون مخراقا

الصغار التي قدمنا ذكرها ، وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا
ثم إن تلك الأمم بادت ، ومرت عليها السنون ، وضربها الدهر بضرباته
وطحنها بكلكله ، وعَمَلَ الماء في أصول ذلك الخرق ، وأضعفه ممر السنين عليه
وتدافع الماء حوله ، وقد قيل في المثل : إذا أثَّرَ تَوَاتُرُ الماء على الحجر الصلِّد
فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع

فلما سكنت أبناء قحطان على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان
فيها من القطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والخرق والبنيان ، فقذف به في جريه
ورمى به في تياره ، وذلك إِبَّانَ زيادة الماء ، واستولى الماء على تلك الديار
والجبال والعمائر والبنيان ، حتى انقرض سكان تلك الأرض ، وزالوا عن تلك
المواطن ، فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا

ولا خلاف بين ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا
عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل فقجرتة فأرة ليكون ذلك أظهر
في الأعجوبة ، كما أفا ر الله تعالى الطوفان من جوف تنُّور ليكون أثبت في العبرة
وأوعد في الحجة ، ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار إلى هذا
الوقت ما كان من العرم ، لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم

وقد فخر بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناب قحطان من حمير
وكهلان على ولد نزار ، وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بأبهة
السفاح ، لأن أخواله من قحطان ، فقال السفاح لخالد بن صفوان : ألا تنطق وقد
غمرتكم قحطان بشرها وعلت عليكم بقديم مناقبها ؟ فقال خالد : ماذا أقول لقوم
ليس فيهم إلا دابغ جلد ، أو ناسج برد ، أو سائس قرد ، أو راكب عرد ،
أغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ، ودل عليهم هدهد ، ثم مر في ذمهم إلى أن
انتهى إلى ما كان من قصتهم في ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس إياهم
على حسب ما قدمنا آنفا

مفاخرة بين
القحطانيين
والنزاريين في
مجلس السفاح

العرم في
شعر العرب
وقد ذكروا في أشعارهم العرم وما كان لسبأ وأرض مأرب ، وأن مأرب
سمة للملك الذي يملك على هذه البلدة ، وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد
فاشتهر به ، وصار سمة له ، وقال الشاعر : —

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يَبْنُونَ من دون سبيله العَرِمَا
وقد قيل : إن مأرب سمة لقصر هذا الملك في صدر الزمن ، قال أبو الطَّمَحَان
في ذلك : —

ألم تروا مأرباً ما كان أخصنه وما حواليه من سور وبنيان
ظل العبادى يسقى فوق قلاته ولم يهب ريب دهر جدخوان
حتى تناوله من بعد ما هجعوا يرق إليه على أسباب كتان
وقد ذكر الأعشى ما وصفنا حيث يقول في كلمته : —

ففى ذاك للمؤتسى أسوة بمأرب عفى عليها العرم
رخام بناه لهم حمير إذا جاء مأوهمو لم يرم
فأغنى الحروث وأغنامها على ساعة مأوهم قد قسم
فطار القيول وفيالها بها فى فيافى سراب يطم
وكانوا بذلكو حقبة فمال بهم جارف منهدم
فطاروا سراعا وما يقدمو ن منه لشرب صبى فطم

طول العمر
وعمر النسور
وقد ذكرنا فى كتابنا « أخبار الزمان » الملك الذى طال عمره وحسنت
سيرته ، وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة ، وأن عمره انتهى على عمر النسور ؛
عند ذكرنا لطول الأعمار ، وما أكرت العرب فى صفة طول عمر النسور ،
وضربت به الأمثال ، وبلبد ، وبصحة بدن الغراب ؛ فمن ذلك ما ذكره الخارجى
فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى التقعاع بن حكيم من
قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه ، وهو : —

إنَّ معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الأبد^(١)
 قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر وأثواب عمره جدد
 يأنس لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة يلبد
 قد أصبحت دار حير خربت وأنت فيها كأنك الوتد
 تسأل غرابها إذا حجبت كيف يكون الصداق والرمد

وقد قدمنا فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الأوائل في علة طول الأعمار وقصرها ، وعظم الأجسام في بدء الأمر ، وتناقصها على مرور الأعصار ومضى الدهور ، وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للإسلام في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال ، والطبيعة إذا كانت تامة القوة كانت الأعمار أطول والأجسام أقوى ؛ لأن طرق الموت الطارى يكون بإعلال قوى الطبيعة ، فلما كانت القوة أتم كانت الأعمار أزيد ، وكان العالم في أولية شأنه تام العمر ، ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة ، حتى يكون آخر مائة الطبيعة في تناهى النقص في الأجسام والأعمار

وقد أبى ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر ، وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الأرض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم ، وأنها كانت كأجسامنا ، لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنين والهياكل والديار والمساكن في سائر الأرض ، كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا ، وكذلك أرض عاد ومصر والشأم وسائر بقاع الأرض في الشرق والغرب ، وهذا إن أكثرنا القول فيه طال ، وإن أطيننا في صفته كثر ، فلنرجع الآن إلى ما عناه عملنا ومن صفته خرجنا من ذكر سبأ ومأرب ، وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر

(١) في الأضول « قد صح في طول عمره الأبد » وهو كما ترى .

طريقة الخير
الكاهنة تنذر
بالسيل

وكان الملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم ،
يقال له عمران ، وكان لعمرو كاهنة من أهله من حمير يقال لها طريقة الخير (١)
وكان أول شيء وقع بمأرب وعرف من سيل العرم أن عمران الكاهن أخا
عمرو رأى في كهانته أن قومه سوف يُمزقون كل مُمزَّق ويُباعد بين أسفارهم ،
فذكر ذلك لأخيه عمرو ، وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه
والله أعلم بكيفية ذلك ، وبيننا طريقة الكاهنة ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى
النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت وأبرقت ثم صعدت فأحرق ما وقعت
عليه ، ووقعت إلى الأرض فلم تقع على شيء إلا أحرقت ، ففرغت طريقة لذلك ،
وذعرت ذعرا شديدا ، وانتبهت وهي تقول : ما رأيت مثل اليوم ، قد أذهب
عني النوم ، رأيت غيما أبرق ، وأرعد ثم أصعق ، فواقع على شيء إلا أحرق ، فما
بعد هذا إلا الفرق ، فلما رأوا ما دخلها من الرعب خَفَصُوهَا وسكنوا من جأشها
حتى سكنت ، ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له
فبلغ ذلك طريقة ، فأسرعت نحوه ، وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها ،
فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضعات
أيديهن على أعينهن ، وهي دواب يشبهن اليرابيع يكن بأرض اليمن ، فلما رأتهن
طريقة وضعت يدها على عينها وقعدت ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه
المناجد عنا فأعلمني ، فلما ذهبت أعلمها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج
الحديقة التي فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها ،
وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع ، فتستعين بذنبها وتحشو التراب على بطنها
وجنبها وتقذف بالبول ، فلما رأتها طريقة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة
إلى الماء مضت إلى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار ، في ساعة
شديد حرها ، فاذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فغدت حتى دخلت على عمرو
(١) كذا في معجم البلدان (١: ٣٥٥) ووقع في الأصول «طريقة الخبر» وهو تحريف

ومعه جاريتان على الفراش ، فلما رآها استحميا منها ، وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ، ثم قال لها : هلمى يا طريفة إلى الفراش ، فتسكنت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وسيعود الماء لما كان فى الدهر السالف ، قال عمرو : من خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرنى المناجد ، بسنين شدايد ، يقطع فيها الوالد الواحد ، قال : ما تقولين ؟ قالت : أقول : قول الندمان لهفا ، قد رأيت سلعفا ، تجرف التراب جرفا ، وتقذف بالبول قذفا ، فدخلت الحديقة فاذا الشجر يتكفا ، قال عمرو : متى ترين ذلك ؟ قالت : هى داهية كبيرة ، ومصائب عظيمة ، لأمر جسيمة ، قال : وما هى ؟ قالت : أجل إنلى الويل ، ومالك فيها من نيل ، فى ولك الويل ، مما يحىء به السيل ، فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو جل جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل ، والقليل خير من تركه ، قال عمرو : وما علامة ذلك ؟ قالت : تذهب إلى السد فاذا رأيت جرذا يكثرفى السد الحفر ، ويقلب برجليه من الجبل الصخر ؛ فاعلم أن النقر عقر ، وأنه قد وقع الأمر ، قال : وما هذا الأمر الذى يقع ؟ قالت : وعد الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نزل ، فتعمده ياعمرؤ ، فليكن الشكل ؛ فانطلق عمرو إلى السد يحرسه ، فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول : —

أبصرت أمرا عادلى منه ألم وهاج لى من هوّله برّح السقم
من جرذ كفحل خنزير الأجم أو تيس صرم من أفلاويق الغم
يسحب صخرامن جلاميد العرم له مخاليب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قضم كأنما يرعى حصيرا من سلم
فقلت له طريفة : إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس فى مجلسك بين الجنتين ، ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك ، فإنها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادى ورملة ، وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا

ريح ، فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ، فلم تمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء ، فذهب عمرو إلى طريفة فأخبرها بذلك ، وقال : متى ترين هلاك السد ؟ قالت : فيما بينك وبين السبعين سنة ، قال : ففي أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا يأتي عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة إلا ظننت هلاكه في غدها أو في تلك الليلة

عمرو بن
عامر يتحيل
للخروج من
بلاده

ورأى عمرو في النوم سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل ، فذهب إلى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها ، فعلم أن ذلك واقع بهم ، وأن بلادهم ستخرب ، فكتم ذلك وأخفاه وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده ، ثم خشى أن يستنكر ذلك ؛ فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت ، وبغنى فذبحت ، وصنع طعاما واسعا ، ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ، ثم دعا ابنا له يقال له مالك ، ويقال : بل كان يتيم في حجره ، فقال : إذا جلست أطعم الطعام الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث ، واردد على ، وافعل بي مثل ما أفعله بك ، وجاء أهل مأرب ، فلما جلسوا أطعم الناس وجلس عنده الذي أمر به ، فجعل ينازعه الحديث ، ويرد عليه ، فضرب عمرو وجهه وشتمه ، فصنع الصبي بعمرو مثل ما صنع ، فقام عمرو وصاح : واذا لاه !! يوم فخر عمرو ومجده يضرب وجهه صبي ، وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا بعمرو حتى تركه ، ففي ذلك قال حاجر الأزدي : —

يارب لطفة غدر قد سخنت بها بكف عمرو التي بالغدر قد عرفت
ثم قال : والله لأقيم ببلدة صنع هذا بي فيه ، ولأبيعن عقاري فيه وأموالي ، فقتل الناس بعضهم لبعض : اغتبنوا غضبة عمرو ، واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه جميع ماله بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فخرج ناس من الأزدي وبعوا أموالهم ، فلما أكثروا

البيع استنكر ذلك الناس فأمسكوا بأيديهم ، فلما اجتمعت إلى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن : قد رأيت أنكم ستمزقون كل مُمزَّق ويُباعد بين أسفاركم ، وإني أصف لكم البلدان فاخترأوا أيها شئتم ، فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر إليها ، من كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ، فليلق بقصر عمان المشيد ، قال : ومن كان منكم ذا هم بعيد ، وحمل غير شديد ، فليلق بالشعب من كرود ، قال : وهى أرض همدان ، فليلق به وادعة بن عفر ، فانتسبوا فيهم ، وقال الكاهن : ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ، ونظر وصبر ، على أزمت الدهر ، فليلق ببطن مر ، وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس ، وهم بنو عمرو بن لحي ، فتخزعت هنالك إلى هذه الغاية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت : —

وَلَمَّا هَبَطْنَا بطنَ مَرٍ تَخَزَّعَتْ خزاعة منا فى ملوك كرا كر

فى شعر له طويل ، ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة بن عمرو مزقياء ^(١) ، وقال الكاهن : ومن كان يريد الراسيات فى الرحل ، المطعمات فى الحبل ، فليلق بيثرب ذات النخل ، وهى المدينة ، وكان الذين سكنوها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء ^(١) ، قال الكاهن : ومن كان يريد منكم الحنجر والخنجر ، والديباج والحرير ، والأمر والتدبير ، فليلق ببصرى وحفير ، وهى أرض الشام ، قال الكاهن : ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق ، والكنوز والأرزاق ، فليلق بالعراق ، وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الأزدى وولده ، ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آتفا فيما سلف من هذا الكتاب . قال هشام بن الكلبي : وأما أبى فكان يقول : إنما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ،

ثم خرج عمرو بن عامر مزقياء فسكنوا همدان ، وتحلف مالك بن الهيمان بن

(١) فى بعض أصول الكتاب « بن عمرو بن مزقياء » فى الموضعين

جهنم بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد ، وكان بعدهم بأرب ملكا إلى أن كان من أمرهم ما كان في الهلاك ، ثم ساروا حتى إذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبي حارثة فاتسبوا إلى مذحج ، قال أبو المنذر : ويقال : إن أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبي حذيفة الذى بنجران ، والله أعلم ، ثم سار عمرو بن عامر حتى إذا كان بأدنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الأزد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له غَسَّان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما مما يلي صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد ورمع فأقاموا على غَسَّان ، وشرّبوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون إلا به ، قال شاعرهم :

إما سألت فأنّا معشر نجب الأزدُ نسبتنا والماء غسان

والذين سمو غسان من بنى مازن الأوس والخزرج ابنا ثعلبة بن امرئ القيس ابن مازن الأزدي

وللقوم أخبار فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب إلى أن ظفرت بهم بنو معد فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة — والسراة جبل الأزدي يقال لهم السراة ، ويقال له الحجاز ، وإنما سمى السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة ، فأقاموا به ، وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه ، وهو جبل على تخوم الشام ، وفرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين تلا جبل حرا

وقد كان أهل مأرب يعبدون الشمس فبعث الله إليهم رُسُلًا يدعونهم إلى الله ، ويزجرونهم غما هم عليه ، ويدكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم ، فجدوا قولهم ، وردوا كلامهم ، وأنكروا أن الله عليهم نعمة ، وقالوا لهم : إن كنتم رسلا

ديانة أهل
مأرب

فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ، ويذهب عنا ما أعطانا ، وفي ذلك تقول امرأة منهم : —

إن كان ما يصح في ضلاله من ربكم فلينطلق بماله
إليه عنا وإلى عياله

فأجابتها امرأة مؤمنة فقالت : —

لولا الإله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يجيبنا سؤالنا ويكشف الغم إذا ما هالنا

فأرسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدوم وعمشى وغطى الماء أرضهم ، فأهلك شجرهم وأباده ، وأزال أموالهم وأنعامهم ، فأتوا رسالهم فقالوا : ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ، ويخصب بلادنا ، ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ، ونعطيك مَوْثِقًا أن لا نشرك بالله شيئًا ، فسألت الرسل ربها ، فأجابهم إلى ذلك وأعطاهم ما سألوا فأخصبت بلادهم ، واتسعت عمائرهم إلى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل وأسواقا ، فأتهم رسالهم فقالوا : موعدكم أن تؤمنوا ، فأبوا إلا طغيانا وكفرا ، فمزقهم الله كل ممزق وبعدين أسفارهم

قال المسعودي : وإذا قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مأرب وعمرو بن

عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب فلنرجع الآن إلى أخبار الكهان

وكان أول ما تكهن به سطيح الغساني أنه كان نائما في ليلة سهاكية مظلمة

مع حرمة في لحاف ، والحى خلوف ، إذ زعق من بينهم ورنّ وتأوه ، وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرفنكم ما طرق ، قالوا : ما طرق ياسطيح؟

قال : ما طرق إلا الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم فيه دح ، قالوا : وما علامة ذلك ياسطيح ؟ قال : أمر يسد النقرة ، ذو حبسة في الوجرة ،

وحرة بعد حرة ، في ليلة قرة ، فانصرفوا عن قوله ، واستهانوا بأمره ، وتعاصفت مدود من أودية هناك فجأتهم في ليلة باردة قرة كما ذكر ، فساقت الأنعام والمواشى ، وكادت أن تذهب بعامتهم

عود إلى
حديث الكهانة
وذكر سطيح

ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب^(١) أخبار كثيرة : منها رؤيا تبع الحميري في أن جمجمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، أكلت منها كل ذات جمجمة ، وما فسر له في ذلك ، وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح في رؤيا الموبدان وارتجاج الإيوان ، وخبر سملقة وزوبعة ، وما كان من أمرهما ، وخبر شأن الظليم والسحرة ، وما كان بين عك وغسان من الحرب في رقة اللبن وحلاوته وثخنه ، ونزل غسان أعلى الوادي وعك في أسفله ، وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طول الشمس وغروبها على إبلهم ، وخبر السموءل بن حسان بن عادياء وما كان من أمره وأمر خازن الكاهن ، وما قاله حين طرده ليلا ، وانقياده إلى ذمته ، وما كان من العير الأقر ، والظليم الأحمر ، والفرس الأشقر ، والجل الأورق ، والشيخ الأسدي ، وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا في « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، والله أعلم

ذكر سنى العرب والعجم وشهورها

وما اتفق منها وما اختلف

قال المسعودي : عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا ؛ فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الأمم ، وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط ؛ إذ كان قول اليونانيين في ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والأمم إذا كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ، ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط ؛ لموافقته السريانيين وموافقته لشهور الروم ، ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ، ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها ، وكل يوم ، ومآلاته العرب في تسمية الليالي ، وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتأثيرهما في هذا العالم في الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتأمل عند قراءته — إن شاء الله تعالى — على ما يريد ، والله تعالى ولي التوفيق

(١) كذا ، وقد ذكرنا سابقا أنه « شق بن مصعب »

ذكر شهور القبط والسريانيين واخلاف في أسمائها من التاريخ

أول شهور القبط توت — وهو أيلول — وبابه — وهو تشرين الأول —
وهاتور — وهو تشرين الثاني — وكيهك — وهو كانون الأول — وطوبه —
وهو كانون الثاني — وأمشير — وهو شباط — وبرمهات — وهو آذار — وبرموده —
وهو نيسان — وبشنس — وهو أيار — وبؤونة — وهو حزيران — وأيب — وهو
تموز — ومسرى — وهو آب

وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العماير ، تزيد على ما سمينا
من شهورها ، وهى ثلثائة يوم وستون يوما ، فتصير السنة ثلثائة وخمسة
وستين يوما

وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب ، وعدة
كل شهر منها ثلاثون يوما ، وكانت أيام السنة ثلثائة وخمسة وستين يوما بعدد
أيام سنة الفرس ، وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس ،
وكان أول يوم أول آرماء ، ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف إلى آخر سنة
القبط آخر آذرماه ، وهذا الحساب بعينه موجود فى كتب الزيجات فى النجوم ،
وأهل مصر وسائر القبط فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة —
يستعملون فى حسابهم فى الشهور غير ما قدما ؛ وذلك أنهم زادوا فى أيام السنة ربع
يوم على مذهب اليونانيين والروم ، فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة
لشهور السريانيين والروم فى عدد أيام السنة التى ملك فيها البختنصر ، وكان
أولها يوم الأربعاء

وأما تاريخ القبط فى كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فيللفوس ،

وكان أولها يوم الأحد ، والذي بين تاريخ البختنصر وتاريخ يزجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلثة أشهر ، والذي بين تاريخ فيلفوس وتاريخ يزجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوما ، وبين تاريخ يزجرد وتاريخ الهجرة من الأيام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما ، فأول هذه التواريخ تاريخ البختنصر ، ثم تاريخ فيلفوس ، ثم تاريخ يزجرد

وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وكان أولها يوم الخميس
وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزجرد بن شهر يار بن كسرى ابن أبرويز ، وكان أولها يوم الثلاثاء
وتاريخ الروم والسريانيين من أول السنة من ملك الإسكندر ، وكان أولها يوم الاثنين ، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك

ذكر شهور السريانيين

ووصف موافقتها لشهور العرب

وعدة أيام السنة ومعرفة الأنواء

فأول ذلك أن أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ، وهي مختلفة في العدد : فنيسان ثلاثون يوما ، وأيار أحد وثلثون يوما ، وحزيران ثلاثون يوما وثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه حساب الهند ، وهو أطول يوم في السنة وأقصر ليلة ، وتموز أحد وثلثون يوما ، وآب أحد وثلثون يوما ، فإذا انساخ ذهب الحر ، قال محمد بن عبد الملك الزيات : —

بَرَدَ الْمَاءُ وَطَالَ الْإِيلُ وَالْتَدَّ الشَّرَابُ
وَمَضَى عَنْكَ حَزِيرَا نَ وَتَمُوزُ وَآبُ

وأيلول ثلاثون يوما ، ولخمس منه عيد زكريا ، ولعشر منه تظلم الصرفة
فينصرف الحر ، ولثلاث عشرة منه عيد الصليب ، وهو اليوم الرابع عشر منه ،
وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ،
ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار ، وقال أبو نواس : -
مضى أيلول وارتفع الحرور وأذكت نارها الشعري العُبورُ

وتشرين الأول أحد وثلاثون يوما ، وفيه يكون المهرجان ، وبين النيروز زمن المهرجان
ومعناه
والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما ، وعند الفرس في معنى المهرجان أنه كان لهم
ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس قد خص ظلمه خواص الناس وعوامهم ،
وكان يسمى مهر ، وكانت الشهور تسمى بأسماء الملوك ، فقليل مهرماه ، ومعنى ماه
هو الشهر ، وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات في النصف من هذا
الشهر ، وهو مهرماه ، فسمى ذلك اليوم الذي مات فيه « مهرجان » وتفسيره
نفس مهر ذهبت ، لأن الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها ، وهذه
اللغة الفهلوية ، وهي الفارسية الأولى ، وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن
العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء ، فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا
من الملابس ، ولخمس منه - وهو تشرين الأول - عيد كنيسة القمامة ببית المقدس ،
وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الأرض ، وتنزل عليهم نار من السماء ،
فيسرج هناك الشمع ، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد ،
ويقتلع فيه ورق الزيتون ، ويكون للنصارى فيه أقاصيص ، ولهذه النار حيلة لطيفة
وسر عظيم ، وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم : « كتاب القضايا
والتجارب » وتشرين الثاني ثلاثون يوما ، وكانون الأول أحد وثلاثون يوما ،
ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعاً ، وهو منتهى قصره ، والليل
أربع عشرة ساعة ونصفاً وربعاً ، وهو منتهى طوله ، وليلة الخامس والعشرين منه
ميلاد المسيح عليه السلام ، وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما ، وأول يوم منه

الغطاس ؛ فيكون فيه بالشأم لأهله عيد يوقدون في ليلته النيران ، ويظهرون الأفراح ، لاسيا بمدينة أنطاكية ، وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم ، وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها ، وما يظهر أهل دين النصرانية بأنطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم ، وذلك أن مدينة أنطاكية بها كرسي البطريرك المعظم عندها في ديارها ، وأن النصرانية تسمى أنطاكية مدينة الله ، ويسمونها أيضا مدينة الملك ، وأم المدن ؛ لأن بدو ظهور النصرانية كان فيها .

ليلة الغطاس
بمصر والشام

والبطارقة عند النصرانية أربعة : أولهم صاحب مدينة رومية ، ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية ، وهي أقسس ، واسمها القديم بوزنطيا ، ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ، ثم الرابع وهو صاحب أنطاكية ورومية ، وأنطاكية لبيطرس ، فبدوا برومية لأنها لبيطرس ، ثم ختموا بأنطاكية لأنها له ، وتعظيما ، وقد أحدثوا كرسيها ببيت المقدس ، ولم يكن هذا مقدما ، وإنما هو محدث ، وكان لا يليا وهو بيت المقدس أسقف

بطارقة
النصرانية

و بأنطاكية أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست ، وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزور ، وهي كنيسة مزورة ، وبنيانها من إحدى عجائب العالم في التشييد والرفعة ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من الممر والرخام لمسجد دمشق ، وبقى الأكثر من هذه الكنيسة إلى هذا الوقت

كنائس
أنطاكية

وقد كان لملك من ملوك الروم بأنطاكية خبر عجيب في كنيسة استوست وكانت خارج السور من أنطاكية ، وهي في أيدي اليهود ، فعوضت اليهود دار الملك بأنطاكية بدلا من كنيسة استوست ، وهذه الدار التي كانت دار الملك بأنطاكية تعرف بدار اليهود ، ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من

أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك ،
وقد منا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرها بمدينة رومية وغيرها من تلاميذ
المسيح وتفرقهم في البلاد ، وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة أنطاكية ، وهو
المعروف بافطنحس ، وتفسير ذلك محوط الحوائط ، وكان اسم أنطاكية بالرومية
على اسمه افطنحس ، فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الأحرف إلا الألف
والنون والطاء

وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد
المسيح إلى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - تسعة سنة وأربعون
سنة ، وتكون سنو الاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ، ويكون من
الاسكندر إلى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون

هذا ما وجد في تاريخ الملكية في كنيسة القسيان بمدينة أنطاكية ،
وسنذكر بعد في هذا الكتاب جملا من التاريخ في باب نقرده لذلك إن شاء
الله تعالى

فلنرجع الآن إلى وصف حساب الشهور : شباط ثمانية وعشرون يوما وربع
ثلاث سنين متوالية ، والرابعة كميصة فيكون تسعا وعشرين يوما ، وتكون
السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ، والسبعة منه تسقط الجرة الأولى ، وهي الجبهة ،
ولأربع عشرة منه تسقط الجرة الثانية ، وهي الصرفة ، وينصرف البرد ، وثلاثة
أيام من آخره أيام العجوز ؛ وأذار أحد وثلاثون يوما ، ولأربعة من أوله تتم أيام
العجوز ، والعرب تسمى هذه السبعة الأيام : صِنًا ، وصِنْبِرًا ، ووَبْرًا ، وأمرا ،
ومؤتمرا ، ومعللا ، ومطفىء الجمر ، قال بعض العرب في أسماء أيام العجوز :

كسع الشتاء بسبعة غُبر صِنٌّ وصِنْبِرٌ وبالوَبْرِ
فاذا انقضت أيام شتوتنا أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء موكِّيا هربا وأنتك واقدة من الحر

زمن
أيام العجوز
وأسمائها

ولخمس عشرة من أذار يستوى الليل والنهار ، وتحل الشمس الحَمَل ، وهذا اليوم تحويل سنة العالم ، قال أبو فراس : —

أما ترى الشمس حَلَّتِ الحَمَلَا وطاب وَزَنُ الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الحمر حولها كَمَلَا
واكتست الأرض من زخارفها وَشَى ثيابِ تَخَالُفِهَا حَمَلَا
فاشرب على جدَّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان معتدلا

وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الحمر سنة ، وإنما أراد بحلولها قربها من الحول والقوة

قال المسعودى : وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين فى العدد ، وذلك أن أول شهور الروم يوار يوس ، وهو كانون الثانى ، وقد قدمنا أن فى أول يوم منه يكون الغطاس ، وشباط فبراير يوس ، وآذار مارتىوس ، ونيسان إبريلس ، وأيار مايوس ، وحزيران يونيوس ، وتموز يوليوس ، وآب أغسطس ، وأيلول سبتمبر ، وتشرين الأول أكتوبر ، وتشرين الثانى نوفمبر ، وكانون الأول ديسمبر

ذكر شهور الفرس

كلها ثلاثون يوما ، فأولها قرودرى ؛ وأول يوم منه النيروز ، وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما^(١) ، والثانى اردبهشت ماه ، وخرداد ماه ، ونيرماه نيروز عيد المهاجرين ، ومرداد ماه ، وشهر يورماه ، ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ، ومهرماه ، وأبان ماه ، وآدرماه عيد الأنصار ، وهذه خمسة أيام الفرد ، وohan ودى ماه ، وأول يوم منه يخرج الكوسح فيه راكبا بغاله بالعراق وأرض فارس ، ولا يعرف ما وصفنا إلا بالعراق ، وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ، ويطعم مدة من الأيام الجوز والثوم واللحم السمين

(١) سبق (ص ١٠٣) أن بينهما تسعة وستين يوما ومائة يوم .

وما عدا ذلك من الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة الدافعة للبرد ، فيظهر طاردا للبرد ، فيصب عليه الماء البارد ، فلا يجد لذلك شيئا من ألمه ، ويصيح بالفارسية كرما كرما ، وهذا وقت عيد الأعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور ، وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة ، وأدورون ، والأردحش ، ودرماه ، ودسمهر ، وردمنا ، وآذرو بهمن ماه ، واسفندار مدرون الاسوف ، واسفندار موزماه ، فذلك ثمانية وخمسة وستون يوما والله أعلم

ذكر أيام الفرس

وهي هرمز وبهمن وأدر بهشت وشهرين واسفندار موزخرداد ومرداد ودينا ودين وادواران وحردمله ونبر ونبرس ودي ومهر وانرويس وأفرون وبهران ، وفيه يقول الشاعر : —

باكر بنا لنة المدام في يوم سبت ويوم رام
شريطي فيه أن تراني وقت الضحى فاتر الكلام
وبادور ونبرين وارد وسال واسار وحامار ومار وسعيد ونيران ؛ فأما أيامهم المعروفة بالفردحان فهي وهيدكاه وست كاه هو كاه مسروكاه كاساه
وكانت العرب تسمى الأيام الخمسة : الهريز ، والهبير ، وقالب الفهر ، وحافل الضرع ، ومدحرج البعر

وكانت الفرس تكبس في كل مائة وعشرين شهرا الربع اليوم الفاضل في الشهور الرومية ، وتسمية الهارك ، فاذا كانت سنة كبيسة أخرجوا ذلك إلى مائة وعشرين سنة ، لأن أيامهم كانت سعودا ونحوسا ، فكبرهوا أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود إلى أيام النحوس ، ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر ، والله تعالى أعلم

ذكر سني العرب وشهورها

وتسمية أيامها ولياليها

أشهر الأهلة أولها المحرم ، وأيامها ثلثائة وأربعة وخمسون يوماً تنقص عن السرياني أحد عشر يوماً وربع يوم ، فتفرق في كل ثلاث وثلاثين سنة ، فتتساخ تلك السنة العربية ، ولا يكون فيها نيروز ، وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء ، وقد ذم الله تبارك وتعالى فعاهم بقوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم ؛ لأنه أول السنة ، وإنما سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه ، وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية ، وكانوا يمتارون فيها ، ومن تخلف عنها هلك جوعاً ، وقال نابغة ذبيان : —

إني نهيت بني ذبيان عن أفق وعن ترفههم في كل أصفار
وقيل : إنما سمي الصفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم إلى الحرب ، وهو مأخوذ من قولهم : صفرت الدار منهم ، إذا خلت ، وربيع وربيع ، لارتباع الناس والدواب فيهما ؛ فان قيل : قد توجد الدواب ترتبع في غير هذا الوقت ، قيل : قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمها في ذلك الوقت فاستمر تعريفها بذلك مع انتقال الزمان واختلافه ، وجمادى وجمادى ؛ لجود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور ؛ لأنهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ، ورجب ؛ لخوفهم إياه ، يقال : رجبت الشيء ، إذا خفته ، وأنشد : —

* فلا تهيبها ولا ترجبها *

وشعبان ، لتشعبهم إلى مياههم وطلب الغارات ، ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت ، والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ، ولا يجوز أن يقال رمضان ، وإنما يقال شهر رمضان ، وشوال ، لأن الأبل كانت تشول فيه

ذلك الوقت بأذنانها ، تشاءمت به العرب ، ولذلك كرهت التزويج فيه ،
وذو القعدة ، لعودهم فيه عن الحرب والغارات ، وذو الحجة ، لان الحج فيه

والأشهر الحرم : الحرم ، ورجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة

وأشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، والأيام المعلومات
العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق ، والتعجيل باتفاق غير جائز إلا في اليوم
الثالث من يوم النحر ، يدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر
من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام ، وهذا خلاف القرآن لاخبار الله
تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات ، وإذا كانت المعدودات ما وصفنا
صح أن المعلومات منها ، والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها ،
ولا تمنع بين العرب أن يقول القائل « آتيك في الشهر » ، والاثنيان إنما كان في
بعضه ، و « جئتك في اليوم » والحجى في بعض أوقاته ، ولا يصام يوم النحر ،
ولا يوم الفطر ، ولا أيام منى ، لفرض ولا لتطوع ؛ نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ، ولم يخص فرضاً من تطوع بالنهى ، فالواجب الامتناع على ما وصفنا
وقد ذكر عن عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام
ثلاثة أيام التشريق ؛ وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام في أيام
التشريق خلاف بين الناس ، وأيام التشريق أولها ثاني النحر وآخرها اليوم الثالث
عشر من ذى الحجة

تسمية أيام
التشريق

قال المسعودى : وقد اختلف الناس في علة أيام التشريق ، وهى أيام منى
ولياليها ، فقالت طائفة : إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح
ويشرقون اللحم في الشمس ، وقال آخرون : إنما سميت أيام التشريق لأن أهل
مكة وغيرهم يتشرون منصرفين إلى أوطانهم ، وفيه قول آخر ، وهو أنها إنما
سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة إلى مصليات
لهم في فضاء من الأرض فيسمونها المشارق ، واحدها مشراق ، يسبحون ويدعون

فسميت بذلك أيام التشريق ، وفيه قول آخر ، وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم ، وهو التشريق ، وقالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشركة ، يعنى المشقوقة الأذنين بالطول ، فهى أيام التشريق ، وللناس فى التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا ، وإنما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا إليه واتصاله بما قدمناه ، وإن كان كلاما يباحثه بالفقه

والأيام النحسات : كل أربعاء يوافق أربعاء من الشهر ، مثل أربعاء خلون ، وأربع وعشرين ، وأربع بقين

الأيام النحسات

وأما أسماء الأيام فأولها الأحد ، وإنما سمى بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان ، وبذلك نطق التوراة ، وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الأيام من بدء الخلق ، والاثنين ، وسمى لأنه ثان ، والثلاثاء ، وسمى لأنه ثالث ، والأربعاء لأنه رابع ، والخميس لأنه خامس ، والجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت لأن الخلق انقطع فيه ولم يخلق ، وهو مأخوذ من قولهم : نعل سبئية ، إذا كانت مقطوعة الشعر ، ويقال : سبت شعره ، إذا قطعه ، وكانت العرب تسميها فى الجاهلية : الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار ، قال شاعرهم : —

أسماء الايام عند العرب قديما

أؤمل أن أعيش وأنَّ يَوْمِي بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفتنه فمؤنس أو عروبة أو شيار

وكانوا يسمون الشهور : الحرم ناتق ، وصفر ثقيل ، ثم طليق ، ناجر ، سماح ، امنح ، احلك ، كسع ، زاهر ، برط ، حرف ، نعس ، وهو ذو الحجة وقد اختلفت العرب فى أسماء الأزمنة : فزعمت طائفة منها أن أولها

أسماء الشهور عندهم

الْوَسْمَى ، وهو الخريف ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، ثم القَيْظُ ، ومنهم من يعد الأول من فصول السنة الربيع ، وهو الأشهر والأعم ، والعرب تقول : خرفنا فى بلد كذا ، وشتونا فى بلد كذا ، وتربعنا فى بلد كذا ، وصيفنا فى بلد كذا

الأزمنة الأربعة

وشهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة ، بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة في الربيع وتارة في غيره من فصول السنة

وشهور الروم مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ، ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للأبصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين إلى أيلول ؛ فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة ^(١) من هذه الاثني عشر شهرا غير حائله ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ، ولكل برج منها شهر : فأيلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء ، وكانون وكانون وشباط لسلطان الباغم ، وآذار ونيسان وأيار لسلطان الدم ، وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء ، فأيلول لبرج السنبلة ، وتشرين الأول لبرج الميزان ، وتشرين الآخر لبرج العقرب ، وكانون الأول لبرج القوس ، وكانون الآخر لبرج الجدى ، وشباط لبرج الدلو ، وآذار لبرج الحوت ، ونيسان لبرج الحمل ، وأيار لبرج الثور ، وحزيران لبرج الجوزاء ، وتموز لبرج السرطان ، وآب لبرج الأسد

قال المسعودى : وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام في الطبائع وفصول السنة ، وما يلائم ذلك من المآكل والمشارب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ، إن شاء الله تعالى ، والله ولى التوفيق .

ذكر قول العرب في ليالى الشهور القمرية وغيرها

كانت العرب تخبر عن القمر في كل ليلة على حسب ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب ، فتقول : قيل للقمر : ما أنت ابن ليلة ؟ قال : رضاع سخيلة ، حل أهلها برميلة ، قيل : فما أنت لليلتين ؟ قال : حديث مشيق ، ذو أفل ونيق ، قيل : فما أنت لثلاث ؟ قال : حديث فتيات ، يجتمعن من شتات ، وقيل : قليل الثبات ، قيل : فما أنت لأربع ؟ قال : غنمة رتع ، غير جائع ولا مريض ، قيل : ما أنت لخمس ؟ قال : حديث وأنس ، قيل : فما أنت لست ؟ قال : سر وبت ، قيل : فما أنت لسبع ؟ قال : نصف في السبع ، وقيل : حلجة للضبع ، قيل : فما أنت لثمان ؟ قال : قمر أصبحان ، وقيل : رغيف اقتسمه أخوان ، قيل : فما أنت لتسع ؟ قال : يلتقط الجرع ، قيل : فما أنت لعشر ؟ قال : محب الفجر ، قيل : فما أنت لإحدى عشرة ؟ قال : أرى مساءً وأرى بكرة ، قيل : فما أنت لاثني عشر ؟ قال : موفق للسير في البدو والحضر ، قيل : فما أنت لثلاث عشرة ؟ قال : قمر باهر ، يعشى عين الناظر ، قيل : فما أنت لأربع عشرة ؟ قال : مقبل الشباب ، أضاء بين السحاب ، قيل : فما أنت لخمس عشرة ؟ قال : تم التمام ، ونفدت الأيام ، قيل : فما أنت لست عشرة ؟ قال : ناقص الخلق ، في الغرب والشرق ، قيل : فما أنت لسبع عشرة ؟ قال : يكن الفقير للفقير ، قيل : فما أنت لثمان عشرة ؟ قال : قليل البقاء ، سريع الفناء ، قيل : فما أنت لتسع عشرة ؟ قال : بطيء الطلوع ، من الخشوع ، قيل : فما أنت لعشرين ؟ قال : أطلع سحرة ، وأرى بكرة ، قيل : فما أنت لإحدى وعشرين ؟ قال : لا أطيل السرى ، إلا ريثما أرى ، قيل : فما أنت لاثنتين وعشرين ؟ قال : منع خطب ، وليث حرب ، قيل : فما أنت لثلاث وعشرين ؟ قال : كالقبس ، أطلع في الغلس ، قيل : فما أنت لأربع وعشرين ؟ قال : أطلع في قسمة ، ولا أجلى ظلمه ، قيل : فما أنت لخمس

وعشرين ؟ قال : أنا في تلك الليال ، لا قمر ولا هلال ، قيل : فما أنت لست وعشرين ؟ قال : دنا الأجل ، وانقطع الأمل ، قيل : فما أنت لسبع وعشرين ؟ قال : دنا ما دنا ، فليس في من سنا ، قيل : فما أنت لثمان وعشرين ؟ قال : أطلع بكرا ، ولا أرى ظهرا ، قيل : فما أنت لتسع وعشرين ؟ قال : أسبق شعاع الشمس ، ولا أطيل المجلس ، قيل : فما أنت لثلاثين ؟ قال : مستقبل سريع الأفل

وكانت العرب تسمى الثلاثة الأولى من ليالى الشهر ؛ فتقول : ثلاث غرر ، والثلاث التى تليها ثلاث سمر ، والثلاث التى تليها ثلاث زهر ، والثلاث التى تليها ثلاث درر ، والثلاث التى تليها قمر ، وثلاث بيض ، وتقول في النصف الثانى من الشهر في الثلاث الأول درع ، وفي الثلاث التى تليها ظم ، وفي الثلاث التى تليها ثلاث حناديس ، وفي الثلاث التى تليها ثلاث دواير ، وفي الثلاث التى تليها ثلاث محاق ، وقيل في وجه آخر من الروايات : إنه يقال لليالى الشهر ثلاث هلال ، وثلاث قمر ، وست نقل ، وثلاث درع ، وثلاث بهم ، وست حناديس ، وليلتان داريتان ، وليلة محاق

قال المسعودى : فأما ما ذهب إليه العرب في تسمية القمر فانها تسميه في ليلة طلوعه هلالا ، ومالم يستدر فهو هلال ، ثم تسميه قمر إذا ما استدار ، وإذا ما حجر وأضاء فهو قمر ، قال شاعرهم :

وقمير بدا ابن خمس وعشري * ن له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوى لثلاث عشرة منه ، وهى ليلة السواء ، ثم ليلة البدر لأربع عشرة ، ويقال : غلام بدر ، إذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ، ويقال : عين حذرة قمر ، إذا كانت حديدة كهين الفرس ، والليالى البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، والليالى الدرع هى التى تسود صدورها وتبيض سائرها ، والمحاق إذا ما طلعت عليه الشمس ، والسواد حين يستتر فيكون قد خلف الشمس ، (٨ - ٢)

تقسيم الليالى
ثلاثا ثلاثا
واسم كل ثلاث

أسماء الهلال
والليالى

ويقال : قد حجب القمر ، إذا استدار بخطرققيق من غير أن يغلط ، ويقال : أفتق ، إذا أصابته فرجة من السحاب فخرج ، وأفتق علينا فأبصرنا الطريق ، وكل سواد من الليل حندس ، والليالى الزهر الليالى البيض ، والله الموفق للصواب

ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم

وجمل مما قيل فى ذلك

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم إلى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة إلا أنها أقصر من أفعال الشمس ، وهى الثانية بعدها ، وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته يجرى أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة ، وهى تنمى النبات وغيره ، وتعظم البحار ، وتسمن الحيوان ، وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة .

قال المسعودى رحمه الله : وقد تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم : فذهب قوم من أهل القدم إلى أن فى المنى قوة تصور الجنين إما منه وإما من دم الطمث .

وذهب قوم إلى أن فى الرحم قالبا يتصور فيه الجنين ، وقد ذكر جالينوس فى كتابه عن بقراط أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول فى تصور الجنين

وقال صاحب المنطق : إن ذلك بمنزلة الفاعل ، وإن الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى ، قال : والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم ، وزعم جالينوس أن الجنين يكون فى المنى ، وقد يحدث إليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات ؛ فيكون من المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير إليه من الشريانات ، قال : وكون الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المنى والدم ، وتعمل الطبيعة فى الجنين ما تفعله فى النبات ،

لأن بزر النبات يحتاج إلى أرض لينال منها ما يغتذى به ، فالجنين والرحم والنبات يرسل عروقه من الأصول ليجذب بها من الأرض غذاءه ، وللجنين في المشيمة شريانات ، والعروق نظير لذلك ، وهى أصول الجنين ، وبزر النبات منه سوق ، ومن السوق أغصان كبار ، ثم من هذه الأغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهى إلى الأقاصى ، ونظير ذلك يوجد فى الجنين ، فتجد العرق فى بدئه ثلاثة من كل واحد من الأغصان الأصول ، وهى الشريان الأعظم والعرق الأجوف والنخاع ، ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالأغصان المنقسمة إلى أغصان أخر حتى ينتهى إلى الأطراف ، ثم قال بعد ذلك : إن المنى هو المحرك لنفسه ، وإن الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث

وحكى جالينوس عن أبيه بليس أن أجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والأنثى ، وأن شهوة الجماع تسبق هذه الأجزاء إلى أن لا ينام ، وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك وقد ذهب قوم من أهل القدم إلى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الإنسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان ، فتنصب فى الرحم ، فيتغذى منه وينمو ، فيكون من ذلك الجنين

ومنهم من رأى أن هذه الأجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك ، فمن ذلك صار الولد يشبه أباه فى الأغلب من سائر الأعضاء وتشكيله وأهل بيت أبيه ، ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء فى الأغلب من تشابه الأعضاء ، ومن ههنا أدركت القافة إلحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب ، وذلك على قول من رأى إلحاق النسب بالقيافة من القافة ، وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة

يشبه الولد
أباه وأهل
بيت أبيه

وللناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم وما بدؤه وما عنصره وكيفية تقبله

من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة إلى استكمال شكله كلام كثير :
منهم أصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر ، أعرضنا عن ذكر ذلك إذ كان فيه
خروج عما إليه قصدنا في هذا الباب

قال المسعودي رحمه الله : والذي يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم
العقول عنده هو ما أخبر به الباري عز وجل في كتابه بقوله : (هو الذي يصوركم
في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ولم يخبر عن كيفية ذلك
وماسبب مواده ، بل استأثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ، ثم أخبر عن المبدأ الذي
خلقهم منه فقال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) وقال عز وجل :
(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى
أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد
إلى أرذل العمر — الآية)

قال المسعودي : وللناس فيما سلف من الأوائل وخلف من الشرعيين كلام
كثير في كيفية أفعال النيرين وتأثيرها في هذا العالم ، وما قالوه في ذلك ، وما خصوا
به كل واحد منهما وأفردوه ، وما ذهبوا إليه من فعل الثاني منهما وهو القمر ،
وما يظهر من تأثيره في الجزر والمد في بحر الصين والحش واليمن على حسب ما قدمنا
في هذا الكتاب ، وكذلك فعله في المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر
الحيوان والنبات ، وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه ،
وما يكون من بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادى
والعشرين والثامن والعشرين ؛ لأن للقمر أربعة أشكال هي أثبت صورة ،
فيه شكل التنصيف ، وشكل التمام ، وشكل التنصيف عند التمام ، وشكل المحاق ؛
ولكل شكل من هذه سبعة أيام ، لأنه في سبع ليال يتنصف ، وفي الرابعة عشرة
يتم ، وفي الحادية والعشرين يتنصف ، وفي الثامنة والعشرين يتمحق ، فكذا

الاختلاف في
تأثير النيرين

البحرانات ، وعند هذه الطائفة يصح في السابع والرابع عشر والحادى والعشرين ، ويصح أيضا في تنصيفات هذه ؛ إذ كانت هذه الأشكال أثبت أشكال الشيء المنقسم ، وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب إلى غير هذا القول ، وأن ذلك من قبل الأخطا وغير ذلك والطبائع الأربعة وغيرها مما قد أتينا على إيضاحه في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وفي كتاب « المبادئ والتراكيب » وغير ذلك في كيفية تأثير الشمس والقمر .

وأما الدلائل وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة ، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة ، وأن كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالكرة ، وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغرا ، ووصف الربع المسكون من الأرض ، وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ، ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع ؛ فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « أخبار الزمان » ، وما أوضحنا فيه من هيئة الأفلاك والكواكب ، وأن الأرض مع ما وصفنا في تدويرها موضوعة في جوف الفلك كاللحمة في البيضة ، والنسيم جاذب أيضا لما في أبدان الخلق من الخفة ، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل ؛ إذ كانت الأرض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد ، وأن الأرض مقسومة نصفين ، وبينهما خط الاستواء ، وهو من المشرق إلى المغرب كما أن منطقة الأرض أكبر من الفلك ، وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي تدور حوله بنات نعش ، وأن استدارة الأرض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، والدرجة خمسة وعشرون فرسخا ، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، والذراع اثنان وأربعون أصبعا ، والأصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها إلى بعض ، يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الأرض والبحار ومبادئ الأنهار مقدار الميل والذراع الأسود ، وإنما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما سنح لنا ونجده في كتب الناس فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم ، إلا أنا لا نقطع على صحته ، إذ كان ما يذهب إليه في مقدار الميل من الأذرع والذراع من الأصابع هو ما بيناه آتفا في باب ذكر الأرض والبحار ، وبين الاستواء وكل واحد من قطبين تسعون درجة ، واستدارتها عرضاً مثل ذلك ، وزعم هؤلاء أن العمار في الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ، وأن الباقي قد عمه البحر الكبير ؛ وأن الخلق على الشمال من الأرض ، والرابع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الباقي من الأرض لساكن فيه ، وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة أقاليم قد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الأرض والأقاليم السبعة ، وأن عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة ؛ فأما قبلة المشرق والمغرب واليمين والجنوبي فقد ذكرنا جملاً من ذلك في كتابنا « أخبار الزمان »

وقد حرر ذلك في كتابه أبو حنيفة الدينوري ، وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله إلى كتبه نقلاً ، وجعله عن نفسه ، وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري ، هذا ، وكان أبو حنيفة هذا ذاحل من العلم كبير ، وبطليموس في كتاب المجسطي ، وغيره ممن تقدم ، ثم لمن طراً بعد ظهور الإسلام مثل الكندي وابن المنجم ، وأحمد بن الطبيب ، وما شاء الله ، وأبي معشر ، والخوارزمي ، ومحمد بن كثير الفرغاني ، فيما ذكره في كتابه في الأصول الثلاثين ، وثابت بن قرة ، والسديدي ، ومحمد بن جابر البناني ، وغير هؤلاء ، من قد غنى بعلوم الهيئة علوم كثيرة في هذا المعنى ، وإنما ننقل من ذلك إلى هذا الكتاب لمعاً طلباً للاختصار والايجاز .

ذكر ارباع العالم والطبائع

وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب واليمين والجنوبى

والأهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب ، وما لحق بهذا الباب

فأما الطبائع الأربعة فالنار حارة يابسة ، والطبيعة الثانية باردة رطبة ، وهى الماء ، والطبيعة الثالثة الهواء ، وهو حار رطب ، والطبيعة الرابعة الأرض ، وهى باردة يابسة ، فاثنتان تذهبَان الصُّعْدَاء ، وهما النار والهواء ، واثنتان ترسخان سفلا ، وهما الأرض والماء ، والعالم أربعة أجزاء : فالشرق الربع الأول ، وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم ، وهذا الربع ريحه الجنوب ، وله من الساعات الأولى والثانية والثالثة ، وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ، ومن المذاقات حظه الحلاوة ، وله من الكواكب القمر والزهرة ، وله من البروج الحمل والثور والجوزاء ، ولله حكماء فى هذا خطب طويل فى وصف هذه الأرباع هذه جمل منها مامضى وما يأتى ، والمغرب هو الربع الثانى ، وجميع ما فيه بارد رطب الماء واللبن فى الشتاء ، ورياحه الدبور ، وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك ، وله من القوى القوة الدافعة ، وله من الكواكب المشتري وعطارد ، ومن البروج الجدى والدلو والحوت ، والجزء الثالث اليمين ، وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء فى الصيف ، وريحه الصبا ، وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار ، وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية ، وله من المذاقات المرارة ، وله من الكواكب المريخ والشمس ، ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان ، والجزء الرابع هو الجنوبى ، وجميع ما فيه بارد يابس مثل الأرض ، وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة ، وله من قوى البدن القوة الماسكة ، ومن المذاقات العفص ، وله من

الطبائع الاربع

أرباع العالم

وما خص به

كل ربع منها

الكواكب زحل ، وله من البروج الميزان والعقرب والقوس ، والأرض وما وصفناه في الهيئة ؛ وتختلف في التأثير على مقادير الخطوط ؛ فإذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ماهو إذا قرب ؛ لموجبات متنافية متغيرة ، وأفضل المواضع في السكنى ماتطرح الشمس ضوء شعاعها إليه ، وإلى الإقليم الرابع ينتهى عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ، ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا إلى هذا الموضع وهو العراق

علة عدم سكنى بعض الارض
قال المسعودى : والمواضع التى لاتسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين : إحداها إفراط الحر وإحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الأرضين جعلتها يابسة وأغاضت مياها لكثرة التنشيف ، والعلة الأخرى بُعد الشمس عن الإقليم ، وارتفاعها عن حوزاته ، فاكثفت تلك الأرضين البرد ، واستولى عليها القهر والجهد ؛ فزاد إفراط البرد في الجو حتى أزال حسن الاعتدال ، ورفع فضيلة النشف ؛ فلم تلبث الحرارة في الأجسام ، ولم تظهر الرطوبة في إنماء الحيوان هنالك ، فصارت تلك البلاد قاعا صنفصفا من الحيوان والنبات ، وهذه البلدان التى تراها مفرطة الحرارة والبرودة هى تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ، ولهذه الطائفة كلام كثير فى فناء العالم ونقصه وعوده جديدا ، وذكروا أن السلطان فى هذا الوقت السنبلة والمشتري فى التدبير ، وأن نهاية العالم فى كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى ، فإذا استكمل وبلغ المسافة التى ذكروها فى الفلك فهنالك يقع النفاد ويكون الدثور بالعالم ، والكواكب إذا كملت ما بها من كَرٍّ ودَوْرٍ عاد التدبير إلى الأول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التى كانت له فى حد حركة تأثير الكوكب الذى كان التدبير إليه ، هكذا عند هؤلاء كان يجرى شأن العالم سرمدا

مدة سلطان الكواكب
وزعموا أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة ، وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة ، وسلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة ، وسلطان الدلو ألفا سنة ، وعند ذلك

هو انتضاء العالم ونقص مافيه ورجوعه إلى كونه
وتسكلم هؤلاء في الجن الذين كانوا في الأرض قبل خلق آدم واستخلافه
في الأرض ، وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية
وتسكلم كلا الفريقين في أوج الشمس عند انفصالها إلى البروج الجنوبية ،
وما يحدث في العالم في كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا ، وتحول العامر غامرا
والغامر عامرا ، على حسب ما ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف »

أجناس
الاجسام

وقد ذهب هؤلاء ممن تقدم من الأوائل أن التي وجد بها سائر الموجودات
كالأول والثواني والثالث على قدر مراتبها في العقل والنفس والصورة والهيولى
وأنها المبادئ على حسب ما رتبناه وقدمناه في كتاب « الزلف » فاعدا ما وصفنا
فهي الأجسام ، وأجناسها ستة : الجسم السماوى ، والحيوانى الناطق ، والحيوانى
غير الناطق ، والنبات ، والأحجار الحجرية وهى المعدنية ، والاستقطاعات الأربعة
وهى النار والهواء والماء والأرض

وتسكلم هؤلاء فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا ؛
إذ كان فيه خروج عن الغرض المتمم فيه ، وقد أتينا على بسط ذلك في كتاب
« الرؤوس السبعة » في باب السياسة المدنية وعدد أجزائها ومثلها الطبيعية ، وهل
ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها ؟ وإليه نهاية أجزائها على حسب
ما ذكرناه ذكره فرقورنوس في كتابه في وصف منازعة أفلاطون
وأرسطاطليس في ذلك ، فأما علة كون الشتاء بأرض الهند في الحالة التى يكون
الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم ^(١) قد ذكرنا علة ذلك
ووجه البرهان عليه ، وأن فلك الشمس في قربها وبعدها ، وكذلك علة تكون
السودان في بعض البقاع من الأرض دون بعض ، وتعطر ألوان الصقالب وشقرتهم
وصهوبة شعورهم ، وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين

(١) الوجه في العربية أن يقول « فقد ذكرنا »

عظامهم حتى إن أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقناه وجهه ، ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك ، وكون الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الأغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على أجسامهم ، فقد أتينا بحمد الله على ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها ، ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا في العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كأخبار العامة في كون النسناس ، وأن وجوههم على نصف وجوه الناس ، وأنهم ذوو ألباب ، وقولهم في عتقاء مغرب ، وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس : ناس ، ونسناس ، ونسانس ، وهذا محال من القول ، لأن النسناس إنما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والردال ، وقد قال الحسن : ذهب الناس وبقي النسناس ، قال الشاعر :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفا في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا : أى ذهب الناس وبقي من لا خير فيه

وقد ذهب كثير من الناس إلى أن الجن نوعان : أعلاهم وأشدهم الجن ، وأضعفهم الجن ، وأنشد الراجز : —

أنواع الجن

* مختلف سحرهم جن وحن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ، ولا صح به أثر ، وإنما ذلك من توهم الأعراب على ما بينا آنفا

وقد غلب على كثير من العوام الأخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم ، كالأخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والأمصار القاصية ، فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق ، وبعضهم في المغرب ، فأهل الشرق يذكرون كونها بالمغرب ، وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق ، وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه إلى أن النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار ،

النسناس

وقد رووا في ذلك خبرا مخرجه من طريق الأحاد أن ذلك في بلاد حضرموت من الشحر ، وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصري ، عن أبيه يعقوب بن محرت بن لحيم ، عن شيبه بن الحرث التميمي ، قال : قدمت الشحر فنزلت على رأسها ، فتذاكرنا النسناس ، فقلت : صيدوا لنا منها ، فلما أن رجعت إليه إذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة ، فقال لي النسناس : أنا بالله وبك ، فقلت لهم : حلوه ، فخلوه ، فلما حضر الغداء قال : هل اصطدتم منها شيئا ؟ قالوا : نعم ، ولكن خلاه ضيفك ، قال : استعدوا ؛ فانا خارجون في قنصه ، فلما خرجنا إلى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ، ومثل الثدي في صدره ، ومثل رجلي إنسان رجلاه ، وقد أظ به كلبان وهو يقول : —

الويل لي مما به دهاني	دهري من الهموم والأحزان
قفا قليلا أيها الركبان	واستمعا قولي وصدقاني
إنكما حين تحمارباني	ألفيتاني حضرا يمانى
لولا سباتي ما ملكتماني	حتى تموتا أو تفارقاني
لست بجوار ولا جبان	ولا بنكس رعرش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن	يذل ذا القوة والسلطان

قال : فالتقيا به كلبان ، فأخذه ، ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا ، فقال آخر من شجرة : كان يأكل الساق ، قال : فقالوا : نسناس آخر ، خذوه ، فأخذوه وذبحوه ، وقالوا : لو سكت هذا لم يعلم بمكانه ، فقال نسناس من شجرة أخرى : أنا صمت ، فأخذوه وذبحوه ، وقالوا : لو سكت هذا لم يعلم بمكانه ، فقال نسناس من شجرة أخرى : يا لسان احفظ الرأس ، قالوا : نسناس خذوه ، فأخذوه ، وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها في بلادها وتأكلاها

قال المسعودي : ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها ، وهي

تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الأحقاف ، وهى أرض الرمل وغيرها مما
اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة — يستظرفون أخبار
النسناس إذا ما حدثوها ، ويتعجبون من وصفه ، ويتوهمون أنه ببعض بقاع
الأرض مما قد نأى عنهم وبعد ، كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم ، وهذا
يدل على عدم كونه فى العالم ، وإنما ذلك من هوس العامة واختلاطها ، كما وقع
لهم أخبار عنقاء مغرب ، وهذا يدل على عدم كونه فى العالم ، ورووا فيه حديثاً
عزوه إلى ابن عباس ، ونحن لم نُحِلْ وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل
بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل ؛ فإن ذلك غير
ممتنع فى القدرة ، لكن أحكنا ذلك لأن الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود
ذلك فى العالم ، وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع
والواجب ، ويحتمل هذه الأنواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء
والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعاً من الحيوان أخرجتها الطبيعة من
القدرة إلى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فى الطبع كتابته فى غيره من الحيوان ، فبقي
شاذاً فريداً متوحشاً نادراً فى العالم طالبا للبقاع النائية من البر مبائناً لسائر أنواع
الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التى فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة ، وعدم
تشاكله به ، والمناسبة التى بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه ، على
حسب ما قدمنا فى باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب ، وفى الاكثار من
هذا خروج عن الغرض الذى إليه قصدنا فى هذا الكتاب ، وقدّمنا فيما سلف
من هذا الكتاب من الأخبار عن زعم أن المتوكل أمر حسين بن إسحق^(١) أو غيره
من أهل عصره ومن عنى بهذا الشأن من الحكماء أن يتأتى له ويحتال فى حمل
النسناس والعربد من أرض اليمامة ، وأن حسيناً^(١) حمل له شيئاً من ذلك ، وقد
أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل إلى اليمامة فى حمل العربد إلى بلاد الشحر
وفى حمل النسناس فى كتابنا « أخبار الزمان » والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر ،

وليس لنا في ذلك إلا النقل ، وأن نعزوه إلى راويه ، وهو المقلد بعلم ذلك فيما حكاه ورواه فينظمه على حسب ما يأتي نظمه في ذلك الموضوع المستحق له ، والله ولي التوفيق برحمته

وأما ما ذكره عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي ، وأنه ذكر أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وذكرنا خبره مع النار وإطفائه لها

العنقاء

فلنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما رووه ، فلا بد من إعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ، ومخرج هذه الأخبار كلها عن ابن عفير ، حدث الحسن بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن عبد الله المروزي ، قال : حدثنا أسد بن سعيد بن كثير ، عن ابن عفير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق طائرا في الزمان الأول من أحسن الطير ، وجعل فيه من كل جنس قسطا ، وخلق وجهه على مثال وجوه الناس ، وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش ، وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيهما مخالب ، وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الأصل ، وجعل له أبناء على مثاله ، وسماها بالعنقاء ، وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران : إني خلقت طائرا عجيبا خلقتة ذكرًا وأنثى ، وجعلت رزقه في وحش بيت المقدس ، وآتيتك بهما ، ليكونا مفاضلت به بني إسرائيل » ، فلم يزلتا ينسلان حتى كثرت نسلهما ، وأدخل الله موسى وبني إسرائيل في التيه فكتبوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه وجميع من كان مع موسى من بني إسرائيل ، وكانوا ستمائة ألف ، وخلفهم نسلهم في التيه ، ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع ابن نون تلميذ موسى ووصيه ، فانتقل ذلك الطائر فوق بنجد والحجاز في بلاد قيس عيلان ، ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك

من البهائم إلى أن ظهر نبى من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
يقال له خالد بن سنان ؛ فشكا إليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا
الله عليهما فقطع نسلهما ، فبقيت صورتها تحكى فى البسط وغير ذلك

وقد ذهب جماعة من ذوى الدراية إلى أن أقوال الناس فى أمثالهم « عنقاء
مغرب » إنما هو للأمر العجيب النادر وقوعه ، وقولهم « جاء فلان بعنقاء مغرب »
يريدون أنه جاء بأمر عجيب ، قال شاعرهم :

* وصباحهم بالجيش عنقاء مغرب *

والعنق : السرعة ، قال ابن عباس : وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس
بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرته الوفاة قال لقومه : إذا أنا مت
فادفنونى فى حقف من هذه الأحقاف ، وهى تلوى عظام من الرمل ، واحرسوا
قبرى أياما فإذا رأيتم حمرا أشهب أتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما
فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى إلى شفير القبر ، وأحضروا لى كاتبا ومعه
ما يكتب فيه حتى أملئ عليكم ما يكون وما يحدث إلى يوم القيامة ، قال : فرصدوا
قبره ، واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم ، فحضر ولده وشهروا سيوفهم ، وقالوا :
والله لا تركنا أحدا ينبشه ، أتر يدون أن نغير بذلك غدا وتقول لنا العرب : هؤلاء
ولد المنبوش ؟ فانصرفوا عنه وتركوه ، قال ابن عباس : ووردت ابنة له عجوز قد
عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فتلقاها بخير وأكرمها وأسامت ، وقال لها :
« مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله » قال شاعر بنى عبس : —

بنى خالد لو أنكم إذ حضرتم نبشتم عن الميت المغيب فى القبر

لأبقى عليكم آل عبس ذخيرة من العلم لا تبلى على سالف الدهر

وقد روى عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى وأشباهه من فنون الأخبار
من أخبار بنى إسرائيل وغيرها : منها خبر خلق الخليل ، وهو ما حدث به الحسن بن
إبراهيم الشعبى القاضى ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى ، قال : حدثنا

خالد بن
سنان نبى
بنى عبس

خبر خلق
الخليل

أبو الحرث أسد بن سعيد بن كثير بن عفير ، عن أبيه ، عن جده كثير ، عن أبيه عفير ، قال : قال عكرمة : أخبرني ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوبي : إني خالق منك خلقا ، فاجتمعت ، فأمر جبريل فأخذ منها ، ثم قال الله : هذه قبضتي ، قال : ثم خلق الله منها فرسا كميتا ، ثم قال الله : خلقتك فرسا ، وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقتك من البهائم لسعة الرزق ، والغنائم تقتاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك ، ثم أرسل فصهل ، فقال : باركت فيك ، بصهيلك أرعب المشركين ، وأملا مسامعهم ، وأزلزل أقدامهم ، ثم وسمه بغرة وتحجيل ، فلما خلق الله آدم قال : يا آدم ، أخبرني أي الدابتين أحب إليك الفرس أو البراق ؟ قال : وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى ، فقال : يا رب ، اخترت أحسنها وجهها ، فاختر الفرس ، فقال الله : يا آدم ، اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخذلوا » قال ابن عباس : فذلك الوسم فيه وفي ولده إلى يوم القيامة ، يعني الغرة والتحجيل ، ولولا أن المصنف حاطب نيل يذكر كل نوع لما ذكرنا

قال المسعودي رحمه الله : وقد ذكر عيسى بن هبة المصري في كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل حلبة أجريت فيها الخيل في الجاهلية والإسلام : إن سليمان بن داود زود أناسا من الأزدي فرسا يصيدون عليه ، فسمى زاد الراكب ، وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره

وللناس في الخيل أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في السالف

من كتبنا

وقد ذهبت طائفة إلى أن الأخبار التي تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة : ما رواه الكافة عن الكافة ، وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله

ما يؤخذ به
من الأخبار
وما يترك

وذهب الجمهور من فقهاء الأمصار إلى قبول خبر الاستفاضة ، وهو خبر التواتر ، وأنه يوجب العلم والعمل ، وأوجبوا العمل بخبر الواحد ، وزعموا أنه موجب العمل دون العلم بأوصاف ذكروها

ومن الناس من ذهب إلى غير هذه الوجوه في فنون الأخبار من الضرورة وغيرها

وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ، ولا بالأخبار المضطرة لسامعها إلى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها ، وهذا النوع من الأخبار قد قدمنا في خبر الجائز الممكن الذي ليس بواجب أنه لا حق بالاسرائيليات من الأخبار والاعجاز عن عجائب البحار ، ولو لا ما قدمنا آنفا من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الأخبار ، مما رواه أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم حملة السنن ونقله الآثار ، مما لا يتناكرونه ، ويعرفونه ولا يدفعونه ، مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني إسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لأهل السفينة ويشوب الخمر بالماء ، وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة ، وأن القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدور ، وهو صارى المركب ويدعى بالعراق الرقل ، فحل الكيس ولم يزل يرمى درهما إلى الماء ودرهما إلى السفينة ، حتى قسم ذلك نصفين ، ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة ، وهو خبر تميم الداري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة ، فأضل بهم البحر وألقاهم إلى جزيرة ، فنظروا إلى دابة عظيمة قد نشرت شعرها ، فقالوا لها : أيتها الدابة ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان ، وذكروا عنها كلاما غير هذا ، وأنها قالت : عليكم بصاحبة القصر ،

بعض
الاسرائيليات
التي لا يؤخذ
بأشباهاها

فنظروا فإذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا ، وإذا هم برجل بالحديد والقيود
مسلسل إلى عمود من حديد وصفة وجهه كذا ، وأنه خاطبهم وساء لهم ، وأنه الدجال
وأنه أخبرهم بجمل الملاحم ، وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير
ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الأخبار في معناه ، وهذا باب
كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه

ثم رجع بنا القول إلى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع ،
وما اتصل بهذا المعنى ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام
في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه ، وقد زعم جماعة
من تقدم وتأخر من الأطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام
ثلاثة انقسامات : أما الأول فهي العدة : تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء
الكشك ، ثم تدفعه إلى السكبد في العروق إلى جميع الجسد كاندفاع الماء من
النهر إلى السواقي والمشارب ، فتهمضمه بأعضاء الجسد البالية ، فتصيره إلى شبهها
اللحم لحما والشحم شحما ، وكذلك العروق والعصب وماسوى ذلك ، وأن أقطارها
إذا استوت استوت أقدار القوى ، وإذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل
ويصح باذن الله تعالى ، وأن الزمان أربعة فصول : الصيف ، والخريف ، والشتاء ،
والربيع ، فبالصيف تقوى المرة الصفراء ويكثر اهتياجها ، والخريف يقوى السوداء ،
والشتاء يقوى البلغم ، والربيع يقوى الدم ، ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام :
الصبا وفيه تقوى الصفراء ، والفتوة وفيه يقوى الدم ، والكهولة وفيه تقوى
السوداء ، والشيخوخة وفيه يقوى البلغم ، وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة^(١)
أقسام : المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة ، وفيه يقوى الدم ، والجنوب وطبيعته
البرد والرطوبة ، وفيه تقوى المرة الصفراء ، وأن بنية الأصول من الجسد ربما

(١) ترك ذكر المغرب فلم يعرض له ، وترك ذكر الشمال أيضا ، ثم ذكر تأثير ريح
الجنوب والشمال مقحما في تضاعيف الكلام ما يدعو إلى توهم أنه المتروك ، ويسمى المؤلف
الشمال باليمن

كانت مستوية معتدلة الأخلاط ، وربما كان أحد الأخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته بأعلامه حتى يكون مقوماً لذلك الخلل إذا هاج

أعمار الانسان
سبعة

وقد قال أبقراط : ينبغي أن يكون كل شيء في هذا العالم مقدراً على سبعة أجزاء ؛ فالنجوم سبعة ، والأقاليم سبعة ، وأسنان الناس سبعة : أولها طفل ، ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ، ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ، ثم شاب مادام يشب ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ، ثم كهل إلى الأربعين ، ثم شيخ إلى سبع وأربعين سنة ، ثم هرم إلى آخر العمر

وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم من الهواء يكون ذلك .

وقد قال الحكيم أبقراط : إن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس : مرة إلى الغضب ، ومرة إلى السكون ، إلى الهم والسرور وغير ذلك ، وإذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم

الهواء وأثره
في الانسان
والنبات

وقال : إن قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء : إذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجاً ومرة غير نضيج ، ومرة قليلاً ومرة كثيراً ، ومرة حاراً ومرة بارداً ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم ، وإذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلاً ، فاعتدل بذلك الصور والمزاجات

فأما علة تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهوا ، وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ، ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تشييف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ، ولانت أبدانهم ، وتشبهوا بالنساء في كثير من أخلاقهم ؛ فضعفت شهوة الجماع فيهم ، وقل ولدهم ؛ لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم ، وقد يكون ضعف الشهوة أيضاً لكثرة ركوب الخيل ، وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهم ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع إليها

الاستدلال
بالأقاليم على
تأثير الهواء

وأما حمرة ألوانهم فليبرد كما ذكرنا لأن البياض إذا أحت عليه البرودة صار إلى الحمرة ، وبيان ذلك أن أطراف الأصابع والشفة والأنف إذا أصابها برد شديد احمرت .

وذكر الحكيم أبقراط أن في بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الأمطار كثيرة النبات والعشب ، وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ، ومياها عذبة ، ودوابها عظيمة ، وهى مخصصة ؛ لأن تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ، ولم يلحقها بيس البرد ، فأجسام أهلها عظيمة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ، فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع ، غير أنهم أصحاب دعة ، لا يهتملون الشدائد والكد .

وقال أبقراط في معنى ما وصفنا وإليه قصدنا من بيان الأهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات : إن الروح المطبوعة فيها هى التى تجذب الهواء إلينا ، وإن الرياح تقلب الحيوان من حال إلى حال ، ومن حر إلى برد ، ومن بيس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وكما تغيرها في البيوت من بدن أو غسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى ، وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شىء ، فمن تقدم وعرف أحوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التى فيها عرف السبب الأعظم من أسباب العالم وتقدم في صحة الأبدان .

وقال أيضا : إن الجنوب إذا هبت أذابت الهواء وبردته ، وسخنّت البحار والأنهار ، وكل شىء فيه رطوبة ، وتغير لون كل ذى رطب وحالاته ، وهى ترخى الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلا في السماع ، وغشاوة في البصر ؛ لأنها تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة إلى أصل العصب الذى يكون فيه الحس

وأما الشمال فانها تطب الأبدان ، وتصح الأدمغة ، وتحسن اللون ، وتصفى الحواس ، وتقوى الشهية والحركة ؛ غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر

وقد زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكماء أن الجنوب إذا هب
بأرض العراق تغير الورد ، وتناثر الورق ، وسخن الماء ، واسترخت الأبدان ،
وتكدر الهواء ، قال : وذلك شبه ما قال أبقرط : إن الصيف أوبأ من الشتاء ،
لأنه يسخن الأبدان فيرخيها ويضعف قواها ، وإن أهل العراق يكون الرجل
منهم نائماً في فراشه يسخن بهيوها ، وإنه إذا هبت الشمال برد الخاتم في إصبعه
واتسع لانضمام البدن بها ، وإذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق ، واسترخى
البدن ، وحدث فيه الكسل ، وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس ، إذا
سرف همته إلى تأمل ذلك ، وكذلك يجده من تأمل ما وصفناه في سائر الأمصار
في بقاع الأرض والبلدان ، وإذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال

الرياح الأربعة

ثم قال الحكماء أبقرط في معنى ما ذكرناه : إن الرياح العامة أربعة : إحداها
تهب من جهة المشرق ، وهى القبول ، والثانية تهب من المغرب ، وهى الدبور ،
والثالثة من التيمن ، وهى الجنوب ، والرابعة من التيسر ، وهى الشمال

قال المسعودى : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الأخبار
عن الطبائع والأهوية والبلدان وأنواع الأرض من العامر والغامر ، وغير ذلك مما
تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله إirاده ، فرأينا أن نختم هذا الباب
بجوامع من مساحات الممالك ، وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه
الفزارى صاحب كتاب الزيج والتصيد فى هيئة النجوم والفلك :

زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان إلى طنجة
بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعائة فرسخ ، والعرض من باب الأبواب إلى جدة ستمائة
فرسخ ، ومن الباب إلى بغداد ثلثمائة فرسخ ، ومن مكة إلى جدة اثنان وثلاثون ميلاً
عمل الصين من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى أحد عشر ألف فرسخ
عمل الهند فى المشرق أحد عشر ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ

مساحات

الممالك

وما بينها
من المسافة

عمل التبت خمسمائة فرسخ فى مائتين وثلاثين فرسخاً

عمل ما يذشاه أربعمائة فرسخ في ستين فرسخا
عمل البلغار بالترك ألف فرسخ في خمسمائة فرسخ
عمل الترك بخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ
عمل برجان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ
عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا
عمل الروم ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ
عمل الأندلس لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ
عمل إدريس الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا
عمل فاس لأبي المنتصر أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخا
عمل سجلماسة ألفان وخمسمائة فرسخ في ستمائة فرسخ
عمل غانة بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخا
عمل دمار مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا
عمل بجلة مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا
عمل واح ستون فرسخا في أربعين فرسخا
عمل البختة مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا
عمل النجاشي ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ بالمغرب
عمل الزنج بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا.
فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا ، والعرض خمسة
وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا

وأما الكلام في وصف أصول الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة
والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس في ذلك فلم نتعرض لإيراده في هذا
الكتاب ، وإن كان متعلقا ومتصلا بالكلام في الطبائع وجمال المعاني المذكورة
في هذا الباب ؛ لأننا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار الواثق على

إيضاح جرى بحضرته ، وقد حضر مجلسه حنين بن إسحق وابن ماسويه وغيرهم من
الفلاسفة والمتطبيين ، فأغنى ذلك عن إيراده في هذا الباب ، ولولا أن الكتاب
يرد على أغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما
ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الأخبار ، وقد يالحق الانسان الملل
بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه إلى غيره ، فقصدنا فيه ، من سائر ما يحتاج
الناس من ذوى المعرفة إلى علمه ، ولما تغافل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله
بغيره من المعانى مما لم يتقدم ذكره ، وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على
الاتساع والايضاح في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، والله
تعالى أعلم

المؤلف
يعتذر عن
استطراداته

ذكر البيوت المعظمة والهيكل المشرفة

وبيوت النيران والأصنام

وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله
عز وجل جسم ، وأن الملائكة أجسام لها أقدار ، وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا
بالسما ، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عز وجل ،
وبعضها على صورة الملائكة : مختلفة القدود والأشكال ، ومنها على صورة الانسان
وعلى خلفها من الصور ؛ يعبدونها ، وقربوا لها القرايين ، ونذروا لها النذور ؛
لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة
من الأعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب
الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية ناطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها
وبين الله ، وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب
على أمر الله ، فعظموها ، وقربوا لها القرايين لتنفعهم ، فكثروا على ذلك دهرا ،

اتخاذهم
أصناما
تمثل الملائكة

اتخاذهم
الكواكب
آلهة

فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتمائيل على صورها وأشكالها ، فجعلوا لها أصناما وتمائيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة ، وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ، ويقرب لها نوعا من القران خلاف ما للآخر على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتا وهيكل مفردا ، وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب .

اتخاذهم
أصناما تمثل
الكواكب

وقد ذهب قوم إلى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الأعصار لأنه بيت زحل ، وأن زحل تولاه ، ولأن زحل من شأنه البقاء والثبوت ، فما كان له فغير زائل ولادائر ، وعن التعظيم غير خامل ، وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها .

عقيدتهم
في بيت
الله الحرام

ولما طال عليهم العهد عبدوا الأصنام على أنها تقر بهم إلى الله ، وألقوا عبادة الكواكب ، فلم يزلوا على ذلك حتى ظهر يوداسف بأرض الهند ، وكان هنديا خرج من أرض الهند إلى السند ، ثم سار إلى بلاد سجستان وبلاد زابلستان ، وهي بلاد فيروز بن كبك ، ثم دخل السند إلى كرمان ، فتنبا وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه ، وآتى أرض فارس ، وذلك في أوائل ملك طيمورت ملك فارس ، وقيل : ذلك في همرسند ، وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آتفا فيما سلف من هذا الكتاب ، وقد كان يوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم إذ كان من هنالك بدء النفوس وإليها يقع الصِّدْرُ من هذا العالم .

يوداسف
متنبي الهند
يدعو إلى
الصابئة

وجدد يوداسف عند الناس عبادة الأصنام والسجود لها ؛ لشبه ذكرها ، وقرب إلى عقولهم عبادتها بضروب من الخيل والخدع ، وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكهم أنه أول من عظم النار ، ودعا الناس إلى تعظيمها

دعوته
إلى عبادة
النار

وقال : إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب ؛ لأن النور عنده أفضل من الظلمة ، وجعل للنور مراتب .

ثم تنازع هؤلاء بعده : فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأسماء ، تقربا إلى الله بذلك ، ثم تنازعوا برهة من الزمان

ونشأ عمرو بن لحي فسار بقومه إلى مكة ، واستولى على أمر البيت ، ثم سار إلى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام ، فرأى قوما يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه أرباب نتخذها : نستنصر بها فننصر ، ونستسقى بها فنسقى ، وكل من سألها يعطى ، فطلب منهم صنما يدعونه هبل ، فسار به إلى مكة ونصبه على الكعبة ، ومعه إساف ونائلة ، ودعا الناس إلى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك إلى أن أظهر الله الإسلام وبعث محمداً عليه السلام فطهر البلاد ، وأنقذ العباد .

عمرو بن لحي
أول من
نصب بركة
الأصنام

وقد قال هؤلاء : إن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة .

البيوت
السبعة
المعظمة

وبيت ثان معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس ، وكانت فيه أصنام إلى أن أخرجها منه يستأسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره ، وذلك على ثلاثة فراسخ من إصبهان ، وهذا البيت معظم عند المجوس إلى هذه الغاية والبيت الثالث يدعى سندوساب ببلاد الهند ، وله قرابين تقرب ، وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها ، فمن أراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث ؛ فانه بيت مشهور ببلاد الهند

والبيت الرابع هو البوبهار الذى بناه متوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك فى ذلك الصقع ، وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه ، وتحمل إليه الأموال ، وكانت عليه وقوف ، وكان الموكل بسدانته يدعى البرموك ، وهو سمة عامة لكل سدنته ، ومن أجل ذلك سميت

البرموك
سادن البوهار
بخراسان

البرامكة لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت ، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا ، وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقائق الحرير الأخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير ، فيقال والله أعلم : إن الريح خطفَت يوما من بعض تلك الشقائق ورمت به فأصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل أكثر من تلك المسافة ، وهذا يدل على زيادته في الجو وتشديد بنيانه ، وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها إذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه

قال المسعودي : وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيح أنه قرأ على البوهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته « قال يوداسف : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال » وإذا تحته بالعربية « كذب يوداسف ، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان »

غمدان

والبيت الخامس بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن ، وكان الضحاك بناء^(١) على اسم الزهرة ، وخر به عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما ، وقد كان الوزير علي بن موسى الجراح حين نفى إلى اليمن وصار إلى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا ورأيت غمدان ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن ، وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخالفين اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبنى غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسنى أن لا يتعرض لشيء من ذلك إذ كان بناؤه

(١) قوله « وكان الضحاك بناء » قال المجد : وغمدان كعثمان قصر باليمن بناء يشرخ بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبني داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقوفين أربعون ذراعا . وقوله « يشرخ » وهو ليشرخ بكسر اللام وفتح الياء وسكون الشين

على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم
تأثيراً عظيماً

وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية ، واسمه ربيعة^(١) ،
في مدحه لسيف بن ذي يزن ، وقيل : إن الممدوح بهذا الشعر معد يكرب بن
سيف ، حيث يقول : —

اشرب هنيئاً عليك التاج مرثقاً برأس عُمدان داراً منك محلاً
وكان أبو أمية جاهلياً ، وهو القائل في أصحاب الفيل : —

إن آيات ربنا بينات ما يماري بهن إلا كفور
غلب الفيل بالمغمس حتى ظل يحفو كأنه مسحور^(٢)
حوله من شباب كندة فتيا ن ملأويث في الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما قط ر صخر من جانب محدور

وقيل : إن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في هذا البنيان بالليل واشتعلت
الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة

والبيت السادس كارشان شاه ، بناء كارش الملك بناء عجيباً على اسم المدير
الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس ، بمدينة فرغانة من مدائن خراسان ،
وخربه المعتصم بالله ، ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب
« أخبار الزمان »

(١) هكنا ، وهى عبارة فى غاية الفساد ، والذى فى سيرة ابن إسحاق « قال ابن
إسحاق : قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن
أبي الصلت. » اه ولعل أصل عبارة الأصل ههنا : « وقد ذكر هذا البيت أمية بن
أبي الصلت وقيل أبو أمية بن أبي ربيعة » ولكن أصابها تحريف النساخ ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله

(٢) المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل
أبرهة ويرجم ، قاله المجد اه

والبيت السابع بأعلى بلاد الصين ، بناه ولد عابور بن بعويل بن يافث بن نوح ، وأفرده لليلة الأولى ؛ إذ كان منشأ هذا الملك وممه وباعث الأمور إليه ، وقيل : إنما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منسوبة على صورة من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة إلى تأثير تلك الكواكب من ياقوت أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ، ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد الصين ، بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ، ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الأجسام السماوية في هذا العالم ، وهو على حسب الذي نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات ، فإذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه ، فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر ، وبآخر رأسه ، وبآخر رجلاه ، فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع ، فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآله النسج وما يحدثه الصانع في ذلك من الأفعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية وهى الأجسام السماوية ، فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر ، وبضرب آخر فرخ ، وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع ، وأهل صناعة النجوم لا يتناكرون أن يقولوا : أعطته الزهرة كذا ، وأعطاه المريخ كذا ، كالشجرة وصهوبة الشعر ، وأعطاه عطاردة ذقة الصنعة ، وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين ، وأعطته الشمس كذا ، وأعطاه القمر كذا ، وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه في بابه

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين

البيت الأول
بأنطاكية

البيوت المضاف بناؤها إلى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت : فبيت منها كان بأنطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة ، والسور محيط بها ، وقد جعل المسلمون في موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم إذا وردوا من البر والبحر ، وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين ، فخرّب عند مجيء الإسلام ، وقد قيل : إن قسطنطين الأكبر بن هيلانة الملكة المظهرة لدين النصرانية هو الخرب لهذا البيت ، وكانت فيه الأصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ، وقد قيل : إن هذا البيت هو بيت بمدينة أنطاكية على يسرة الجامع إلى اليوم ، وكان هيكلا عظيما ، والصابئة تزعم أن الذي بناه سفلا نيوس ، وهو في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — يعرف بسوق الجزارين ، وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابيء الحراني حين وافى المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الحادم بن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شأنه ما وصفنا

والبيت الثاني من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الأهرام التي ببلاد مصر ،

الثاني بمصر

وهو يرى من القسطنطية على أميال منها

والبيت الثالث هو بيت المقدس ، على ما زعم القوم ، والشريعة إنما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه ، والمجوس تزعم أن الذي بناه الضحاك ، وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ، ويقعد فيه ملك عظيم ، وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد ، وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى ، واختلاط طويل نزه كتابنا عن ذكره ، والله تعالى ولي التوفيق

الثالث
بيت المقدس
في زعمهم

ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم

البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة ، وهى تونس ، وراء بلاد القيروان ، وهى من أرض الافرنجة ، وبنى على اسم الزهرة بأنواع من الرخام ، والبيت الثانى بافرنجة ، وهو بيت عظيم عندهم ، والبيت الثالث عندهم بمقدونة ، وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا ، والله تعالى أعلم

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة

كانت فى ديار الصقالبة بيوت تعظمها : منها بيت كان لهم فى هذا الجبل الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية ، وهذا البيت له خبر فى كيفية بنائه ، وترتيب أحجاره ، واختلاف ألوانه ، والخاريق المصنوعة ، وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلية ، وما تدل به تلك الجواهر من الأحداث قبل كونها ، وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان ياحقهم من سماع ذلك

وبيت اتخذوه ملوكهم على الجبل الأسود تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع ، وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه ، وهو شيخ بيده عصا يحرك بها عظام الموتى من النواويس ، وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل ، وتحت الأخرى غرايب سود من صور الغداف^(١) وغيرها وصور عجيبة لأنواع من الأحايش والزنج

وبيت آخر على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى بأحجار المرجان

(١) الغداف - كغراب : - غراب القيقظ ، والنسر الكثير الريش ، جمعه

الأحمر وأحجار الزمرد الأخضر ، في وسطه قبة عظيمة ، تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة : زمرد أخضر ، وياقوت أحمر ، وعقيق أصفر ، وبلور أبيض ، ورأسه من الذهب الأحمر ، وبازائه صنم آخر على صورة جارية ، وكان يقرب له قرايين ودخن ، وكان ينسب هذا البيت إلى حكيم كان لهم في قديم الزمان ، وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بأرض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا ، والله تعالى ولي التوفيق

ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة

للصابئة وغيرهما مما لحق بهذا الباب

للصابئة من الحرائين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب فمن ذلك هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل ، وما أدرى أشاروا إلى العقل الأول أم الثاني ، وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الأول الفعّال ، والعقل الثاني ، وذكر ذلك معيطوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق ، وقد ذكر العقل الأول والثاني الاسكندر والافردويس في مقالة أفردا في ذلك قد ترجمها إسحق بن حنين ومن هياكل الصابئة هيكل السنبلة ، وهيكل الصورة ، وهيكل النفس ، وهذه مدورات الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل عطارد مثلث الشكل في جوف مربع مستطيل ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع ، وهيكل القمر مثن الشكل وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنسباط للصابئة الحرائين أشياء ذكرها من قرايين يقربونها من الحيوان ودخن

هياكل
العقول

هياكل
الكواكب

قرايينهم

للكواكب يبعثون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التتويل .

الباقى من
هياكلهم
إلى عصر
المؤلف

والذى بقى من هياكلهم المعظمة فى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلاثمائة - بيت لهم بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بمصلينا ، وهو هيكلى آزر
أبى إبراهيم الخليل عليه السلام عندهم ، وللقوم فى آزر وابنه إبراهيم كلام كثير
ليس فى كتابنا هذا ، ولا بن عيسون الحرانى القاضى - وكان ذا فهمٍ ومعرفة وتوفى
بعد الثلاثمائة - قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحارانيين المعروفين بالصائبة ، ذكر
فيها هذا البيت وما تحته من السرايد الأربعة المتخذة لأنواع صور الأصنام التى
جعلت مثالا للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلية وأسرار
هذه الأصنام وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه السرايد وعرضهم لهم على هذه
الأصنام وما يحدث ذلك فى ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصفرة وغيرها لما
يسمعون ظهور أنواع الأصوات وفنون اللغات فى تلك الأصوات من الأصنام
والأشخاص ، بحيل قد اتخذت ، ومنافىخ قد عملت : تقف السدنة من وراء
جدرٍ فتتكلم بأنواع من الكلام ، فتجرب الأصوات فى تلك المنافىخ والخراريق
والمنافذ إلى تلك الصور الجوفة والأصنام المشخصة ؛ فيظهر منها نطق على حسب
ما قد عمل فى قديم الزمان ، فيصطادون به العقول ، وتسترق بها الرقاب ، ويقام
بها الملك والممالك ، ومما ذكر فى هذه القصيدة قوله :

إن نقيس العجائب بيت لهم فى سرادب

تعبديه الكواكب أصنامهم خلف غائب

وهذه الطائفة المعروفة بالحارانيين والصائبة فلاسفة ، إلا أنهم من حشوية
الفلاسفة ، وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم إضافة سبب لإضافة حكمة ؛ لأنهم
يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة إنما الفلاسفة حكمائهم

ورأيت على باب مجمع الصائبة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولاً لأفلاطون
فسره مالك بن عفتون منهم وهو « من عرف ذاته تآله » وقد قال أفلاطون

« الانسان نبات سماوى ، والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها إلى السماء وفروعها في الأرض » وأفلاطون كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن في النفس ، كالشمس أهى في الدار أو الدار في الشمس ، وهذا قول تغفل بنا الكلام فيه كالكلام في تنقل الأرواح في أنواع الصور

بحث في
النفس

وقد تنازع أهل هذه الآراء ممن قصد هذه المقالة في النقطة على وجهين ، وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا نبيا مرسلا منهم أفلاطون ومن يمم طريقهم فإنه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم ، وأنها حية عالمة مميزة لأجل ذاتها وجوهرها ، وأنها هى المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض المتضادة ، وغرضها في ذلك أن تقيمها مقام العدل وماتم به السياسة المستقيمة والنظام غير المفسد وتردها من الحركة المضطربة إلى المنتظمة

وزعموا أنها تلذ وتألم وتموت ، وموتها عندهم انتقالها من جسد إلى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت ؛ لأن شخصها يفسد ، ولأن جوهرها ينتقل

وزعموا أنها عالمة بذاتها وجوهرها ، وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ، وأفلاطون وغيره في هذه المعانى كلام يطول ذكره ، ويعجز عن وصفه وإظهاره لأعتياصه وغموضه ، وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر ؛ لأن الطالب لعلم هذه الأشياء والإحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية إلى معرفة الألفاظ الخمس ، وهى : الجنس ، والفصل ، والنوع ، والخاصة ، والعرض ، ثم معرفة المقولات ، وهى عشرة : الجوهر ، والكمية ، والكيفية ، والإضافة - وهى النسبة - وهذه أربع بسائط ، والست الأخر مركبات ، وهى : الزمان ، والمكان ، والجدة - وهى الملك - والوضع ، والفاعل ، والمنفعل ؛ ثم ما بعد

الكليات
الحس
والمقولات
العشر

ذلك مما يترقى فيه الطالب إلى أن ينتهى إلى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الأول والثانى

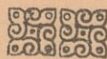
عود إلى
الكلام عن
الصابئة

ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصابئة من الحرائين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم فمن ذلك كتاب رأيته لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ، ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرائين منهم دون من خالفهم من الصابئة ، وهم الكنياريون^(١) ، وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها إذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا إلى وصف الآراء والديانات ، وقد خاطب مالك بن عنفون وغيره منهم بشىء مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا ، فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرائين وغيره ؛ مثل فعلهم بالثور الأسود فانه يضرب وجهه بالملح إذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرايينهم

قال المسعودى : وقد ذكر جماعة ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن الأخبار بأن بأقاصى بلاد الصين هيكلًا مدورا له سبعة أبواب ، فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك ، فى أعلى القبة شبه الجوهر يزيد على رأس العجل تضىء منه جميع أقطار ذلك الهيكل ، وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يَدْنُ أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيئا ، وإن حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشىء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت إلى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت ، وإن رميت بشىء كان كذلك ؛ فليس شىء من الحيل يؤدى إلى تناولها ولا يسبب ، وإن تعرض لشىء من هدم هذا

(١) كذا ، وانظر (ص ١٦٠) من هذا الجزء

الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت في أنواع الأحجار المغناطيسية ، وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكسب الإنسان على رأس البئر إكباباً متمكناً تهوّر في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه ، وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند « هذه بئر تؤدي إلى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه ، وتؤدي هذه البئر أيضاً إلى خزائن رغائب هذا العالم ، لا يصل إلى الوصول إليها والاقتراس منها إلا من وازت قدرته قدرتنا ، واتصل علمه بعلمنا ، وسأوت حكمته حكمتنا ، فمن قدر على الوصول إلى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ، ومن عجز عن الوصول إلى ما وصفنا فليعلم أنا أشد منه بأساً ، وأقوى حكمة ، وأكثر علماً ، وأبعث دراية ، وأتم عناية » ، والأرض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الأرض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ما هو تحته ، فإذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرأى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب إليه وحريق على بنيته وتأسف على إفساد شيء منه أو هدمه ، والله أعلم بذلك



ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها

فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الأولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه أفريدون الملك ، وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها ، وهم معتكفون على عبادتها ، فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها ، فأخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه ، وأنها من جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها ، وذلك أنهم جعلوا للنور مراتب ، وفرقوا بين طبع النار والنور ، وأن الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر ، فما لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها ، وغير ذلك مما يقع في صيد الليالى من الغزلان والطيور والوحوش وظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج في الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك في الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه ، وأن بالنور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ، ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفاؤه ومضادته لها وأنه أصل لكل شيء ومبدأ لكل شيء ومبدأ لكل تمام ، فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها إلى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس ، وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكركان اتخذ بهمن بن استيذاباد بن يستاسف ، وبيت آخر ببلاد السيروان والرى ، وكان فيه أصنام فأخرجها أنوشروان ، وقيل : إن أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة ، وبيت آخر للنار يقال له كوسجة بناه كيجره الملك ، وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ، ويقال : إن الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ، ويقال : إنه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ، ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار ، وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار ،

رأيتهم في
النار والنور

أما كن بيوت
النيران

وذلك زمان لبثه بمشرق الصين مما يلي البركة ، وبيت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذ في آخره بهراسف ، وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن استبجان بنى الجوس ، ثم اتخذ زرادشت بن استبجان بعد ذلك بيوت النيران ، وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان ، وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس ، وقد كان زرادشت يستأسف الملك يطلب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستأسف إلى مدينة درابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت ، وهذه النار تسمى في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - آذر وحواء ، وتفسير ذلك نار النهر ، وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الأولى ، والجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت

وذكرت الفرس أن كيجره لما خرج غازيا إلى الترك سار إلى خوارزم ، فر على تلك الديار ، فلما وجدها عظمها وسجد لها ، ويقال : إن أنوشروان هو الذى نقلها إلى الكارباه ، فلما ظهر الاسلام تخوفت الجوس أن تطفئها المسلمون ، فتركوا بعضها بالكارباه ، ونقلوا بعضها إلى نسا والبيضاء من كورة فارس ؛ لتبقى إحداها إن طفت الأخرى

والفرس بيت نار باصطخر فارس تعظمه الجوس ، كان في قديم الزمان فأخرجته حماني بنت بهمن بن استيذا باذ وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فتخرب ، والناس في وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود ، وبه يعرف ، وقد دخلته ، وهو على فرسخ من مدينة إصطخر ، فرأيت بنيانا عجيبا ، وهيكل عظيم ، وأساطين صخر عجيبة ، على أعلاها صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والأشكال ، محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر ، وفيه صور لأشخاص قد تشككت وأبقيت صورها ، فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء ، وهو في سفح الجبل ، والريح غير خارجة من ذلك

المؤلف
يصف
بيتارآه
باصطخر

الهيكل في ليل ولا نهار لها هبوب ودَوَى ، يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الرياح في ذلك الموضع ، وأنه كان يتغذى ببلبك من أرض الشام ، ويتعشى في هذا المسجد ، وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ، ومدينة تدمر في البرية بين العراق ودمشق وحاص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أو ستة ، وهى بنيان عجيب من الحجر ، وكذلك الملعب الذى فيها ، وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم ، اتخذ دارا ابن دارا

المؤلف
يصف
بيتا آخر
بجور من
بلاد فارس

وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى وإليه يضاف ، بيت للنار ، بناه أردشير بن بابك ، قد رأيته ، وهو على ساعة منها على عين هناك عجيبة ، وله عيد ، وهو أحد متنزعات فارس ، وفى وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال آخر به المسلمون ، وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ ، وبها يعمل ماء الورد الكورى وإليها يضاف ، وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل فى العالم ؛ لصحة البرية ، وصفاء الهواء ، وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بياض ليست لغيرهم من الأمصار ومن كوار إلى مدينة شيراز - وهى قصبة فارس - عشرة فراسخ . ولجور وكوار وشيراز وغيرها من كور فارس أخبار ، ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس ، وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار ، وقد بنى عليه هيكل ، وكان كورش الملك - حين ولد المسيح عليه السلام - بعث ثلاثة أنفس : دفع إلى أحدهم صرة من لبان ، وإلى آخر صرة من مر ، وإلى آخر صرة من تبر ، وسيهرهم يهتدون بنجم وصفه لهم ، فساروا حتى انتهوا إلى السيد المسيح وأمه بأرض الشام ، والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء نفر ، وهذا الخبر موجود فى الإنجيل ، وإن هذا الملك كورش نظر إلى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى ، فكانوا إذا ساروا سار معهم ذلك النجم ، وإذا وقفوا وقف بوقوفهم ،

وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على شرح هذا الخبر ، وما قالت فيه المجوس والنصارى ، وخبر الرغنان التي دفعها إليهم مريم ، وما كان من الرسل ، وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها في الأرض ، وذلك بفارس ، وكيف حصر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعاعى نار على وجه الأرض تنقدان ، وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر .

وقد كان أردشير بنى بيتا آخر يقال له باربو ، في اليوم الثانى من غلبة فارس ، وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره ، فلم يزل هذا البيت هنالك إلى خلافة المهدي ، فحرب ، وله خبر عجيب ، وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية ، وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الأمم ، فسمى سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود

وقد كان سابور لما سار إلى بلاد الخيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر ، وقد كان هذا الحصن للساترون بن استطرون ملك السريانيين حصن الحضر في رستاق يقال له أباحر من بلاد الموصل ، وقد ذكرته الشعراء اعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف بالحضر ؛ فمن ذكره منهم أبو ذؤاد حارثة بن حجاج الايدى بقوله : —

وأرى الموت قد تدلى من الحضر بر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهي ذا ثواء وجوهر مكنون

وقد قيل : أن النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن استطرون ، والساترون واستطرون هذه ألقاب ، وهم ملوك ملكوا على السريانيين ، ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم الدهر الضيزن بن جبيلة ، وجبيلة أمه ^(١) ، وهو الضيزن بن تبت بن معاوية بن العبيد بن حرام بن سعد بن حلوان بن عمران بن الحلف (١) كذا ، والذي في معجم ياقوت (٣ : ٢٩٠) « الضيزن بن جلهمة أحد الأحلاف » وفيه أنه « الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأحرام بن عمرو بن النخع ابن سليح بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاة »

ابن قضاة ، وكان كثير الجنود ، مهادنا للروم ، متحيزا إليهم ، يعبر رجاله على العراق والسواد ، وكان في نفس سابور عليهم ذلك ، فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن ، فأقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا إلى فتحه ، ولا يتأق له حيلة في دخوله ، فنظرت النضيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن إلى سابور فهو يته وأعجبها جماله ، وكان من أجل الناس وأمدهم قامة ، فأرسلت إليه إن أنت ضمنت لى أن تزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه أثت البربار - وهو نهر فى أعلاه - فأنثر فيه تبنا ، ثم أتبعه النظر أين يدخل فأدخل الرجال منه ، فإن ذلك المكان يفضى إلى الحصن ، ففعل ذلك سابور ، فلم يشعر أهل الحصن إلا وأصحاب سابور معهم فى الحصن ، وقد عمدت النضيرة فسقت أباهما حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور إياها ، وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه ، وعرس سابور بالنضيرة بنت الضيزن فباتت مسهرة ، فقال لها سابور : مالك لاتنامين ؟ قالت : إن جنبى يتجافى عن فراشك ، قال : ولم فوالله ما نامت الملوكة على ألين منه وأوطأ وإن حشوه لزغب النعام ؟ !! فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكها ، فتناولها فكاد بطنها أن يدمى ، فقال لها : ويحك !! بم كان أبواك يغذيانك ؟ فقالت : بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر ، فقال لها سابور : إنى لجدير أن لا أستيقبك بعد إهلاك أبويك وقومك ، وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين ، فأمر بها فربطت بغائرها إلى فرسين جوحين ، ثم خلى سبيلها ، فقطعاها ، ففى هذا المقتول ومن كان معه يقول جدى بن الدهمى ^(١) العبسى : -

ألم يحزنك والأنباء تنمى	بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه	وأحلاف الكتائب من تزيد
أتاهم بالقيول مجلات	وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من بروج الحصن صخرا	كأن بنساء زبر الحديد

(١) فى يافوت « الجدى بن الدهاث » وفيه « وإخلاء القبائل من تزيد »

وفى قتل سابور للنضيرة بنت الضيزن وما كان منها من الغدر بأبيها وقومها
وإرشاد سابور إلى دخول الحصن يقول عدى بن زيد العبادى : —
والحضر صبت عليه داهية من قصره قد أبد ساكنها^(١)
رَبِيَّةٌ لم تُوقِّ والدها لحينها إذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها ليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس إذ جسر الصبح دماءً تجرى سباسبها
والشعر فى هذه القصة كثير

وبأرض العراق بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز
الملكة فى الموضع المعروف بأسبيا

وبيوت النيران كثيرة مما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان
وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند
والصين ، أعرضنا عن ذكرها ، وإنما ذكرنا ما اشتهر منها

والهياكل المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة : مثل بيت بعل ، وهو الصنم
الذى ذكره الله عز وجل بقوله : (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) وهو
بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورسنيير ، وقد كانت اليونانية اختارت لهذا
الهيكल قطعة من الأرض من حسان وجبل تستر فأحدثته موضعا للأصنام ،
وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر ، فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى
الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سملكها وعظم أحجارها ،
وطول أساطينها ، ووسع فتحهما ، وعجيب بنيانها ، وقد أتينا على خبر هذه
الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة
من سفك الدماء

وهيكل عظيم البنيان فى مدينة دمشق ، وهو المعروف بجيرون ، وقد ذكرنا
خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ، ونقل إليه

(١) فى سيرة ابن إسحاق « من فوقه أيد مناكبها » وهى أفضل للقافية

هياكل
اليونانيين
هيكل بعل

جيرون

عمد الرخام ، وأنه إرم ذات العماد المذكورة في القرآن ، لاما ذكر عن كعب الأحبار أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها وذكروا عجيب بنيناها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج في طلبهما فيقع إليها وذكروا حلية الرجل ، ثم التفت في مجلس معاوية فقال : هذا هو الرجل ، وكان الأعرابي قد دخلها يطلب مائد من إبله ، فأجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وإيضاح برهانه ، فان كان هذا الخبر عن كعب حقا في هذه المدينة فهو حسن ، وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره ، وهو من صنعة القصاص

وقد تنازع الناس في هذه المدينة وأين هي ؟ ولم يصح عند كثير من الأخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من السكوان والحوادث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شريفة متداول في أيدي الناس مشهور وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة ، من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرب الملوك بروايتها ، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إيننا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب أقسان ، وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له أقشايه ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ورسازاد ، ومثل كتاب وزره وشماس ومافيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السندباد ، وغيرها من الكتب في هذا المعنى

وقد كان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل أصل مسجد دمشق والأصنام ، على رأس منابره تماثيل منصوبة ، وقد كان بنى على المشتري وطالع سعد ، ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة ، وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن

البريخ

عبد الملك والصوامع لم تغير ، وهى منائر الأذان إلى هذا الوقت
وقد كان بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريخ ، وهو مبنى إلى هذا
الوقت فى وسطها ، وكان يجرى فيه الحفر فى قديم الزمان ، وقد ذكرته الشعراء فى
مدحها ملوك غسان من مأرب وغيرهم

الديماس

وهيكل أنطاكية يعرف بالديماس ، على يمين مسجدها الجامع ، مبنى بالآجر
العادى والحجر ، عظيم البنيان ، وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من
أبوابه من أعاليه فى بعض الأهلّة الصيفية ، وقد ذكر أن هذا الديماس من بناء
الفرس حين ملكت أنطاكية وأنه بيت نار لها

قال المسعودى : وقد ذكر أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بـ « كتاب
الألوف » الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام ،
وكذلك ذكره ابن الماربارتلميذ أبى معشر فى كتابه « المنتخب من كتاب الألوف »
وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما ومن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب
فى الأرض ، وقد أعرضنا عن ذكرها ، وذكر السد الأعظم - وهو سد يأجوج
ومأجوج - وتنازع الناس فى كيفية بنائه كتنازعهم فى إرم ذات العماد على
ما ذكرنا آنفا ، وكيفية بناء الأهرام بأرض مصر وما عليها من الكتابة
المرسومة ، وما بصعيد مصر من البرابى المصنوعة ، وبغير أرض الصعيد من
أرض مصر ، وأخبار مدينة العقاب ، وما ذكر الناس فيها ، وكونها فى وهاد
مصر ، وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة ، وخبر العمود الذى ينزل
منه الماء فى فصل من السنة بأرض عاد ، وأخبار النمل الذى على قسدر الذباب
والكلاب ، وقصة أرض الذهب التى حذاء سلجاسة من أرض المغرب ، ومن
هنالك من وراء النهر العظيم ، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم ، وتركهم
المتاع ، وغدو الناس الى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركت إلى جنب
كل متاع من تلك الأمتعة ، فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع ،

وإن شاء أخذ متاعه وترك الذهب ، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع ، وهذا مشهور بأرض المغرب بسلاجسة ، ومنها حمل التجار الأمتعة إلى ساحل هذا النهر ، وهو نهر عظيم واسع الماء ، وكذلك بأقصى خراسان مما يلي الترك من أقاصي ديارهم أمة تباع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة ، وهم هنالك على نهر عظيم أيضا ، وخبر البئر المعطلة والقصر المشيد ، وذلك ببلاد الشحر من بلاد الأحقاف بين اليمن وحضرموت ، والبئر وما فيها من الحرف واتصالها بالقرى والقضاء من أعلاها وأسفلها ، وما قاله الناس في تأويل هذه الآية فيها ، وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره ، وأخبار مخاليف اليمن ، وهي القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها ، وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجب الهياكل والكنائس ، والعمود الندى عليه السودانية من النحاس وما يحمل إليها من الزيتون في أيامه بالشأم وغيره ، ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير في محالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن مالبعاس وغيره في كتابنا « أخبار الزمان » ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الأندلس وخبر مدينة الصقر وقبة الرصاص التي بمفاوز الأندلس ، وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول إليها ، ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك بن مروان في نزوله عليها ، وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها ، وإخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة ، وخبر المدينة التي أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى في أطراف مفاوز الهند ، وما كان من ملوك الهند وعدم وصولهم إليها ، وما يجرى من وادى الرمل نحوها ، وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للأصنام التي على صورة البدر المتقدم ظهورها في قديم الزمان بأرض الهند ، وخبر الهيكل المعظم الذي ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى ، وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة ، وله بلد قد وقف عليه ، وحوله ألف

مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند ، وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند ، وخبر سندان كسرى ببلاد مرماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة ، وكثير من أخبار العالم وخواص بقاءه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والأخلاق دون غيرهم ، وما انحدروا به من أنواع الأغذية والمآكل والمشارب والشم ، وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتغافل مياهاها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار ؛ كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه من غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

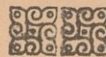
وقد كان بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك ؛ لارتفاع القلزم ، وانخفاض بحر الروم ، وأن الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه ، والموضع الذى حفره ببحر القلزم يعرف بذب التمساح على ميل من مدينة القلزم ، عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر ، وأجرى خليجا من هذا البحر إلى موضع يعرف بالهامة ، صنعه محمد بن على الخرافى من أرض مصر فى هذا الوقت — وهوسنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة — فلم يتأت له اتصال بين بحر الروم وبحر القلزم

محاولات قديمة
لوصل بحر
الروم بالبحر
الأحمر

وحفر خليج آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما ، ويعرف هذا الخليج بالزير والحسة ، واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما فى كل بحر إلى آخر ، ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملاؤه السواقي من الرمل وغيره .

وقد رام الرشيد أن يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من أعلى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما يلي بلاد القرمما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر القلزم إلى البحر الرومي فقال يحيى بن خالد : يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف ، وذلك أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم إلى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلي جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ما ذكرنا ، فامتنع من ذلك .

وقد حكى عن عمرو بن العاص - حين كان بمصر - أنه رام ذلك فمنعه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم ، وذلك في حال ما افتتحتها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخليجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الأرض وخصب البلاد وعيش الناس بالأقوات وأن يحمل إلى كل بلد ما فيه من الأقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم .



ذكر جامع التاريخ

من بدء العالم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما لحق بهذا الباب

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس في بدء العالم ممن أثبت حدوثه ونقاه وما جرت الآراء بهم فيه إلى جهات شتى ، وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيعيين وما أوردته الفلكية من قولها : إن الحركة الصاعدة للأشخاص الحالة فيها الأرواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأت منها حتى تنتهي إليها راجعة ثم تنفصل عنها أعادت كل مابدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله إذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الأشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الأشياء متى عادت إلى المبدأ الذي كان عند الصدر ، ثم ما يعقب هذا القول من قول الطبيعيين : إن علة كون الأشياء الجسمية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لأن الطبيعة عندهم تحركت في بدوها واختلطت فأظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات في العالم وجعلت لها أصلا في التناسل فخركت عن تبقية الأشخاص وعرت إلى النسل ، وإن الطبائع تنتقل من مركب إلى بسيط ، ومن بسيط إلى مركب ، حتى أوري المركب كنه ما فيه ، وعادت الأشياء إلى البسيط وابتدأ الكون على طريقه ؛ لأن الذي أوجبه أولا قد وجد فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده ، فظهر ذلك الظهور كالنبات في الربيع ، وتحرك قوته تحت الثرى ، وذلك أن الشمس تبلغ في الربيع إلى رأس الحمل بادئة في شرفها آخذة في ممرها ، وهي العلة الكبرى في الأحياء وما حدث من الثمر والزهور في الشجر بادئا كان ظاهرا بالمتثال الأول الذي قد باد في الشتاء ويبدسه وبرد

لأن علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس ، فإذا انتقلت الأشياء من الحرارة والرطوبة إلى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد ، فإذا انتهى بها الفساد إلى غايته وأوصلها إلى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس إلى رأس الحمل فبدأ بها بعادته في إنشائها وأبرزها من خساسة الفساد إلى نقاسة الكون ، ولو كانت الحواس تضبط شأن الأجسام وتحيط بانتقالها من حال إلى حال لشاهدت مرها في دائرة الزمان مبتدئة في رتبة راجعة إليها مشكلة في محيط الدائرة بأشكال توافق بعضها ، والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة في المرور كاختلاف الأسباب ، وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه ، وقضية الفحص توجب أن الأشياء الموجودة غير خالية من أحد منزلين : إما أن يكون بدء وانتهاء ، وإما أن يكون بدء لا انتهاء ، فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية ، وواجب أن يكون الزمان غير عادٍ لها ولا حاصر لجميعها ، وقد وجدنا التناهي والابداء في أجزائها وأبعاضها على الدوام ، وأنا في كل يوم جديد نعين خلقا جديدا ، وصورا في العالم لم تكن ، وصورا بادئة قد كانت متألثة ، وفي هذا ما يدل على حصر الأشياء ووقوعها في غاية انتهاء صدرها ، وأوجب أن للأشياء بدءا وانتهاء ، وبطل قسم المتوهم أن الأشياء بلا نهاية ، وأن ليس لها ابتداء ولا غاية ، وذلك باطل ومحال فاسد ، ولو وجب أن تكون الأشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ، ولبطلت الاستحالة وبسطت المتضادة ، وهذا مستحيل ، ولوجب أن تكون الأشياء على غير نهاية ، ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لأن هذه الأزمان بعد ما هو بالنهاية ويوجد في حوزاتها إيجاد ما لم يكن ودخلها في حوزتها ما هو كائن ، وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعاني ودل على حدوث الأجسام ، وهذه الدلالة مأخوذة من الحس ، ومستظهرة للعقول والبحث ، وإذ قد وضح أن الأشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد

من محدث هو بخلافها لاشكل له ولا مثل ؛ لأن العقل لا يقيم شيئا مثلاً حتى يعلم له قدراً ووزناً يعادله بمثله وشكله ، وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات ، وتعجز العقول أن تحصره بالصفات ، وتدركه بالإشارات ، أو يكون ذا غايات ونهايات

قال المسعودي : فلنرجع الآن إلى الكلام في حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته ، وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب ، وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأخذوا في ذلك مأخذاً سريعاً ، وذهبت النصارى إلى أن عمر العالم مازهدت إليه اليهود ، وأما الصابئة من الحرائين والكتابين^(١) فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين ، وأما المجوس فانهم ذهبوا في ذلك إلى حد معلوم من نفاذ قوة الهرميد وكيده ، وهو الشيطان ، ومنهم من ذهب في ذلك إلى نحو ما ذهب إليه أصحاب الأنيس والجلوس ، وأن العالم سيعود بدءاً متخلصاً من الشرور والآفات ، وزعمت المجوس أن من وقت زرادشت بن سيمان نبينهم إلى الاسكندر مائتين وثمانين سنة ، وملك الاسكندر ست سنين ، ومن ملك الاسكندر إلى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة ، فذلك من هبوط آدم إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة : منها من هبوط آدم عليه السلام إلى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران - وهو وقت خروجه ببني إسرائيل من مصر إلى التيه - خمسمائة وخمس وستون سنة ، ومن خروجهم إلى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام - وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت المقدس - ستمائة وست وثلاثون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ،

(١) كذا ، وانظر (ص ١٤٥) من هذا الجزء

ومن ملك الاسكندر إلى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع وستون سنة ، ومن مولد المسيح إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وإحدى وعشرون سنة ، وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة ، وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة ؛ وكانت وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذى القرنين ، ومن داود إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وستان وستة أشهر وعشرة أيام ، ومن إبراهيم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ومن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام ، فعلى هذا القول إن جميع جملة التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وإحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فجملة التاريخ من هبوط آدم إلى الأرض إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مصر — خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة

وقد ذكرنا جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم

وللمجوس في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك إليهم وإلى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ، ومن قال منهم ببقائه ، وأن لا بد له ولا نهاية ، ومن ذهب منهم إلى أن له انتهاء ولا بدء له ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن الإعادة في هذا الكتاب ؛ لاشتراطنا فيه على أنفسنا

الاختصار والايجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب

وقد ذهب جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الإسلام [إلى] أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن ، وأن المحدث له الخالق البارئ جل وعز ، أحدثه لا من شيء ويبيعه لا من شيء في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده ، إذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته ، وأن أول العالم من لدن آدم ، وقد غاب عنا حصر السنين وإحصاؤها ، وتنازع الناس في بدء التاريخ ، والكتاب لم يخبر بحصر أوقاته ولا بين عن كيفية ولا أعداد سنيه فيما مضى ، وليس علم ذلك مما تهتجم عليه الآراء ، ولا تحصره أقضية العقول وموجبات الفحص وضرورات الخواس عند مذاكرتها لمحسوساتها ، فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ، والله عز وجل يقول وقد ذكر الأجيال ومن ضمه الهلاك : (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا) والله تعالى ذكره يقول في الشيء الكثير الشيء الخثير ، وأعلمنا في كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الأنبياء بعده ، وأخبر عن شأن بدء الخلق ، ولم يخبرنا بمقدار ذلك فتقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ، ولا سيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت ، وأن الأرض كثرت بها المدن والموك والعجائب ، فلا نحصر ما لم يحصر الله عز وجل ، ولا يقبل من اليهود ما أوردته ، لنطق القرآن أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون وتفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدى عيسى بن مريم من المعجزات وعلى يدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات ، والله عز وجل يخبرنا بما أهلك من الأمم لما كان من فعلهم وكفرهم بربههم قال الله عز وجل : (الخاقه ما الخاقه وما أدراك ما الخاقه كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فآهـلـكـوا بالطاغية ، وأما عاد فآهـلـكـوا بريح صرصر عاتية) إلى قوله : (فهل ترى لهم من باقية) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « كذب النسابون » وأمر أن ينسب

إلى معد^(١) ونهى أن يتجاوز بالنسب إلى ما فوق ذلك ؛ لعلهم بما مضى من الأعصار الحالية والأُمم الفانية ، ولولا أن النفوس إلى الطارف أحنُّ ، وبالنوادر أشغف ، وإلى قصار الأحاديث أميل وبها أكلف ، لَدَكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره في هذا الكتاب ، ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الإيضاح والشرح ، إذا كان معولنا في جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وإذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لمعاً سيعرفها من تأمل وينبه بها من رآها

وإذا قد ذكرنا جوامع ما يحتاج إليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، وأيام الخلفاء والملوك : عصراً فعصراً إلى وقتنا هذا ، ولم نعرض في كتابنا هذا لكثير من الأخبار ، بل لوحنا بالقول بها تخوفاً من الإطالة ووقوع الملل ؛ إذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية على ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في حيلتها ، وإنما الألفاظ على قدر المعاني ، وقليلها قليلاً ، وهذا باب كبير ، وبعضه ينوب عن بعض ، والجزء منه يوهك الكل ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) المؤلف ذكر معداً ، وإنما هو عدنان ، كما ذكر في كثير من مصنفات التاريخ والحديث ، والاجماع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزوه

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم وأخبار الأنبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط ، وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبعثه ، ومن آمن به قبل رسالته ، وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة ، فلنذكر الآن مولده ، إذ كان طاهرا مطهرا الأغبر الأزهر ، الذي اتسعت أعلام نبوته ، وتواترت دلائل رسالته ، ونطق له السموات قبل بعثته

وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد ابن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح بن آزر بن ماخور بن ساروغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن إرفخشذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَثُوشَلَخ بن أَخْنُوخ بن برد بن مهلاييل ابن معسوف بن أنوش بن شِيث بن آدَم عليه السلام^(١)

نسب النبي
عليه السلام

هذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب جمهرة النسب ، والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من نزار ، وفي نسخة أن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميم بن صانوع بن يافث بن فيدر بن إسماعيل بن إبراهيم ابن تارح بن ناخور بن أرعواء بن أسروح بن فالخ بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن متولشخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شِيث ابن آدَم

وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلبي هو نزار بن معد عدنان

(١) الأسماء من بعد عدنان فيها اختلاف كثير في العدة والضبط، وانظر سيرة ابن

هشام أول الجزء الأول

ابن أدبن أدد بن الهميسع بن تبت بن سلامان بن فيدر بن إسماعيل بن إبراهيم
الخليل بن تارخ بن ناخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن خنوخ بن برد بن مهلايل ابن
معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة ، فيجب
والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد ملك - وهو أبو نوح النبي عليه السلام -
ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة ، وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة ،
فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة
آدم بمائة وست وعشرين سنة

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من نهيه أن يتجاوز
عن معد ، فقد ثبت أن تتوقف في النسب على ما ذكرنا ؛ فالواجب الوقف عند
أمره عليه السلام ونهيه

قال المسعودي : وقد وجدت نسب ابن عدنان في السفر الذي أثبتته تاروخ
ابن باري كاتب أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن معداً ابن عدنان بن أدبن الهميسع
ابن سلامان بن عوص بن برد بن فساويل بن أبي العوامر بن ناسك بن حرا بن
لدارم بن بدلان بن كالح بن فاحم بن ناسح بن صاعى بن عنصى بن علف بن
عبيد بن الرعى بن حمران بن سيس بن قنرى بن فخرى بن بلخى بن ارعوا
ابن عنقاء بن حسان بن عيسى بن اقياد بن إيهامز بن معصر بن ماحب بن رواح
ابن سمأى بن مر بن عوص بن عوامر بن فيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل
عليه السلام

وقد كان لأرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرها
بالشام ، وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا ، وإنما ذكرنا هذا النسب
من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس في ذلك

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الأنساب

وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار

وكنيته صلى الله عليه وسلم أبو القاسم ، وفي ذلك يقول الشاعر : —

كنيته
عليه السلام

لله من قد برا صفوة^١ وصفوة الخلق بنو هاشم

وصفوة الصفوة من هاشم محمد النور أبو القاسم

وهو محمد ، وأحمد ، والمأحى الذى يححو الله به الذنوب ، والعاقب ، والحاشر

أسماءه
عليه السلام

الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم

وكان مولده عليه السلام عام الفيل ، وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون

زمن مولده
عليه السلام

سنة ، والفجار^(١) حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة ، استحلوا فيها

القتال في الأشهر الحرم ، فسميت الفجار ، وكنانة بن خزيمه بن مدركة هو عمرو

ابن الياس بن مضر بن نزار ، وكان ولد الياس عمراً وعامراً وعميراً^(٢) فعمرو

هو مدركة ، وعامر هو طابخة ، وعمير هو قعدة ، وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن

عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى خندف ، فغلب على من ذكرنا الألقاب ،

ونسب ولد الياس إلى أمهم خندف ، وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة : —

إني أرى الحرب لحيي وأبي عند تناديهـم بآل وهـب

معتـرم الصولة عالى النسب أمى خندف والياس أبى

(١) قال الجوهري: الفجار يوم من أيام العرب وهى أربعة أجرة كانت بين قريش

ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وإنما

سمت قريش هذه الحرب فخارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد

فجـرنا فسميت فخارا اهـ

(٢) قوله وكان ولد الياس الخ قال المجد: وولد الياس بن مضر عمرا وهو مدركة

وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قعدة وأمهم خندف كزبرج وهى ليلة بنت حلوان بن

عمران وكان الياس خرج فى نجعة فنفرت إليه من أرب نخرج إليها عمرو فأدركها

وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الحياء وخرجت أمهم تسرع فقال لها

الياس: أين تخندين؟ فقالت: مازلت أخندف فى أتركم، فلقبوا مدركة وطابخة وقعدة

وخندف اهـ

وقريش خمسة وعشرون بطناً^(١) وهم بنو هاشم بن عبد مناف ، بنو الحرث ابن عبد المطلب ، بنو أسد بن عبد العزى ، بنو عبد الدار بن قصى ، وهم حجة الكعبة ، بنو زهرة بن كلاب ، بنو تميم بن مرة ، بنو مخزوم ، بنو يقطعة ، بنو مرة ، بنو عدى بن كعب ، بنو سهم ، بنو جمح ، وإلى هنا تنتهى قريش البطاح على حسب ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب ، بنو مالك بن حنبل ، بنو معيط ابن عامر ، بنو لؤى ، بنو أسامة بن لؤى ، بنو الأدرم ، وهم تميم بن غالب ، بنو محارب بن فهم ، بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة ، بنو عائذة ، وهم خزيمة بن لؤى ، بنو نباتة ، وهم سعيد بن لؤى ، ومن بنى مالك إلى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للمطيين وغيرهم من قريش

وكان من حرب الفجار ما ذكرنا للمتفخرين بالعشائر والتكاثر ، وكان الفجار فى شوال ، وكان حلفُ الفضول بعد منصرفهم من الفجار ، قتل بعضهم :-
نحن كنا الملوكة من آل نجد وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حى ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفى ذلك قال خدش بن زهير العامرى : —

فلا توعدينى بالفجار فإنه أحل ببطحاء الحجون الخازيا
وقد كان الحلفُ فى ذى القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن ، وكان باع ساعة له من العاص بن وائل السهمى ، فظله بالثمن حتى يئس ، فعلا جيل أبى قبيس ، وقريش فى مجالسها حول الكعبة ، فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول : —

يا للرجال لمظلوم بضاعته بطن مكة نأى الحى والنفر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
فشت قريش بعضها إلى بعض ، وكان أول من سعى فى ذلك الزبير بن

(١) قد ترك المؤلف تسمية بعض هذه البطون

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة ، وكانت للحل والعقد ، وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب وقثم بن مرة وبنو الحرث بن فهر ، فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم ، فساروا إلى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا هنالك ، ففى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب : —

حلفت لنعتدن حلفا عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

حروب الفجار وقد قدمنا في كتابنا الأوسط أخبار الأحلاف والفجارات الأربعة : فجار الرجل ، وفجار بدر^(١) بن معشر ، وفجار القرد^(٢) ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو فجار البراض ، ومن الفجار الرابع وحضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع إلى أن خرج إلى الشام في تجارة خديجة ونظر نسطور الراهب إليه وهو في صومعته والنبي صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلمته غمامة فقال : هذا نبي ، وهذا آخر الأنبياء — أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، وإلى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما ، وإلى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش في وضع الحجر الأسود عشر سنين .

وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضتها قريش ، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع من الأصابع عجيبية : منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأرزلام ، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس

(١) في أصول هذا الكتاب « زيد بن معشر » والتصويب عن الأغاني (١٩ : ٧٤) .

(٢) في أصول هذا الكتاب « وفجار ألف ود وفجار المرأة » ولا معنى له ، وانظر الأغاني . واعلم أن الفجارات التي ذكرها المؤلف أربعة منها هي أيام الفجار الأول ، وخامس ما ذكره هو يوم من أيام الفجار الثاني . واطلب تفصيل ذلك من الأغاني (١٩ : ٧٤ وما بعدها طبع بولاق) .

يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم ، و بعد هذه الصورة صور كثير من أولادهم إلى قصى بن كلاب وغيرهم ، في نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله .

اختلاف
قريش في
وضع الحجر
الاسود

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت في بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رعى بها البحر إلى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا إلى موضع الحجر وتنازعوا على ما ذكرنا أيهم يضعه ، فاتفقوا على أن يرضوا بأول من يطع عليهم من باب بنى شيعة ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس ، فحكموه فيما تنازعوا فيه ، وانقادوا إلى قضائه ، فبسط ما كان عليه من رداء ، وقيل : كساء ، وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه في وسطه ثم قال لأربعة رجال من قريش وأهل الرئاسة فيهم والزعماء منهم ، وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ، وأبو حذيفة بن الغيرة بن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عدى السهمى : لياخذ كل واحد منهم بحجب من جنبات هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع من الأرض ، وأذنوه من موضعه ، فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور ، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه ، فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنا : واعجبا لقوم أهل شرف ورئاسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما !! أما واللات والعزى ليفوقهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا ، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبا عظيم .

وقد تنوزع في هذا القائل : فمن الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات ، وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ، ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكامهم ومن كانت له فطنة

فلما استتمت قریش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء ، وهى الوصائل ،
وأعادوا الصور التى كانت مصورة فى الكعبة ، وأبقوا شكل ذلك وأحكامه
وكان أبو طالب حاضرا ، فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله
عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول :
إن لنا أولا وآخره فى الحكم العدل الذى لانكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره وقد عهدنا أولا وآخره
* فان يكن حقا ففينا أكثره *

نخراي طالب
بحكم النبى
عليه السلام

وكان من بناء الكعبة إلى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين ،
ومن مولده إلى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم .

والذى صح من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب القيل بمكة
بخمسين يوما ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم
سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من عهد ذى القرنين ، وكان قدوم أبرهة مكة
لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أولا
حجة العدة لسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان .

تحديد يوم
مولده
عليه السلام

وكان مولده عليه السلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة فى
دار ابن يوسف ، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا وكان
أبوه عبد الله غائبا بأرض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم حمل ، وقد تنوزع فى ذلك : فمنهم من قال : إنه مات بعد مولد النبى
صلى الله عليه وسلم بشهر ، ومنهم من قال : إنه مات فى السنة الثانية من مولده
وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
وفى السنة الأولى من مولده رفع إلى حليلة بنت عبد الله بن الحرث ترضعه
وفى السنة الثانية من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول : -

جماع الحوادث
من مبدأ
مولده عليه
السلام

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان
وفي رواية أن عبد المطلب قال :

لاهم رب الراكب المسافر
يحمد قلب بخير طائر
تنح عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
في درج الريح والأعاصير

وفي السنة الثالثة من مولده شق المملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقا
وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلوا بطنه وقلبه بالثنج ، وقال أحدهما لصاحبه : زنه
بعشرة من أمته ، فوزنه ، ثم قال : ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال : والله لو
وزنته بأمته لوزنها

وفي السنة الرابعة رده إلى أمه مرضعته حليلة ، وقيل : في مستهل السادسة
وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام
وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله تزورهم فتوفيت
بالأبواء ، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد خامسة من موت أمه

وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب
إليه ، وكان في حجره ، وخرج معه عمه إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة ، ثم
خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد إلى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس
وعشرين سنة

قال المسعودي : وقد أتينا على مبسوط هذا الباب في كتابنا
« أخبار الزمان »

ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم

وما جاء في ذلك إلى هجرته

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته ، بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا ، وهو ابن أربعين سنة كاملة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وأخفى أمره ثلاث سنين ، ونكح خديجة بنت خويلد ، وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ، ونزل تمام بعضها بالمدينة ، وأول ما نزل عليه من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في ليلة السبت ، ثم في ليلة الأحد ، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه بأول السورة إلى قوله : (علم الانسان ما لم يعلم) ونزل تمامها بعد ذلك ، وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ، ثم أمر باتمامها بعد ذلك ، وأقرت ركعتين في السفر وزيد في صلاة الخضر

بعثته
صلى الله
عليه وسلم

وكان مبعثه صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالريذة ، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام ، وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السافقة على حسب ما استخرج من عاد الكبير ، وفي ذلك يقول الشاعر :-

في رأس ألف من السنين إلى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام إلى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا وكان فينا هادي السبيل

وقد تنوزع في على بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه : فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الاسلام ، بل كان تابعا للنبي

إسلام علي
بن أبي طالب

صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به ، وبلغ وهو على ذلك ، وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعية له عليه السلام ، لأنهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منيياته ، ومنهم من رأى أنه أول من آمن ، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف فظاهر قوله جل وعز (وأنذر عشيرتك الأقربين) وكان بدؤه بعلى إذ كان أقرب الناس إليه وتبعهم له ، ومنهم من رأى غير ما وصفنا ، وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة ، وقد احتج كل فريق لقوله ، ومنهم من قال بالنص في الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية إسلامه ومقدار سنه قد أتينا على الكلام في ذلك على الشرح والايضاح في كتابنا المترجم بـ « كتاب الصفوة في الامامة » وفي كتاب « الاستنصار » وفي كتاب « الزاهي » وغيره من كتبنا في هذا المعنى

ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه ، ودعا قومه إلى الإسلام ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فهؤلاء نفر سبقوا الناس بالإيمان ، وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الإسلام يذكرهم : —

فياسألي عن خيار العبا	دصادفت ذا العلم والخبرة
خيارُ العباد جميعا قریش	وخيرُ قریش ذُو الهجرة
وخيرُ ذوی الهجرة السابقون	ثمانيةٌ وحدهم نصره
على وعثمان ثم الزبير	وطلحة واثنان من زهره
وشیخان قد جاورا أحدا	وجاور قبرها قبره
فن كان بعدهما فاخرا	فلا تذكروا عندهم فخره

وقد اختلف في أول من أسلم : فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول

اسلام
أبي بكر
ومن أسلم
باسلامه

الناس إسلاما ، وأسبقتهم إيماناً ، ثم بلال بن حمامة ، ثم عمرو بن عبسة ، ومنهم من ذهب إلى أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال ^(١) على ، ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خديجة ، ثم على كرم الله وجهه ، وقد ذكرنا ما أحببنا من القول في ذلك فيما قدمنا ذكره في هذا المعنى ، والله تعالى ولى التوفيق

ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه

صلى الله عليه وسلم

إلى وقت وفاته

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، وفرض عليه الجهاد ، وذلك في سنة إحدى من الهجرة ، وهى السنة التى نزل فيها الأذان ، وكانت سنة أربع عشرة من المبعث ،

فرض الجهاد

وكان ابن عباس يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر عشرا ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة

وكانت سنة إحدى من الهجرة - وهى سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى

تاريخ الهجرة أبرويز ، وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية ، وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر المقدونى

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى الكتاب الأوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ، ودخوله الغار ، واستئجار على ^(٢) له الابل ، ونومه

(١) كان على رضى الله عنه يوم أسلم صبيا يكفله رسول الله ، وتام هذا القول أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال ، أبو بكر ، ومن الصبيان على ، ومن الموالى زيد ، رضى الله عنهم أجمعين

(٢) فى ابن هشام وغيره أنه خرج على راحلة لابي بكر ، وأنه اشتراها منه

على فراشه ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلمي دليل لهم على الطريق ، ولم يكن مسلما ، وكان مقام على بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام إلى أن أدى ما أمر بأدائه ، ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم

وكان دخوله عليه السلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ؛ فأقام بها عشر سنين كواامل ، وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقاء على سعد بن خثيمة ، وكان مقامه بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وسار يوم الجمعة ارتقاع النهار ، وأنته الأنصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه ، ويتعلقون بزمام راحلته وهى تجذبه ، فيقول عليه السلام : « خلوا عنها فانها مأمورة » حتى أدركته الصلاة في بنى سالم ، فصلى بهم يوم الجمعة ، وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام ، وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذى بهم تتم صلاة الجمعة : فذهب الشافعى في آخرين معه إلى أن الجمعة لا تجب إقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا ، وأقل من ذلك لا يجزى ، وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم ، وكان فى بطن الوادى المعروف بوادى رانواء إلى هذه الغاية ، ثم استوى على ناقته ، فسارت لا تُعَرَّجُ على شىء ، ولا يردّها راد ، حتى أتت إلى موضع مسجده عليه السلام ، والموضع يومئذ لغلّامين يتيمين من بنى النجار ، فبركت ، ثم سارت غير بعيد ، ثم عادت إلى مبركها فبركت واطمأنت ، والنبي صلى الله عليه وسلم يراعى مكارم البارى منه ، وتوفيقه له ، فنزل عنها ، وسار إلى منزل أبى أيوب الأنصارى — وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار — فأقام في منزله شهرا حتى ابنتى المسجد من بعد ابتياعه الموضع ، وأحدقت به الأنصار ، واشتد سرورهم به ، وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته ، وفى ذلك يقول صرمة بن أنس أحد بنى عدى بن النجار من قصيدة : —

قدومه المدينة
وبقاؤه فيها

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لا يلقى صديقا مواليا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يوفى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
وأصبح لا يخشى من الناس واحدا
بذلنا له الأموال في كل ملكنا
وأصبح لا يخشى من الناس واحدا
ونعلم أن الله لا رب غيره
نعاذ الذي عاذى من الناس كلهم

فاقرض شهر رمضان ، وحولت القبلة إلى الكعبة ، بعد قدومه ثمانية عشر شهرا ، وقد قيل : إنه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ، ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة عشر ، في الساعة التي دخل فيها المدينة ، في منزل عائشة رضي الله عنها ، وكانت علة ثمانية عشر يوما

زمن وفاته
عليه السلام

وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ، ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون ، الأولون جعلوا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ، والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه إليها غزوة أخرى غير خيبر ، فوقع التنازع في أعداد الغزوات من هذا الوجه ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها إلى وادى القرى من غير أن يأتي المدينة ،

عدة غزواته
عليه السلام

وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه إلى ودّان ، وهى المعروفة بغزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رضى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، وكان خروجه طلبا لكرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، وهى بدر الثانية التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ، ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبنى

ترتيب المغازى

سليم ، ثم غزوة السويق طلبا لأبي سفيان بن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ، ثم غزوة بجران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ، ثم غزوة بدر الأخيرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة المُرَيْسِع ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ، ثم غزوة مكة ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك

قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك

هذا قول محمد بن إسحق : فأما ما ذهب إليه الواقدي فإنه وافق ابن إسحق في قتال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه التسع الغزوات ، وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزوات وادي القرى ، وذلك أن غلامه المعروف بمدمع رمى بسهم فقتل ، وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر ، وقتل يومئذ محرز ابن نضلة ، ففي قول الواقدي أنه قاتل في إحدى عشرة غزوة ، وفي قول ابن إسحق في تسع ؛ فقتاله في التسع باتفاق منهما ، وزاد الواقدي على ما ذكر .

وقد قيل : إن أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة

وقد تنازع من سلف من أهل السير والأخبار في عدة سراياه وبعوثه : فقال قوم : إن عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية ، وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال : حدثني الحرث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمرو الواقدي : كانت سرايا

السرايا
والبعوث

محمد بن عمرو

النبي صلى الله عليه وسلم ثمانيا وأربعين سرية ، وقيل : إن سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين

وقبض صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ، ولم يخلف من الولد إلا فاطمة عليها السلام ، وتوفيت بعده بأربعين يوما ، وقيل : سبعين يوما ، وقيل غير ذلك وكان تزويج علي بن أبي طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة ، وقيل أقل من ذلك

وكانت أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين وأسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما وكانت وفاة عمه أبي طالب - واسمه عبد مناف - بعد وفاة خديجة بثلاث أيام ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن أبا طالب اسم له. وتزوج بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل

وتزوج بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام ، وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته

روى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فلما كان كذلك قال الله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) فلما قبل من الله فوز إليه فقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وكان يضمن على الله الجنة فأجيزله ذلك

وكان عدة من تزوج من النساء خمس عشرة : دخل بأحدى عشرة منهن

ولم يدخل بأربع ، وقبض عليه السلام عن تسع

قال المسعودي : وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام ، وقد قدمنا ما روى النزاع في عمره في ذلك عن ابن عباس ، وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس ، وقد روى عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس ، وذكر عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشرا ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكذلك ذكر عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد روى عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة ، وكذلك ذكر ابن هشام قال : حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل^(١) - يعني ابن حنظلة - أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين ، وقد قيل : إنه قبض وهو ابن ستين ، وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير ، وذكر حماد قال : أخبرنا عمرو ابن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، ومات وهو ابن ستين ، وذكر شيبان عن يحيى بن أبي كثير ابن أبي سلمة قال : حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة ، فلبث بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم

وإنما حكينا هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أننا لم نغفل شيئا مما قالوه ، ولا تركنا شيئا ذكره ، إلا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا إليه ؛ ميلا إلى الاختصار وطلب الإيجاز ، والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ، ولما غسل عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحرابين وثوب حبرة أدرج فيها إدراجا ، ونزل في قبره على بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس

(١) كذا ، ولعله دغفل بن حنظلة الشيباني الذهلي ، أحد العلماء بالنسب ،

يروى عنه الحسن وابن سيرين

وفاته وتكفينه
ودفنه عليه
السلام

وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن
غير ما ذكرنا ، والله أعلم بكيفية ذلك
ولنرجع الآن إلى ذكر لمع من أموره وأخبار كانت من مولده إلى وفاته صلى
الله عليه وسلم وشرف وعظم

ذكر أمور واحوال من مولده إلى وفاته

صلى الله عليه وسلم

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه
وفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ، ويتنبه بها الطالب المسترشد ، وذكرنا
جملا من الكوائن والأحداث فى تضاعيف ذلك ، وأفردنا هذا الباب لذكر
ترتيب جمل من السنين من مولده إلى وفاته ، وجمل أحداث وكوائن كانت فى
أيامه ، ليقرب تناول ذلك على مريده ، ويسهل مأخذه على الطالب له ، وإن
كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الأبواب إن شاء الله تعالى
ففى أول سنة من مولده دفع إلى حليلة بنت عبد الله بن الحرث بن شِجْنة^(١)

السنة الأولى

من مولده ابن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان^(٢)

وفى السنة الخامسة من مولده رده حليلة إلى أمه ، على حسب ما ذكرنا

السنة الخامسة

فما سلف من هذا الكتاب

وفى السنة السادسة أخرجه أمه إلى أخواله زائرة فتوفيت بالأبواء بين مكة
والمدينة ، ونهى ذلك إلى أم أيمن ، فخرجت إليه وقدمت به إلى مكة ، وكانت
مولاة له قد ورثها عن أمه

السنة السادسة

وفى السنة التاسعة خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام ، وقيل : إنه خرج
مع عمه أبى طالب إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة ، وقد كان أبوطالب أخوا

السنة التاسعة

(١) فى الأصول « بن سحنة » بالسين والحاء المهملتين . والتصويب عن ابن إسحاق

(٢) كذا ، وليس بصواب ، قال ابن إسحاق « حليلة بنت عبد الله بن بن

الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قضية بن نصر بن سعد بن بكر بن
هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان » .

أعمام النبي
عليه السلام
وعماته

عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه ، فلذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوته ، وهم : العباس ، وحمزة ، والزبير ، وحجل ، والمقوم ، وضرار ، والحارث ، وأبو لهب ، وهم عشرة بنو عبد المطلب ، وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا : عشرة ذكور ، وهم من سمينا ، وستة إناث ، هن : عاتكة ، وصفية ، وأميمة ، والبيضاء ، وبرّة ، وأروى ، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بن العوام ، وقد تنوزع في أروى : فمنهم من قال : إنها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر إليه بحيرا الراهب ، وأوصاهم بمراعاته من اليهود فأنهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بحيرا الراهب وما كان من إخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام

وقد قدمنا أنه عليه السلام شهيد يوم حرب الفجار ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ، وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان ، فيما سلف من هذا الكتاب وغيره ، وأنها إنما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وكانت لقيس على قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس ، وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمي ، وكان نخاسا للجاهلية بيّعا للجواري ، وكانت هذه إحدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتمين بحضوره

سنة ست
وعشرين

وفي سنة ست وعشرين كان تزويجه بخديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ بنت أربعين ، وقيل في سنّها غير هذا

سنة ست
وثلاثين
سنة إحدى
وأربعين

وفي سنة ست وثلاثين بنت قريش الكعبة ، وتراضت به ، فوضع الحجر على حسب ما قدمنا

وفي سنة إحدى وأربعين بعثه الله نبيا ورسولا إلى كافة الناس ، وذلك

لعشر خلون من ربيع الأول ، على حسب تنازع الناس في تاريخ مبعثه

عليه السلام

سنة ست وأربعين
وفي سنة ست وأربعين كان حصار قریش للنبي صلى الله عليه وسلم و بنى
هاشم و بنى عبد المطلب في الشعب

سنة خمسين
وفي سنة خمسين كان خروجه عليه السلام ومن تبعه إلى الطائف
وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة زوجها ، على حسب ما ذكرنا على غير

هذا التفصيل

سنة إحدى وخمسين
وفي سنة إحدى وخمسين كان الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى بيت
المقدس ، على حسب ما نطق به التنزيل وخمسين

سنة أربع وخمسين
وفي سنة أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وفيها
بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ، وفيها دخل بعائشة بنت أبي بكر رضى الله عنها
وهي ابنة تسع ، وتزوج بها بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وقيل عن عائشة : إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي بنت ثمان عشرة سنة ، وكانت وفاتها سنة ثمان
 وخمسين من الهجرة ، وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذان ، وأرى
عبد الله بن زيد كيفية الأذان في منامه ؛ وفيها كان تزوج على بن أبي طالب
بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من التنازع

في التاريخ

سنة اثنتين
وفي سنة اثنتين من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان ؛ وفي هذه
السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى الكعبة ، وفيها توفيت ابنته رقية ،

وفي آخر هذه السنة - وهي سنة اثنتين من الهجرة - كان دخول على بن أبي طالب
بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفيها كانت وقعة بدر ، وذلك في

يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان

سنة ثلاث
وفي سنة ثلاث كان تزويجه بزينب بنت خزيمة ، وكانت وفاتها بعد شهرين
من الهجرة

وفى هذه السنة كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب ؛ وفيها كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفيها كان مولد الحسن ابن على بن أبي طالب على ما فى ذلك من التنازع فى التاريخ ؛ وفيها كانت غزوة أحد ؛ وفى هذه السنة استشهد حمزة بن عبد المطلب

وفى سنة أربع كانت غزوة المعروفة بذات الرقاع ، وفى هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس ، على حسب ما ذكرنا فى كيفية ذلك من التنازع ؛ وفيها كان تزويجه بأم سلمة بنت أمية ؛ وفيها كانت غزوته إلى اليهود من بنى النضير ، وامتنعوا منه بحصونهم ، فقطعوا نخلمهم وشجرهم ، وأضرموا النار عليهم ، فلما رأى ذلك صالحهم ؛ وفيها كانت غزوته إلى بنى المصطلق ؛ وفيها - وهى سنة أربع - كان مولد الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وقد قيل : إن مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين

وفى سنة خمس كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق ؛ وفيها غزا اليهود من بنى قريظة ، وكان من أمرهم ما قد شهر ؛ وفيها كان تزويجه بزینب بنت جحش ؛ وفيها كان تقوّل أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها

وفى سنة ست كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجذب ؛ وفيها اعتمر عمرته المعروفة بعمره الحديبية وواعد المشركين ، وفيها أخذ فدك ؛ وفيها تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ووجه بالرسل إلى كسرى وقيصر ، وكان فيها أدائه لكتابة جورية بنت الحرث وتزويجه بها

وفى سنة سبع غزا خيبر فافتتحها ، واصطفى صفية بنت حى بن أخطب لنفسه ؛ وفيها تزوج ميمونة بنت الحرث الهاشمية خالة عبد الله بن عباس فى سفره حين اعتمر فى عمرة القضاء ، على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها فى حال حله نكحها أم فى حال إحرامه ، وما قال الفقهاء فى ذلك ، وتنازع الناس فى نكاح الحرم ؛ وفيها كان قدوم حاطب بن أبى بلتعنة من مصر من عند المتوقس ملكها

سنة أربع
من الهجرة

سنة خمس
من الهجرة

سنة ست
من الهجرة

سنة سبع
من الهجرة

ومعه مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس إليه ؛ وفيها كان قدوم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر

سنة ثمان
من الهجرة

وفي سنة ثمان استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق في وقتهم مع الروم ؛ وفيها كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : غير ذلك من التاريخ

وفي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وقد تنازع الناس في فتحها أصاحا كان أم غيره ، وفيها كسرت الأصنام ، وهدمت العرائم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يامعشر قريش ، ماترون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ؛ وفيها غزا غزوة حنين ، وكان على هوازن مالك بن عوف النضري ومعه دريد بن الصمة ؛ وفيها كانت غزوة الطائف ، وفيها كان إعطاؤه للمؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية ؛ وفيها كان مولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية

سنة تسع
من الهجرة

وفي سنة تسع حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ، وقرأ على بن أبي طالب عليهم سورة براءة ، وأمر أن لا يحج مشرك ، وأنه لا يطوف بالبيت عريان ؛ وفيها كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

سنة عشر
من الهجرة

وفي سنة عشر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام حجة الوداع ، وقال : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ؛ وفيها كانت وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، وقيل غير ذلك ؛ وفيها كان بعثه عليه السلام بعلى إلى اليمن ، وأحرم كإحرام النبي صلى الله عليه وسلم ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس في ذلك ، وفي وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ومن الذي صلى عليها : العباس بن عبد المطلب أم بعلا على ، ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاءه وظهر أنينه وحنينه ، وقال في ذلك : —

لكل اجتماع من خليين فرقة
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد
وكل الذي دون المات قليل
دليل على أن لا يدوم خليل

وكان أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا إبراهيم ؛ ولد له صلى الله عليه وسلم عليه وسلم القاسم وبه يكنى ، وكان أكبر بنيه سنا ، ورقية وأم كلثوم ، وكاننا تحت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب فطلقا لخبر يطول ذكره ، فزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ، وزينب ، وكانت تحت أبي العاص بن الربيع ، وفرق الاسلام بينهما ، ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الأول ، وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه السلام لزينب على أبي العاص ، وولدت من أبي العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام .

وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والظاهر ، الثلاثة الأسماء له لأنه ولد في الإسلام ، وفاطمة ، وإبراهيم ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام إلى مبعثه ، ومن مبعثه إلى هجرته ، ومن هجرته إلى وفاته ، ومن وفاته إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — وما كان من ذلك من المغازي والسرايا والبعوث والطرائق والأحداث ، وإما نذكر في هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا ، وبالله التوفيق .

أولاد النبي
صلى الله عليه
وسلم

ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام

مما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله السعدي : بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومبشرا للناس أجمعين ، وقربه الله بالآيات ، والبراهين النيرات ، وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قوما وهم الغاية في الفصاحة ، والنهاية في البلاغة ، وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والأشعار في المكارم وفي الحب والزجر والتحضيض والإغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين ، فقرع به أسماعهم ، وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم ، وذم به آراءهم ، وسفه به أحلامهم ، وأزال به دياناتهم ، وأبطل سنتهم ، ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهروهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً مع كونه عربياً مبيناً .

وقد تنازع الناس في نظم القرآن وإعجازه ، وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين ، والإخبار عن كلام المتنازعين ؛ إذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر .

ثبت عنه عليه السلام بالعلم الموروث وتقل إلينا الباقي عن الماضي من بعد قيام الأدلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التي أظهر الله على يديه ليؤدي رسالات ربه إلى خلقه أنه قال : أوتيت جوامع الكلم ، وقال : اختصر لي الكلام ، مخبراً عما أوتيته من الحكمة والنطق اليسير ، والكلام القصير البعيد المعاني الكثيرة الوجوه المتفرقة ، مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة .

وكان كلامه صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه ، قلقة ألفاظه وكثرة معانيه

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة

وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبي بكر إليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام في النسب « البلاء موكل بالمنطق » وهذا مما سبق إليه من الكلام ولم يصف إلى غيره من الأنام ، ثم إخباره عن الحرب وقوله « الحرب خدعة » فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكاييد الحرب القتال بالسيف إذ كان بدوها خدعة كما قال عليه السلام ، وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى رئاسة وسياسة ، ثم قال : « العائد في هبته كالعائد في قيئه » زاجرا بهذا القول لنواهب أن لا يسترجع شيئا وهبه ؛ إذ كان القى لا يرجع فيه من قاءه

وللناس في هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل ، وإنما الغرض فيما نذكر إيراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله « احتوا في وجوه المداحين التراب » المراد من ذلك إذا كذب المداح ، ولم يرد عليه السلام إذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحى في وجهه التراب ، ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا ممدح أحد أحدا إذا كان هذا النهى عموما للصادق والكاذب وأن يحى في وجه الجميع التراب ، وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك : (اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) فقدم مدح نفسه ووصف حاله ، وجميع ما يدكر في هذا مستفيض في السيروا الأخبار ، متقارب عند العلماء ، متداول بين الحكماء ، يتمثل به كثير من الناس ، وتستعمل العوام كثيرا منه في ألفاظها ، وتورده في أمثالها وخطباتها ، والأكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله

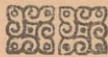
وقال عليه الصلاة والسلام : مَطْلُ الغني ظلم ، ومن أتبع على ملئ فليتبع .
وقوله : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .
رأس الحكمة معرفة الله . يا خيل الله اركبي وبشري بالجنة . الآن حمى الوطيس .
لا ينتطح فيها عزاف . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . لا يحنى على المرء

إلا يده . ليس الخبر كالمعاينة . السديد من غلب نفسه . بورك لأمتى في بكورها .
ساقى القوم آخرهم شربا . المجالس بالأمانات . لو بغى جبل على جبل لدك
الباغى منهما . ابدأ بمن تعول . مات حَتَفَ أنفه ، يريد بذلك الفجأة وأنه مات
من غير علة . ولا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغما والزكاة مغرما . قيدوا العلم
بالكتابة . خير المال عين ساهرة لعين نائمة . المسلم مرآة المسلم . رحم الله من قال
خيرا فغنم أو سكت عن شرفسلم . المرء كثير بأخيه . اليد العليا خير من اليد
السفلى . ترك الشرصدة . فضل العلم خير من فضل العباداة . الغنى غنى النفس .
الأعمال بالنيات . أى داء أدوأ من البخل . الحياء خير كله . الخيل معقود بنواصيها
الخير . السعيد من وعظ بغيره . عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ كَأُخْذِ الْيَدِ . إن من الشعر لحكمة ومن
البيان لسحرا . عفو الملوك بقاء للملك . ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء .
المسكر والخديعة فى النار . المرء مع من أحب ، وله ما اكتسب . ليس منامن لم يرحم
صغيرناو يعرف حق كبيرنا . المستشار مؤتمن . من قتل دون ماله فهو شهيد . لا يحل لمؤمن
أن يهجر أخاه فوق ثلاث . الدال على الخير كفاعله . الندم توبة . الولد للفراس وللعاهر
الحجر . كل معروف صدقة . لا يشكر الله من لا يشكر الناس . لا يؤوى الضالة إلا ضال .
حبك الشئ يعمى ويصم . السفر قطعة من العذاب ؛ وقوله للأنصار : إنكم
لتقتلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع ؛ وقوله : المسلمون عند شروطهم إلا
شرطا أحل حراما أو حرّم حلالا . الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته . الناس
معادن كعادن الذهب والفضة . الظلم ظلمات يوم القيامة . تمام التحية المصافحة .
جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . أمنك من أعقبك . ما نقص مال من
صدقة . التائب من الذنب كمن لا ذنب له . الشاهد يرى ما لا يرى الغائب .
خذ حقا فى عفاف واف أو غير واف . اعطوا الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه .
أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف يوم القيامة . الجنة تحت ظلال السيوف .
ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه . اتقوا النار ولو بشق تمرة . أعروا النساء يلزمن

الحجاب . الكلمة الطيبة صدقة . لا خير لك في صحبة من لا يرى لك ما يرى
 لنفسه . الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . ما أملق تاجر صدق . الدعاء سلاح
 المؤمن . خير الأمور أوسطها . إذا أتاكم الزائر فأكرموه . اشفعوا تحمدوا وتوجروا .
 الإيمان الصبر والسباحة . أفضلكم أفضلكم معرفة . ما هلك امرؤ عن مشورة .
 ما عال امرؤ اقتصد . ما هلك امرؤ عرف قدره . شر العمى عمى القلب . الكذب
 محابب للإيمان . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . من أثنى فقد كفى . قلة الحياء
 كفر . المؤمنون هينون لينون . شر الندامة يوم القيامة . شر المعذرة عند الموت .
 أقبِلوا عثرات الكرام . اطلبوا الخير عند صباح الوجوه . الدنيا حلوة خضرة ، وإن
 الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون . انتظار الفرج عبادة . كادت الفاقة أن
 تكون كفرا . لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة . في كل عام تزدلون . زرغباً تزد
 حبا . الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، أو قال : جميع الناس ؛
 وقوله : لا يلقى الله أحد إلا نادماً : من عمل خيراً قال يا ليتنى ازددت ، ومن عمل
 غير ذلك قال يا ليتنى قصرت ، وهذا مثل قوله : إياكم والتسويق وطول الأمل ؛
 فانه كان سبباً لهلاك الأمم ، وقوله : ليس منا من غشنا ، وهذا القول يحتمل معاني
 كثيرة منها أن يكون إخباراً أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت
 أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ، ويحتمل أن يكون
 على طريق الزجر والنهي عن الغش ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم ، مثل ما روى
 عنه أبو مسعود البدرى قال : لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة أحد إلا مات ،
 فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فجزع
 الأكثر ، فأفضى ذلك إلى على رضى الله عنه فقال : صدق أبو مسعود
 فيما قال ، وذهب عنه المراد بذلك ، وإنما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن
 لا يبقى على وجه الأرض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه

وسلم إلامات ، وقوله : استعينوا على أموركم بالكتان وعلى قضاء حوائجكم بالأسرار .

قال المسعودي : وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ذكر أبو إسحق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد وأبو عبد الله نبطويه وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وغير هؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم ، أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل إيراده وتأتى لنا ذكره ، على حسب الحاجة إليه واستحقاق الموضع له ، وإن كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج إليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، فأغنى ذلك عن إعادتها ، والله تعالى ولى التوفيق



باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق

رضى الله تعالى عنه

قال المسعودي : ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، في سقيفة بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، في يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، مستوفيا لعمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا ، وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين ، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، ودفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك قالت عائشة ، وقد قيل : إن أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما ، وسند كرفيا يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم ، وكذلك تفرد بعد ما نوردته في هذا الكتاب بعد ذكرنا لأيام بنى أمية وبنى العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ الثانى من الهجرة إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في خلافة أبي إسحق الملقب بالله أو بعد ذلك من الأوقات إلى حيث ينتهى بنا التصنيف ، وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم ، وما أرخوه في مقادير السنين والشهور والأيام ، ونبين تاريخ أصحاب السير والأخباريين وغيرهم ؛ إذ كان التفاوت بين الفريقين ومُعَوَّلنا في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

ذكر نسبه، وطلع من أخباره وسيره

كان اسم أبي بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان ، وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ، وفى مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمى يومئذ عتيقا ، وقيل : إنما سمي عتيقا لعتق أمهاته ، واستخلف وأبوه فى الحياة وكان أزهد الناس ، وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه ، وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة

اسمه ونسبه

وقدم إليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشى المثقل بالذهب والتيجان والخبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم

تواضعه ولباسه

وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ، ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته ، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى ، فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزييا بزيه ، حتى إنه روى يوما فى سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ، ففزعت عشيرته ، وقالوا له : فضحتنا بين المهاجرين والأنصار ، قال : فأردتم أن أكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام ، لاها الله ، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا ، وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذلوا بعد التجبير

وفد
ذو الكلاع
ملك حمير
على أبي بكر

وبلغ أبا بكر رضى الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له ، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر ، فقال لقائده : على من يصيح ابنى ؟ فقال له : على أبي سفيان ، فدنا من أبي بكر وقال له : أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق ؟ لقد تعديت طورك

أبو بكر
وأبو سفيان

وجزت مقدارك ، فنبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار ، وقال له :
يا أبت ، إن الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين .

ولم يتقلد الخلافة وأبوه باق غير أبي بكر .

نسبه من
جهة أمه

وأم أبي بكر سلمى وتكنى أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب

ابن سعد بن تيم بن مرة

وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام .

أولاده

وكان له من الولد عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ؛ فأما عبد الله فإنه شهد

يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه جراحة وبقي إلى خلافة أبي بكر
ومات في خلافته ، وخلف سبعة دنائير فاستكثرها أبو بكر ، ولأعقب لعبد الله ،

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن إسلامه ؛ ولعبد الرحمن
أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق
في الموضع المعروف بالضيبيان والمسح ، ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس
الخشعية ، ومنها عقب جعفر بن أبي طالب ، وخلف عليها حين استشهد عبد الله ^(١)

وعونا ومحمدا ابني جعفر ، قتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن علي ،

ولا عقب لهما ، وعقب عبد الله بن جعفر علي وإسماعيل وإسحق ومعاوية ،

وتزوجها بعده أبو بكر الصديق ، فخلف منها محمدا ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب

فأولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها ، وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع

بنات ، وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا ، كانت ميمونة الهلالية تحت النبي

صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب ، وسلمى تحت

حمزة بن عبد المطلب ، وخلف منها بنتا ، وأسماء تحت من ذكرنا ، وأم جعفر بن

(١) كذا ، والصواب « وخلف عليها (أبو بكر) حين استشهد جعفر ، وقد

ولدت لجعفر عبد الله وعونا ومحمدا أبناء جعفر » وانظر الإصابة في ترجمة أسماء

بنت عميس

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قریش لنسكه وزهده ، ورباه علي بن أبي طالب ، وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أيام معاوية بن أبي سفيان

موت أبي
قحافة

ومات أبو قحافة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد قيل : إنه مات في سنة أربع عشرة

ولما بويغ أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال : أفسدت علينا أمورنا ، ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقاً ، فقال أبو بكر : بلى ، ولكن خشيت الفتنة ، وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل ، ومحادثة في الإمامة ، وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ، فصار إلى الشام ، فقتل هناك في سنة خمس عشرة ، وليس كتابنا هذا موضعاً لخبر مقتله ، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها

ولما ارتدت العرب إلا أهل المستنجدين ومن بينهما وأناساً من العرب قدم عدى بن حاتم بأهل الصدقة إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، ففي ذلك يقول الحرث بن مالك الطائي : —

وفينا وفاء لم ير الناس مثله وسرّ بكنّا مجدّاً عدى بن حاتم

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمّته اليهود في شيء من الطعام ، وأكل معه الحرث ابن كادة فعصى ، وكان السم لسنة ، ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً ، ولما احتضر قال : ما أنا إلا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها ، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها ، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فأما الثلاث التي فعلتها وددت أني تركتها فوددت أني لم

مرض أبي بكر

أكن قنشت بيت فاطمة ، وذكر في ذلك كلاما كثيرا ، ووددت أنى لم أكن
 حرقت الفجاءة وأطلقتها نجيحاً أو قتلتها صريحاً ، ووددت أنى يوم سقيفة بنى
 ساعدة قد رميت الأمر فى عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً ،
 والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها ووددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس
 أسيراً ضربت عنقه فانه قد خيل لى أنه لا يرى شراً إلا أعانه ، ووددت أنى كنت
 قد قذفت المشرق لعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل
 الله ، ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فان سلم المسلمون
 سلموا ، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ، وكان أبو بكر قد بلغ مع
 الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة ، والثلاث التى ووددت
 أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : ووددت أنى سألته عن ميراث
 العمة وبنت الأخ فان بنفسى منهما حاجة ، ووددت أنى سألته هل للأنصار
 فى هذا نصيب فنعطيتهم إياه

وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين ، وهى أم عبد الله بن الزبير ، بنات أبى بكر
 وعمرت مائتى سنة حتى عميت ، وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم
 وقد تنوزع فى بيعة على بن أبى طالب إياه : فمنهم من قال : بايعه بدموت بيعة على أبابكر
 فاطمة بعشرة أيام ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين
 يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل غير ذلك

ولما نفذ أبو بكر الأمراء إلى الشام كان فيما وصى به يزيد بن أبى سفيان وهو وصية أبى بكر
 مشيع له فقال له : إذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده ، وإذا وعدت
 فأنجز ، ولا تكثر عليهم الكلام ، فان بعضه ينسى بعضاً ، وأصلح نفسك تصلح
 الناس لك ، وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم ، فانه أول خبرك إليهم ،
 وأقل جلوسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ،

وكن أنت الذى تلى كلامهم ، ولا تجعل شرك مع علانيتك فيخرج عملك ،
وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تسكن المستشار فتؤتى
من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعانها ، واستوف
عسرك ، وأدل حرسك ، وأكثر مفاجاتهم فى ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء
إذا لقيت ، ولا تبين فيجب من سواك

ثبت جماع
الحوادث فى
عهد أبى بكر

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار فى هذا الكتاب طلبا للاختصار
والإيجاز : منها خبر لعيسى الكذاب المعروف بلهيفة ، وما كان من خبره باليمن
وصنعاء ، وتنبئه ومقتله ، وما كان من فيروز ، وغيره من الأنباء فى أمرهم ، وخبر
طليحة وتنبئه ، وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد ، وقيل : بنت غطفان ،
وتكنى أم صادرة ، وهى التى يقول فيها قيس بن عاصم : —

أضحت نبيتنا أننى نظيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراً
وفى يقول الشاعر : —

أضل الله سعى بنى تميم كما ضلت بخطبتها سجاح
وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيئة الكذاب ، ثم آمنت
بنبوتها ، وكانت قبل ادعائها النبوة متكينة تزعم أن سبيلها سبيل سطيح والمأمون
الحرثى وعمر بن يحيى وغيرهم من الكهان ، وصارت إلى مسيئة فنكحها ،
وما كان من خبر مسيئة كذاب اليمامة وحر به لخالد بن الوليد وقتل وحشى له
مع رجل من الأنصار ، وذلك فى سنة إحدى عشرة ، وما كان من أمره مع الأنصار
فى يوم سقيفة بنى ساعدة والمهاجرين ، وقول المنذر بن الحباب : أبا جذيلها
المحكك وعديقها المرجب ، أما والله إن شتم لنعيدنها جذعة ، وقصة سعد بن
عبادة ، وما كان من بشر بن سعد ، وتخلي الأوس عن معاضدة سعد خوفاً أن
يفوز^(١) بها الخزرج ، وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع ، وما قالت بنوهاشم ،

(١) فى الأصول أن يغور « بغين معجمة وآخره راء مهملة

وما كان من قصة فذك ، وما قاله أصحاب النص والأخبار في الإمامة ، وما قالوه
في إمامة الفضول وغيره ، وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر
أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب : —

قد كان عندك أنباء وهيمنة لو كنت شاهد هالم تكثر الخطب
إلى آخر الشعر ، إلى غير ذلك مما تركنا ذكره من الأخبار في هذا الكتاب ،
إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ،
فأغنى ذلك عن ذكره هاهنا ، والله أعلم



ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا ؛ فأقام الحج في تلك السنة ، ثم أقبل حتى دخل المدينة ، فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ، وقتل في صلاة الصبح ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، عند رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إن قبورهم مسطرة : أبو بكر إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر إلى جنب أبي بكر ، وحج في خلافته تسع حجج ، وبعد أن قتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف ، وجعلها شورى إلى ستة ، وهم على ، وعثمان ، وطاحنة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وصلى عليه صهيب الرومي ، وكانت الشورى بعد [ه] ثلاثة أيام .

ونذكر نسبه ولعاه من اخباره وسيره

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط ^(١) بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدى بن كعب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه حنتمة بنت هشام ^(٢) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت سوداء وإنما سمي الفاروق لأنه فرّق بين الحق والباطل ، وكنيته أبو حفص ، وهو أول من سمي بأمر المؤمنين ، سماه عدى بن حاتم ، وقيل غيره ، والله أعلم ، وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة ، وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري ،

نسب عمر من
جهة أبيه وأمه

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب ، والذي في الاصابة أنه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، وفي أصول هذا الكتاب أن اسم أمه « خيشمة » وهو تصحيف ، والتصويب عن الاصابة (٤ : ٢٧٩) (٢) ويقال : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة

فلما قرىء ذلك على عمر قال : إني لعبد الله وإني لأمير المؤمنين ، الحمد لله رب العالمين
وكان متواضعا خشن اللبس شديد في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر أفعاله
وشيمه وأخلاقه ، كل يتشبه به ممن غاب أو حضر ، وكان يلبس الجبة الصوف
المرقعة بالأديم ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القربة على كتفه ، مع هبة قد رزقها ،
وكان أكثر ركابه الابل ، ورحله مشدودة بالليف ، وكذلك عماله ، مع ما فتح الله
عليه من البلاد وأوسعهم من الأموال

وكان من عماله سعد بن عامر بن خريم ، فشكاه أهل حمص إليه ، وسأله سعد بن عامر
أحد عماله أن يخرج
عزله ، فقال عمر : اللهم لا تقل فراستي فيهم ، ماذا تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج
إلينا حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحدا بليل ، وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا ،
فقال عمر : على به ، فلما جمع بينهم وبينه ، فقال : ما تنقمون منه ؟ قالوا : لا يخرج
إلينا حتى يرتفع النهار ، فقال : ما تقول ياسعد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس
لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ
وأخرج إليهم ، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل ، قال : قد كنت
أكره أن أذكر هذا ، إني جعلت الليل كله لربي ، وجعلت النهار لهم ، قال :
وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج إلينا ، قال : نعم ليس لي خادم
فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسى ، فقال عمر : الحمد لله الذي لم يقل فراستي فيكم
يا أهل حمص ، فاستوصوا بواليكم خيرا ، قال : ثم بعث إليه عمر بألف دينار ،
وقال : استعن بها ، فقالت له امرأته : قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها :
ألا ندفعها إلى من يأتينا أحوج ما كنا إليه ؟ قالت : بلى ، فصرتها صررا ثم دفعها
إلى من يشق به ، وقال : انطلق بهذه إلى فلان ، وبهذه إلى يقيم بنى فلان ،
ومسكين آل فلان ، حتى بقي منها شيء يسير ، فدفعه إلى امرأته ، وقال : أنقذ
هذه ، ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته : ألا تبعث بذلك المال فتشتري لنا
منه خادما ، فقال : سيأتيك أحوج ما تكونين إليه .

أخلاقه
وتواضعه

ومن عماله على المدائن سلمان الفارسي ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار
 برذعته بغير إكاف ، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكاً زاهداً ، فلما احتضر
 بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص : يا أبا عبد الله ، قال : نعم ، قال : اذكر الله عند
 همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ، فجعل سلمان
 يبكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ما يبكيك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا الخفون » وأرى هذه الأسودة
 حولي ، فظنوا فلم يجدوا في البيت إلا دواة وركوة ومطهرة

وكان عامله على الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف
 الجافي ، فعزل على ذلك ، وقيل له : إنك بالشأم [وإلى] أمير المؤمنين ، وحولنا
 الأعداء فغير من زيك ، وأصلح من شارتك ، فقال : ما كنت بالذي أترك ما كنت
 عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر الواقدي في كتابه في فتوح الأمصار أن عمر قام في المسجد ، فحمد الله
 وأثنى عليه ، ثم دعاهم إلى الجهاد ، وحشهم عليه ، وقال : إنكم قد أصبحتم في
 غير دار مقام بالحجاز ، وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى
 وقيصر ، فسيروا إلى أرض فارس ، فقام أبو عبيدة فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا
 أول من انتدب من الناس ، فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس ، وقيل لعمر :
 أمر على الناس رجلاً من المهاجرين أو الأنصار ، فقال : لا أؤمر عليهم إلا أول
 من انتدب ، فأمر أبو عبيدة ، وفي حديث آخر أنه قيل له : أؤمر رجلاً من ثقيف
 على المهاجرين والأنصار ؟ فقال : كان أول من انتدب فوليته ، وقد أمرته أن
 لا يقطع أمراً دون سلمة بن أسلم بن حريش ^(١) وسليط بن قيس ، وأعلمته أنهما من
 أهل بدر ، وخرج فلقي جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس ، فانهزم ،
 وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات ، وعقد له بعض الدهاقين جسراً ، فلما خلف
 الفرات وراءه أمر بقطع الجسر ، فقال له سلمة بن أسلم : أيها الرجل ، إنه ليس
 (١) في الاصول « بن حويس » وهو خطأ ، والتصويب عن سيرة ابن إسحاق

أبو عبيدة
 أحد عمال عمر
 عمر يحرض
 على الجهاد
 ويؤمر
 أبا عبيدة

لك علم بما نرى ، وأنت تخالفنا ، وسوف تهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك ، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبرارى ، فلا تريد إلا أن تهلكهم فى هذه القطعة ، فقال : أيها الرجل ، تقدم فقاتل فقد حمم ماترى ، وقال سليط : إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ، ولا كان لهم بقتالهم ، فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة إن كانت ، فقال : والله لا فعلت ، جبتت ياسليط ، فقال سليط : والله ماجبتت ، وأنا أجراً منك نفساً وقبيلة ، ولكن والله أشرت بالرأى ، فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب إلى القبيلة عليها التحافيف فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط ، فانهزم الناس جميعاً ثم مات بالفترات أكثر ممن قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيدة سليطاً ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشير ولا يخالفه ، وكان رأى سليط أن لا يغير حتى يغيروا^(١) عليه ، ولا يقطع الجسر ، فخالفه ، وقال سليط فى بعض قوله : لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ، ولكنى أسمع وأطيع ، وإن كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك ، فقال له أبو عبيدة : تقدم أيها الرجل ، فقال : أفعل ، فتقدما فقتلا جميعاً ، وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل ، وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف ، فدنا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه ، فقتل الفيل أبا عبيدة بيده ، وجال الناس ، وتراجعت رجال فارس ، فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيدة ، وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة ، وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا ، وكان على جيش فارس فى هذا اليوم حادويه ، ومعه راية فارس التى كانت لأفريدون ، حتى ثار الناس من الوهاد ، وهى المعروفة بدرفس كاسان ، وكانت من جلود النمر طولها اثنا عشر ذراعاً فى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل ، وكانت فارس تقيم بها وتظهرها فى الأمر الشديد ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار الفرس الأول فيما سلف من هذا الكتاب ، ولما

(١) كذا ، ولعله « حتى يعبروا عليه »

قتل أبو عبيدة الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين ، فخطب عمر
بالناس وحثهم على الجهاد ، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق ، وعسكر عمر وهو يريد
الشخوص ، وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله ، وعلى ميمنته الزبير بن
العوام ، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس فاستشارهم فأشاروا عليه
بالمسير ، ثم قال لعل : ماترى يا أبا الحسن ؟ أسير أم أبعث ؟ قال : سر بنفسك فانه
أهيب للعدو وأرهب له ، فخرج من عنده ، فدعا العباس في جل مشيخة قريش
وشاورهم ، فقالوا : أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة ، وخرجوا ،
فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف ، فاستشاره ، فقال عبد الرحمن : فديت بأبي
وأمي ، أقم وابعث فانه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهيئتك ، وإنك إن تهزم
أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبدا ، قال : أشر على من أبعث ،
قال : قلت : سعد بن أبي وقاص ، قال عمر : أعلم أن سعدا رجل شجاع ، ولديني
أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ، قال عبد الرحمن : هو على ما تصف من
الشجاعة ، وقد يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا ، فاعهد إليه عهدا
وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه فانه لن يخالف أمرك ، ثم خرج فدخل عثمان
عليه فقال له : يا أبا عبد الله ، أشر على أسير أم أقيم ، فقال عثمان : أقم يا أمير المؤمنين
وابعث بالجيوش فانه لا آمن إن أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ،
ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض ، وابعث رجلا له تجربة بالحرب
ومضربها ، قال عمر : ومن هو ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال : فאלقه وكلمه
وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا إليه أولا ؛ فخرج عثمان فلقى عليا ، فذاكره ذلك ،
فأبى على ذلك وكرهه ، فعاد عثمان فأخبره ، فقال له عمر : ومن ترى ؟ قال :
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال : ليس بصاحب ذلك ، قال عثمان : وطلحة
ابن عبيد الله ، قال له عمر : أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل
ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ؟ قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : سعد ، قال عثمان : هو صاحب ذاك ولكنه رجل غائب في عمل ، قال عمر : أرى أن أوجهه وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك ، قال عثمان : ومرة فليشاور قوما من أهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الأمور حتى يشاورهم ، ففعل عمر ذلك ، وكتب إلى سعد بالتوجه نحو العراق

وقد كان جرير بن عبد الله البجلي قدم على عمر - وقد اجتمعت إليه بجيلة - فسرهم نحو العراق ، وجعل لهم ريعا ، فأظهروا عليه من السواد ، وسأهمهم مع المسلمين ، وخرج عمر فشييعهم ، ولحق جرير بناحية الأبله ثم صاعد إلى ناحية المدائن ، ونمى قدوم جرير إلى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف من فارس من الأساورة ، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيدة وسليط ، فقال بجيلة لجرير : اعبر الدجلة إلى المدائن ، فقال جرير : ليس ذلك بالرأى ، وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل إخوانكم يوم الجسر ، ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء الله تعالى ، فأقامت الفرس أياما بالمدائن ، ثم أخذوا في العبور ، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن شرع معه من بجيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل المرزبان ، وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم ، وسار جرير فاجتمع مع المثني بن حارثة الشيباني بالبجلة ، فأقبل إليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور إليهم ، فعبر مهران ، فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر ابن ضرار الضبي : ضربه البجلي ، وطعنه الضبي ، وفاز جرير بمنطقته وسلبه ، وتنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران ، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ، وحسان في ذلك أبيات : —

ألم ترني خالستُ مهران نفسه بأسمرَ فيه كالخلال طير
فخر صريعا والتقتاني برجله وبادر في رأس الهمام جرير
فقال قتيلي والحوادث جمه وكاد جرير للسروور يطير

جرير بن عبد
الله البجلي
والمثني بن
حارثة

فقال أباعمر وقتل قتلته ومثلى قليل والرجال كثير
فأرسل يميناً أن رمحك ناله وأكرم أن تحلف وأنت أمير
وقد تنازع أهل الأخبار والسير في جرير والمثنى : فمن الناس من ذهب إلى
أن جريراً كان المولى على الجيش ، ومنهم من رأى أن جريراً على قومه والمثنى
على قومه .

وفاة المثنى بن حارثة بسيراف ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك ، وسار شيراز في جمع فارس الأعظم
ويقال له بوران ، وقد كانت جبهة الأساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم ، فتنحى
المسلمون لما بلغهم مسيره فلاحق جرير بكائفة فنزلها ، وسار المثنى بقومه من بكر
ابن وائل فنزل بسيراف ، وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة أميال
من المنزل المعروف بواقصة ، وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى
يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى .

سعد بن أبي وقاص ولما ورد كتاب عمر على سعد بن أبي وقاص فنزل زُبالة على حسب ما أمره
به عمر ، ثم أتى سيراف ، وأتاه الناس من الشام وغيرها ، ثم سار فنزل العذيب
وهو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية ، فالتقى جيش المسلمين وجيش
الفرس وعليهم رستم ، والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفاً ، وقيل : إن من
أُسهِمَ له ثلاثون ألفاً ، والمشركون فى ستين ألفاً أمام جيوشهم الفيلة عليها الرجال ،
وحرص الناس بعضهم بعضاً ، وبرز أهل النجدات ، فأشبهوا القتال ، وخرج
إليهم أقرانهم من صناديد قريش ، فاعتور الضرب والطعن ، وخرج غالب بن
عبد الله الأسدى فى ذلك اليوم وهو يقول : —

قد علمت واردة المسالح ذات البيان واللسان الواضح
أتى سمام البطل المشايخ وفارج الأمر المهم الفادح

فخرج إليه هرمز — وكان من ملوك الباب والأبواب ، وكان متوجاً — فأسره
غالب أسراً ، فأتى سعداً وكر راجعاً إلى المطاردة ، وحى الوطيس ، وخرج عاصم
ابن عمرو وهو يقول : —

قد علمت بيضاء صفراء اللب مثل اللجين يتغشاها الذهب

أنى امرؤ لا من يعينه السبب مثلى على مثلك يغريه العتب

عاصم بن عمرو
فبرز إليه عظيم من أساورتهم ، فجلا ، ثم إن الفارسي ولّى واتبعه عاصم
حتى لجأ إلى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى أيس الناس منه ، ثم خرج
في مجنبات القلب وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة ، فأتى به سعد بن
مالك ، وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة ، وإذا هو خباز
المالك ، وفي الصناديق لطائف الملك من الأخبصة والعسل المعقود ، فلما نظر
إليه سعد قال : انطلقوا إلى أهل موقفه وقولوا : إن الأمير قد نقلكم هذا
فكلوه

يوم أغواث
وكانت وقعة القادسية في المحرم سنة أربع عشرة ، ومال سبعة عشر فيلا
على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تحافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج
والحرير نحو بجيلة ، وحول الفيلة الرجال والخيول ، فبعث إلى بني أسد لما نظر
إلى الموكب والفيول قد مالت إلى بجيلة ، فأمرهم بمحوتهم ، ومالت عشرون فيلا
نحو القلب ؛ فخرج طلحة بن خويلد الأسدي مع فرسان بني أسد ، فقتل منهم
خمسة رجل سوى من قتل من غيرهم ، فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها ،
واشتد الجلال على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس ، وهذا اليوم يعرف
بيوم أغواث

فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من
الشام ، والأمداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن
أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضروألف من اليمن ، ومعه
القعقاع بن عمرو ، وذلك بعد فتح دمشق بشهر ، وقد كان عمر رضى الله عنه
كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق ،
ولم يذكر في كتابه خالدا ، فشح أبو عبيدة بتخليه خالد عن يده ، وبعث برجاله

وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا ، وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك ، وكان خالد بن الوليد خال^(١) عمر ، فتقدم القعقاع في أوائل المدد ، فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ما لحقهم بالأمس من القتل والجراح ، وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه عظيم منهم ، فقال له القعقاع : من أنت ؟ قال : أنا بهمن حادويه ، وهو المعروف بذي الحجاب ، فنادى القعقاع : يا ثارات أبي عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر !! وقد كان ذو الحجاب مبارزا لهم على ما ذكرنا من قتله إياهم ، فجالا ، فقتله القعقاع ، ويقال : إن القعقاع حمل في ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة ، كل حملة يقتل فيها ، وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له برزجمهر ، ففيه يقول القعقاع : —

حَبُونُهُ جَيَّاشَةٌ بالنفس هدارة مثل شعاع الشمس
في أغواث قليل الفرس أنحس بالقوم أشد أنحس
حتى يفيض معشري ونفسي

وبارز في ذلك اليوم الأعور بن قطنه شهربار سبجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه ، فقال أخو الأعور في ذلك : —
لم أريوما كان أحلى وأمر من يوم أغواث إذا فتر الثغر
* من غير ضحك كان أسوا وأبر *

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب ، وجلس في أعلاه يشرف على الناس ، وقد تواقف الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتمون ، فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده في أعلى القصر : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظوني فإنهم أقوىاء على عدوهم ، وإن سكتوا فأيقظوني فإن ذلك شر ، واشتد القتال في الليل

(١) في الأصول « وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر » وهو لا أصل له فأصلحنه كما ترى ؛ لأن خالد هو ابن الوليد بن المغيرة وأم عمر هي حنتمة بنت هشام (أو هاشم) بن المغيرة ؛ فخالد ابن عم أم عمر ؛ فهو خال عمر بنوع من التجوز

وكان أبو محجن الثقفي محبوسا في أسفل القصر؛ فسمع انباء الناس في آبائهم أبو محجن الثقفي وعشائرتهم ووقع الحديد وشدة البأس، فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف، فحبا حتى صعد إلى سعد يستشفعه ويستقبله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج، فرآه سعد وردّه، فأنحدر راجعا، فنظر إلى سلمى بنت حفصة زوجة المثني بن حارثة الشيباني، وقد كان سعد تزوجها بعده، فقال: يا بنت حفصة، هل لك في خير؟ فقالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عني وتعيريني اللقاء والله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى في القيد، فقالت: وما أنا وذلك؟ فرجع يرسف في قيده وهو يقول: -

كنى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قت عتاني الحديد فأغلقت مصاريع من دوني تُصمّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة فقد تركوني واحدا لا أخاليا
فله عهد لا أخيس بهمه لن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بهدك، فأطلقته، وقالت: شأنك وما أردت، فاقتاد بقاء سعد، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق، فركبها ثم دب عليها، حتى إذا كان بجبال ميمنة المسلمين كبر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم، ونكس آخرين، والريقان يرمقونه بأبصارهم؛ وقد تنوزع في اللقاء فمنهم من قال: إنه ركبها عريا، ومنهم من قال: بل ركبها بسرج، ثم غاص في المسلمين، فخرج في ميسرتهم، وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم، وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس إلا هتكه، فأوقفهم، وهابته الرجال، ثم رجع فغاص في قلب المسلمين، ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين، ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة، وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه، وحمل عن المسلمين الحرب، فتعجب الناس منه، وقالوا: من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا؟ فقال بعضهم: هو من قدم علينا من إخواننا من الشام من

أصحاب هاشم بن عتبة المرقال ، وقال بعضهم : إن كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر قد منَّ الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا ، وقال قائل منهم : لولا أن الملائكة لا تبأشر الحروب لقلنا إنه ملك . وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ، ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم بن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون إليه ، وقد حارت في أمره ، وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر : والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وتراجعت الفرس على أعقابها ، وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ، وردَّ البلقاء إلى مربطها ، ووضع رجله في القيد ، ورفع عقيرته وهو يقول :-

لقد علمت ثقيف غيرَ فخر بأنّا نحنُ أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعاً سسابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وليلة فارس لم يشعروا بي ولم أشعر بمخزجى الزخوفا
وأنا وفدهم في كل يوم فان عتبوا فسل بهمو عريفا
فإن أحبس فذلكم بلائى وإن أترك أذيقهم الحتوفا

فتت له سلمى : يا أبا محجن ، في أى شيء حبسك هذا الرجل ؟ تعنى سعدا ، قال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعريدب الشعر على لسانى فأصف القهوة وتداخلى أريحية فالتذ بمذحى إياها ، فذلك حبسنى لأنى قلت فيها :-

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروفا
ولا تدفننى بالفسلة فانى أخاف إذا مات أن لا أذوقها

وهى أبيات

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها ، لذكرها المثنى عند مختلف القنا ، فأقامت مغاضبة له عشية أزمار وليلة الهدار وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ، ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن ، فدعا به ، فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم والله لا أجبت لسانى إلى صفة قبيح أبدا

وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم ، وهو يوم عباس ، وأصبحت الأعاجم على مواقعها ، وأصبح بين الفريقين كالدجلة الغوراء والفرات فى عرض ما بين الصفين ، وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين رثيت وميت ، وقتل من الأعاجم ما لا يحصى ، فقال سعد : أيها الناس ، من شاء غسل الشهيد الميت والرثيت ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم ، وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيت إلى النساء ويعالجن فى كلومهم ، وكان بين موضع الواقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة — ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها ، واليوم بها نخل كثير — قال لحامله : قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة ، فירתاح تحتها ساعة ، فسمع رجل من الجرحى يقول : —

ألا فاسلمى يا نخلة بين قادس وبين العذيب لا يجاورك النخل^(١)

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوة خارجة من جوفه وهو يقول : —

أيأ نخلة الجرعاء ويأ نخلة العدا سقتك الغواذى والغيوث الهواطل^(٢)

(١) فى الأصول « بين فارس » والتصويب عن الطبرى (٤ : ١٢٥)

(٢) فى بعض الأصول « أيأ نخلة الجرحى » وفى الطبرى : —

* أيأ نخلة الجرعاء يا جرعة العدى *

وَأُخِنُ الْأَعُورِ بْنِ قُطْنَةَ^(١) فُخِمَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ فَسَأَلَ حِمَالَهُ أَنْ يَرْيَحَهُ تَحْتَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَيْهَا قَالَ : —

أَيَا نَخْلَةَ بَيْنَ الْعَذِيبِ فَتْلَعَةَ سَقَيْتُكَ الْغَوَادِي الدَّاجِنَاتِ مِنَ النَّخْلِ^(٢)
وَأَصْبَحَ النَّاسُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَهِيَ صَبِيحَةُ لَيْلَةِ الْهَرِيرِ ، وَهِيَ تَسْمَى لَيْلَةَ الْقَادِسِيَّةِ مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَالنَّاسُ حَيَارَى وَلَمْ يَغْمُضُوا لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا ، وَحَرَضَ رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ عَشَائِرَهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْجَلَادُ إِلَى أَنْ جَاءَ وَقْتُ الزَّوَالِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ زَالَ حِينَ قَامَ قَائِمُ الظُّهيرةِ الْهَرْمَزَانُ ، فَتَأَخَّرَ وَسَارَ حَتَّى انْتَهَى ، وَانْفَرَجَ الْقَلْبُ حِينَ قَامَ قَائِمُ الظُّهيرةِ ، وَهَبَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ قَطَعَتْ طَيَّارَةً رَسَمَ عَنْ سَرِيرِهِ فَهَوَتْ فِي نَهْرِ الْعَقِيقِ وَالرَّيْحُ دُبُورُ فِالِ الْغُبَارِ عَلَيْهِمْ ، وَانْتَهَى التَّقَعُّعُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى سَرِيرِ رَسَمٍ فَعَثَرُوا بِهِ وَقَدْ قَامَ رَسَمٌ عَنْهُ حِينَ طَارَتْ الرِّيحُ بِالطَّيَّارَةِ إِلَى بَغَالٍ قَدْ قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ بِمَالٍ يَوْمئِذٍ فَهِيَ وَاقِفَةٌ فَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ بَغْلٍ مِنْهَا وَحَمَلَهُ ، وَضَرَبَ هَلَالُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْجَمْلَ الَّذِي رَسَمَ فِي ظِلِّهِ فَقَطَعَ حَبَالَهُ ، وَوَقَعَ عَلَى رَسَمِ أَحَدِ الْعَدْلَيْنِ وَلَا يَرَاهُ هَلَالٌ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ ، فَأَزَالَ مِنْ ظَهْرِهِ قَقَارَةً ، وَهَضَمَ رَسَمَ إِلَى نَحْوِ نَهْرِ الْعَقِيقِ فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهِ ، وَاقْتَحَمَ هَلَالٌ عَلَيْهِ فَتَنَاوَلَهُ بِرَجْلِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى الْخُنْدُقِ وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ يَجْرُهُ حَتَّى رَمَاهُ بَيْنَ أَرْجْلِ الْبَغَالِ وَصَعِدَ السَّرِيرَ وَنَادَى : قَتَلْتُ رَسَمَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، إِلَى إِلَيَّ ، فَطَافَ بِهِ النَّاسُ لَا يَحْسُونُ السَّرِيرَ وَلَا يَرُونَهُ ، وَتَنَادَوْا ، وَتَجَبَّنَتْ قُلُوبُ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَهَا وَانْهَزَمُوا وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ ، فَمِنْ غَرِيقٍ وَقَتِيلٍ ، وَقَدْ كَانَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ قَرَنُوا أَنْفُسَهُمْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالسَّلَاسِلِ وَالْحَبَالِ وَتَحَالَفُوا بِالنُّورِ وَبِیُوتِ النِّيرَانِ لَا يَبْرَحُونَ حَتَّى يَقْتَحِمُوا أَوْ يَقْتُلُوا ، فَجَثُوا عَلَى الرِّكَبِ ، وَقَرَعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَنَادِيلُ النَّشَابِ ، فَقَتَلَ الْقَوْمَ جَمِيعًا .

(١) الَّذِي فِي الطَّبْرِيِّ (٤ : ١٢٥) « الْأَعُورُ بْنُ قُطْنَةَ »

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ (٤ : ١٢٥) يَرُوى الْبَيْتُ هَكَذَا : —

أَيَا نَخْلَةَ دُونَ الْعَذِيبِ بَتْلَعَةَ سَقَيْتُ الْغَوَادِي الْمَدَجَّنَا مِنَ النَّخْلِ

وقد تنوزع فيمن قتل رستم : فذهب الأكثر إلى أن قاتله هلال بن علقمة
ابن تيم الرباب على ما قدمنا ، ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بنى أسد ،
ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم - وهو عمرو بن شاس الأسدي من أبيات - :
جلبنا الخيل في أكناف هف إلى كسرى يوافقها رعالا
تركن بهم على الأصنام سحرا وبالخقوين أياما طوالا
قتلنا رستم وبنيه قسرا تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا قياما لا يريدون ارتحالا
وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها
أنها من جلود النمر المعروفة بدرفس كاسان ، وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ
وأشواع الجواهر ، فعوض منها بثلاثين ألفا ، وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى
ألف ، وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية غير ما ذكرنا من القرين^(١) وغيرهم
عشرة آلاف .

وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب : فذهب
كثير من الناس إلى أن ذلك كان في سنة خمس عشرة ، ومنهم من رأى أنه تمصير البصرة
وكان في سنة أربع عشرة ، والذي قطع عليه محمد بن إسحق أنها كانت في خمس
عشرة ، وقال : في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان
لصلاته التراويح ، وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة
ابن غزوان في سنة أربع عشرة إلى البصرة فنزلها ومصرها ، وذهب كثير من
الناس أنها مصرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج
إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتسكريت ،
وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل
موضع الحربية ، ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة ،
ودلهم على موضعها قبيلة الغساني ، وقال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن

(١) لعله « من المقرنين » لأنهم قرنوا أنفسهم كما تقدم

أبو لؤلؤة
غلام المغيرة
قاتل عمر

البر وانحدرت عن الفلاة ، فدله على موضع الكوفة إلى اليوم
قال المسعودي : وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة ، فكتب
إليه المغيرة بن شعبه إن عندى غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لأهل المدينة ،
فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلت ، فأذن له ، وقد كان المغيرة جعل
عليه كل يوم درهمين ، وكان يدعى أبا لؤلؤة ، وكان مجوسيا من أهل نهاوند
فلبت ما شاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه ، فقال له عمر : وما تحسن
من الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير فى كنه
ما تحسن من الأعمال ، فضى عنه وهو مدبر ، قال : ثم مر بعمر يوما آخر وهو
قاعد ، فقال له عمر : ألم أُحَدِّثْ عنك أنك تقول : لو شئت أن أصنع رَحًا
تطحن بالريح لفعلت ، فقال أبو لؤلؤة : لأصنعنَّ لك رحًا يتحدث الناس بها ، ومضى
أبو لؤلؤة فقال عمر : أما العليج فقد توعدنى آفقا ، فلما أزمع بالذى أُوعد به أخذ
خِنْجَرًا فاشتغل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس ، وكان
عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس ، فمر به ، فثار إليه فطعنه ثلاث طعنات
إحداهن تحت سرتة وهى التى قتلتة ، وطعن اثنى عشر رجلا من أهل المسجد
فمات منهم ستة وبقى ستة ، ونحر نفسه بخنجره فمات ، فدخل عليه ابنه عبد الله
ابن عمر وهو موجود بنفسه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، استخلف على أمة محمد فانه
لو جاءك راعى إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعى بها لُمته
وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة ؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد ؟
فاستخلف عليهم ، فقال : إن استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر ، وإن
أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيئس منه عبد الله حين سمع
ذلك منه

أولاد عمر
وكان إسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين ، وكان يخضب بالحناء والكم
وكان له من الولد : عبد الله ، وخصفة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وعاصم ،

وفاطمة ، وزيد ، من أم ، وعبد الرحمن ، وفاطمة ، وبنات آخر ، وعبد الرحمن الأصغر - وهو المحدث في الشراب ، وهو المعروف بأبى شحمة - من أم

عمر وعبد الله
ابن العباس

وذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال : يا ابن عباس ، إن عامل حص هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسى منك شيء لم أره منك ، وأعيانى ذلك ، فما رأيك فى العمل ؟ قال : لن أعمل حتى تجربنى بالنى فى نفسك ، قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : أريده ، فإن كان شيء أخاف منه على نفسى خشيت منه عليها النى خشيت ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنى لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ؛ فانى قلما رأيت أو ظننت شيئاً إلا عاينته ، فقال : يا ابن عباس ، إنى خشيت أن يأتى على النى هو آت وأنت فى عملك فتقول : هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ، إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم ، قال : والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك ؟ قال : والله ما أدري أضنَّ بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشى أن تبايعوا بمنزلكم منه فيقع العقاب ، ولا بد من عتاب فقد قرعت لك ، قال : فما رأيك ؟ قال : قلت : أرانى لأعمل لك ، قال : ولم ؟ قلت : إن عملت لك وفى نفسك ما فيها لم أبرح قَدَى فى عينك ، قال : فأشر على ، قلت : إنى أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك

خبر وقعة
نهاوند

وذكر علقمة بن عبد الله المرى ، عن معقل بن يسار ، أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس وإصبهان وأذر بيجان ، فقال له : أصبهان الرأس ، وفارس وأذر بيجان الجناحان ؛ فان قطعت أحد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع ، فابدأ بالرأس ، فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان ابن مقرن يصلى ، فقعده إلى جنبه ، فلما قضى صلاته قال : ما أرانى إلا مستعملاً ؛ قال : أما جاييا فلا ، ولكن غازيا ، قال : فانك غاز ، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه ، وبعث معه الزبير بن العوام ، وعمر بن معديكرب ، وحذيفة ،

وابن عمر ، والأشعث بن قيس ، فأرسل النعمان المغيرة بن شعبه إلى ملكهم ، وهو يقال له ذو الجناحين ، فقطع إليهم نهرهم ، فقبل لدى الجناحين : إن رسول العرب هاهنا ، فشاور أصحابه ، فقال : ماترون ؟ فقالوا : اقعده في بهجة الملك ، فصعد على سريرته ووضع التاج على رأسه وأقعده أبناء الملوك سماطين عليهم الأقرط وأسورة الذهب والديباج ، وأذن للمغيرة ، فأخذ بضبعيه رجالاً ومعه سيفه ورمحه ؛ قال : فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك ، حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما ، فقال : إنكم معشر العرب أصابكم جهد ، فإن شئتم مرناكم ورجعتم ، فتسكنكم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنا معشر العرب كنا أذلة يطؤونا الناس ولا نطؤهم ، ونأكل الكلاب والجيف ، ثم إن الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ببعثه ، وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا ، وإنه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ماها هنا ونغلب عليه ، وإنى أرى هاهنا هيئة وبزة مامن خفى بتاركها [حتى] يصيبوها أو يموتوا ، فقالت لى نفسى لو جمعت جراء مزرى ووثبت فقعدت مع العالج على سريرته حتى يتطير ، قال : فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريرته ، فجعلا يسكرونى بأرجلهم ويجذبونى بأيديهم ، فقلت لهم : إنا لا نفعل برسلكم هكذا ، وإن كنت قد فجرت واستخففت فلا تؤخذونى ؛ فإن الرسل لا يصنع بها هكذا ، فقال الملك : إن شئتم قطعنا إليكم وإن شئتم قطعتم إلينا ، قلت : بل تقطع إليكم ، فقطعنا إليهم ، قال : فتسللوا كل خمسة وستة حتى لا تغزو ، فدنونا إليها فضائقناهم ، فرشقونا حتى أسرعوا فينا ، فقال المغيرة للنعمان : إنه قد أسرع في الناس وقد جرحوا ، فلو حمت ، فقال النعمان : إنك لنو مناقب ، وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال ، وكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ، ثم قال : إنى هازلوائى ثلاث مرات ، فأما أول هزة فليقبض الرجل حاجته وليتوضأ

وأما الثانية فلينظر الرجل إلى شِيعِهِ وليلزم سلاحه ، فإذا هزرت الثالثة فاحلوا ولا يَلَوَيْنَّ أحد على أحد ، وإن قتل النعمان ، وإنى داع إلى الله بدعوته ، وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها ، وقال : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم ، فأمن القوم ، فhez ثلاثاً ، ثم أدنى درعه وحمل ، ثم حمل الناس فكان أول صريع ، قال معقل : فأتيت عليه فذكرت عزمة لا أقف عليها ، وعلمت علماً لا أعرف مكانه ، ووضعنا القتل فيهم ، ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه ، وفتح الله على المسلمين ؛ فأتيت إلى مكان النعمان فصادفته وبه رمق ، فأتيت به بأداة فغسلت وجهه ، فقال : من هذا ؟ قلت : معقل ابن يسار ، قال : ما فعل الله بالناس ؟ قلت : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله كثيراً اكتبوا بذلك إلى عمر ، وفاضت نفسه ، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وأرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان عهداً له أم عندك كتاب ؟ قالت : سقط فيه كتاب ، فأخرجوه فإذا فيه : إن قتل فلان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان ، فاقتتلوا ، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيماً

قال المسعودي رحمه الله : وهذه وقعة نهاوند ، وقد كان للأعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير : منهم النعمان بن مقرن ، وعمر بن معديكرب ، وغيرهم ، وقبورهم إلى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدِّينَور ، وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا

عمر بن
معديكرب
يصف قومه
لعمر بطنا فبطنا

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى قال : لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبي وقاص ، فقال فيه ما قال من الثناء ، ثم سأله عن السلاح ، فأخبره بما علم ، ثم سأله عن قومه ، فقال له : أخبرني عن قومك مذحج ودع طيئاً ، قال : سلني عن أيهم شئت ، قال : أخبرني عن ملة بن خالد ، قال : هم فرسان أغراضنا ، وشفاة أمراضنا ، وهم أعتقنا ، وأنجبنا ، وأسرعنا طلباً ، وأقلنا هرباً ، وهم أهل الصباح والسباح والرماح ، قال عمر : فما بقيت لسعد العشيرة ؟

قال : هم أعظمنا خيسا ، وأسَخَّنا نفوسا ، وخيرنا رئيسا ، قال : فما بقيت لمراد ؟ قال :
هم أوسعنا دارا ، وخيرنا جارا ، وأبعدنا ثارا ، وهم الأتقياء البررة ، والساعون
الفخرة ، قال : فأخبرني عن بني زبيد ، قال : أنا عليهم ضنين ، ولو سألت الناس عنهم
لقالوا هم الرأس والناس الأذنان ، قال : فأخبرني عن طيء ، قال : خصوصاً بالجود ،
وهم جرة العرب ، قال : فما تقول في عبس ؟ قال : حجب عظيم ، وزبن أثير ،
قال : أخبرني عن حمير ، قال : رَعَوْا العفو ، وشرُّوا الصفو ، قال : فأخبرني
عن كندة ، قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد ، قال : فأخبرني عن :
همدان ، قال : أبناء الليل ، وأهل النيل ، يمنعون الجار ، ويوفون الذَّمار ، قال :
فأخبرني عن الأزد ، قال : هم أقدمنا ميلادا ، وأوسعنا بلادا ، قال : فأخبرني عن
الحِمْيَر بن كعب ، قال : هم الحسكة المسكة ، تلقى المنايا على أطراف رماحهم ، قال :
فأخبرني عن لحم ، قال : آخرا نملكا ، وأولنا هلكا ، قال : فأخبرني عن جذام ،
قال : أولئك كالعجوز العيراء ، وهم أهل مقال وفعال ، قال : فأخبرني عن غسان
قال : أرباب في الجاهلية ، نجوم في الاسلام ، قال : فأخبرني عن الأوس
والخزرج ، قال : هم الأنصار ، وهم أعزنا دارا ، وأمنعنا ذمارا ، وقد كفانا الله
مدحهم إذ يقول : (والذين تبوءوا الدار والايماَن - الآية) قال : فأخبرني عن خزاعة ،
قال : أولئك مع كنانة لنا نسبهم ، وبهم نصرنا ، قال : فأى العرب أبغض إليك
أن تلقاه ؟ قال : أمان من قومي فوادة من همدان ، وغطيف من مراد ، وبلحرت
من مذحج ، وأما من معد فعدي من فزارة ، ومرة من ذبيان ، وكلاب من عامر ،
وشيبان من بكر بن وائل ، ثم لو جُلْتُ بفرسى على مياه معد ما خفت هَيْجَ أحد
مالم يلقي حرَّها وعبدَّها ، قال : ومن حرَّها وعبدَّها ؟ قال : أما حراها فعامر
ابن الطفيل وعيمينة بن الحرث بن شهاب التيمي ، وأما عبدَّها فعنتره وسليك ،
ثم سأله عن الحرب فقال : سألت عنها خيرا ، هي : والله يا أمير المؤمنين مرة
المذاق ، إذا شمِرت عن ساق ، من صبر فيها ظفر ، ومن ضعف فيها هلك ،
قلت : ولقد أحسن واصفها وأجاد : —

الحرب أول ماتكون فتية تبدو بزيتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشبَّ ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للثم والتقبيل
ثم سأله عن السلاح ، فأخبره حتى بلغ السيف ، قال : هنالك قارعتك
أمك عن شكلها ، فعلاه عمر بالدرة ، وقال : بل أمك قارعتك ، والله إني
لأهم أن أقطع لسانك ، فقال : الحمى أضرعتني اليوم ، وخرج من عنده
وهو يقول : —

أتوعدني كأنك ذورعين بأنعم عيشة أوذو نواس
فكم قد كان قبلك من مليك عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا ، وأمسى ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك ملكك كل ملك يصير مذلة بعد الشمس
قال : فاعتذر عمر إليه ، وقال : ما فعلت ما فعلته إلا لتعلم أن الاسلام أفضل
وأعز من الجاهلية ، وفضله على الوفد

وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك ، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها
فى الجاهلية ، فقال له عمر : يا عمرو ، هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبه
له ؟ قال : نعم ، والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحل
فى الاسلام ؟ لأحدثك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك . خرجت فى جريدة خيل
لبنى زبيد أريد الغارة ، فأتينا قوماسرة ، فقال عمر : كيف عرفت أنهم سراة ،
قال : رأيت مزودا وقدورا مكفأة وقباب آدم حمر ونعما كثيرا وشاء ، قال عمرو :
فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي وكان متبددا من البيوت ، وإذا
امرأة بادية الجمال على فرش لها ، فلما نظرت إلى وإلى الخيل استعبرت ، فقلت :
ما يبكيك ؟ قالت : والله ما أبكى على نفسى ، ولكنى أبكى حسدا لبنات عمى
يسلمن وأبتلى أنا من بينهن ، فظننت والله أنها صادقة ، فقلت : وأين هن ؟
قالت : فى هذا الوادى ، فقلت لأصحابى : لا تحدثوا شيئا حتى آتيكم ، ثم هزمت

عمرو بن
معدى كرب
وربيعة بن
مكدم

فرسى حتى علوت كثيبا ؛ فاذا أنا بعلام أصهب الشعر أهدب أقنئ أقب يخصف
نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده ، فلما نظر إلى رمى النعل من يده ثم أحضر
غير مكترث ، فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية ، فلما نظر إلى الخيل محيطة ببيته
ركب ، ثم أقبل نحوى وهو يقول : —

أقول لما منحتني فاها وألبستني بكره رداها
إني سأحوى اليوم من حواها فليت شعري اليوم من دهاها
فحملت عليه وأنا أقول :

عمرؤ على طول الردى دهاها بالخليل تتبعها على هواها
* حتى إذا حل بها حواها *

فاذا هو أزوغ من هر ، فزاع غنى ، ثم حمل على فضر بني بسيفه ضربة
جرحني ، فلما أقت من ضربتي حملت عليه ، فزاع والله ، ثم حمل على ، ثم
صرعني ، ثم استاق ما في أيدينا ، ثم استويت على فرسى ، فلما رآني أقبل
وهو يقول : —

أنا عبيد الله محمود الشيم وخير من يمشى بساق وقدام
عدوه يفديه من كل السقم

فحملت عليه وأنا أقول : —

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصم أنا ابن ذى الإكليل قتال البهم
من يلقى يودى كما أودى إرم أتركه لحما على ظهر وضم
فزاع والله غنى ، ثم حمل على فضر بني ضربة أخرى ، ثم صرخ صرخة ،
ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء ، وخفته خوفا لم أخف قط
أحدا مثله ، وقلت له : من أنت شككتك أمك ؟ فوالله ما اجتأ على أحد قط
إلا عامر بن الطفيل لإعجابه بنفسه ، وعمرؤ بن كلثوم لسنه وتجربته ، فمن أنت ؟
قال : بلى من أنت ؟ خبرنى وإلا قتلتك ، قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، قال :
وأنا ربيعة بن مكدم ، قلت : اختر منى إحدى ثلاث خصال : إن شئت اجتلدنا

بسيّفين حتى يموت الأعجز منا ، وإن شئت اضطرعنا ، وإن شئت السلم ، وأنت يا ابن أخي حدث قد جرحتنى جراحتين ولا يزالان بي ، فوالله ما كف غي حتى نزلت عن فرسى ، فأخذ بعنانه ، ثم أخذ بيدي في يده وانصرفنا إلى الحى وأنا أجز رجلى ، حتى طلعت علينا الخيل ، فلما رأوني غمزوا خيولهم إلى فناديتهم إليكم ، وأرادوا ربيعة ، فمضى والله كأنه ليث حتى شقهم ، ثم أقبل على فقال : يا عمرو ، لعل أصحابك يريدون غير الذى تريد ، فصمت والله القوم ما فيهم أحد ينطق ، وأعظموا ما رأوا منه ، فقالت : يا ربيعة بن مكرم لا يريدون إلا خيرا ، وإنما سميته ليعرفه القوم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : وما نريد ؟ قد جرحت فارس العرب ، وأخذت سيفه وفرسه ، ومضى ومضيئا معه ، حتى نزل ، فقامت إليه صاحبتة وهى ضاحكة تمسح وجهه ، ثم أمر بابل فنحرت ، فضربت علينا قباب ، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعه لم أر مثلاً قط ، قال : أما لو كان عندى بعضها ما لبثت فى الدنيا إلا قليلا ، فضحك وما ينطق أحد من أصحابى ، فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا

قال : وقد كان عمرو بن معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة فى صناديد قومه ، فأخذ غنائمهم ، وأخذ امرأة ربيعة بن مكرم ، فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد ، فركب فى الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان ، حتى لحقه ، فلما نظر إليه قال : يا عمرو ، خل عن الظعينة وما معك ، فلم يلتفت إليه ؛ ثم أعاد إليه ، فلم يلتفت إليه ، فقال : يا عمرو ، إما أن تتقف ، فوقف عمرو ، وقال : لقد أنصف القارة من رامها ، قف لى يا ابن أخى ، فوقف له ربيعة ، فحمل عليه عمرو وهو يقول : —

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق لست بمأمون ولا فى حرق
وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال عصهم ناب الفرق
وجدتنى بالسيف هتاك الخلق

حتى إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو لبب لفرسه ، وممر السنان على ظهر الفرس ، ثم وقف له عمرو ، فحمل عليه ربيعة وهو يقول : -

أنا الغلام ابن الكنانى لا بذخ كم من هز برقد رآنى فانشدخ
فقرع بالرمح رأسه ، ثم قال : خذها إليك يا عمرو ، ولولا أنى أكره قتل
مثلك لقتلتك ، فقال عمرو : لا ينصرف إلا أحدنا ، فقفلى ، فحمل عليه حتى
إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه ، ثم حمل عليه ربيعة فقرع
بالرمح رأسه أيضا ، وقال : خذها إليك يا عمرو ثانية ، وإنما العفو مرتان ،
وصاحت به امرأته : السنان لله درك ، فأخرج سنانا من مسبج إزاره كأنه شعلة
نار ، فركبه على رحله ، فلما نظر إليه عمرو ، وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو :
خذ الغنيمة ، قال : دعها وانج ، فقالت بنوز بيد : أنترك غنيمتنا لهذا الغلام ؟
فقال لهم عمرو : يا بنى زبيد ، والله لقد رأيت الموت الأحمر فى سنانه ، وسمعت
صريره فى تركيبه ، فقالت بنوز بيد : لا يتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد
فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام ، قال عمرو : إنه لا طاقة
لكم به ، وما رأيت مثله قط ، فانصرفوا عنه ، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة
وعاد إلى قومه

قال المسعودى رحمه الله تعالى : ولعمربن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار
كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية إلى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم
وسير فى الاسلام وأخبار وسياسات حسان ، وما كان فى أيامه من الكوائن
والأحداث وفتوح مصر ، قد أثبتنا على مبسوطها فى كتابنا « أخبار الزمان »
والكتاب الأوسط ، وإنما نذكر فى هذا الكتاب لماعما لم نذكره فيما سلف من
كتبنا ، وبالله التوفيق

ذكر خلافة عثمان بن عفان

رضى الله تعالى عنه

بوقع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين ، وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع ، إلى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ، فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام ، وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ، ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب ، وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة إلا ثمانية أيام^(١)

ونذكر نسبه ، ولما من اخباره وسيره

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، نسبه من جهة
أبيه وأمه
ويكنى بأبى عبد الله ، وأمه أروى بنت بكر بن جابر بن حبيب بن عبد شمس ، وذكر أولاده
وكان له من الولد عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، أمهما رقية بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وأبان ، وخالد ، وسعيد ، والوليد ، والمغيرة ، وعبد الملك ،
وأم أبان وأم سعيد وأم عمر^(٢) وعائشة ، وكان عبد الله الأكبر يلقب بالظرف^(٣)
لجماله وحسنه ، وكان كثير الزوج كثير الطلاق ، وكان أبان أبرص أحول ، قد
حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن ، وولى لبنى مروان مكة وغيرها ،
وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون ، وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران
عليه مصبغات واسعة ، وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك في
عينه فكان ذلك سبب موته ، وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له

(١) ثبتت هذه العبارة فى الأصول ، وهى مكررة مع ما ذكر قبلها
بسطر واحد .

(٢) لم يذكر عمر فى الدين ذكرهم من أولاده (٣) لعله « بالظريف »

أخلاقه

وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد ،
فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته ، وتأسوا [به] في فعله ، وبنى داره في
المدينة ، وشيدها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والعرعر ، واقتنى
أموالا وجنانا وعبونا بالمدينة

ثروته

وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون
ومائة ألف دينار وألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها
مائة ألف دينار ، وخلف خيلا كثيرا وإبلا

الزبير بن
العوام وثروته

وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور : منهم الزبير بن
العوام ، بنى داره بالبصرة ، وهى المعروفة فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة — تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهات من البحرين
 وغيرهم ، وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية ، وما ذكر من دوره
وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس ،
وألف أمة ، وخطط بحيث ذكرنا من الأمصار

طلحة بن عبيد
الله التيمى
وثروته

وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى : ابنتى داره بالكوفة المشهورة به هذا
الوقت ، المعروفة بالكناس بدار الطلحتين ، وكان غلته من العراق كل يوم ألف
دينار ، وقيل أكثر من ذلك ، وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا ، وشيد داره
بالمدينة ، وبنها بالآجر والجص والساج

عبد الرحمن
ابن عوف
وثروته

وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ابنتى داره ووسعها ، وكان على
مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من الغنم ، وبلغ بعد وفاته ربع
ثمان ماله أربعة وثمانين ألفا

سعد بن أبى
وقاص

وابنتى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق ؛ فرفع سمكها ، ووسع فضاءها ،
وجعل أعلاها شرفات

وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمه مائة ألف دينار

وابتني المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها محصنة الظاهر والباطن ومات يعلى بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار ، وديونا على الناس ، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه ، فيمن تملك من الأموال في أيامه ، ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة

وحج عمر فأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر دينارا ، وقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا ، ولقد شكنا الناس أميرهم سعد بن أبي وقاص - وذلك في سنة إحدى وعشرين - فبعث عمر محمد بن مسلمة الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، فخرق عليه باب قصر الكوفة ، وجمعهم في مساجد الكوفة يسألهم عنه ؛ فحمده بعضهم ، وساءه بعض ، فعزله وبعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر ، وعثمان بن حنيف على الخراج ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وفرض لهم في كل يوم شاة : فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر ، والشرط الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف ، فأين عمر ممن ذكرنا وأين هو وعن وصفنا وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وعمه مروان وغيرهما من بني أمية - ومروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غربه عن المدينة ، ونفاه عن جواره - وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ، وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح

زيد بن ثابت
و ثروته

يعلى بن أمية
و ثروته

شدة عمر بن
الخطاب في
مصلحة الرعية

بعض عمال
عثمان على
الأمصار

على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ،
وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة ، وولاهما سعيد بن العاص .

وكان السبب في صرف الوليد وولاية سعيد - على ماروى - أن الوليد بن
عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح ، فلما آذنه المؤذنون

الوليد بن عقبة

بالصلاة خرج منفصلا في غلائله ، فتقدم إلى الحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم
أربعا ، وقال : تريدون أن أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال :
اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ماتريد لازادك
الله من الخير ^(١) ، والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميرا ، وكان هذا
القائل عتاب بن غيلان الثقفي .

وخطب الناس الوليد فخصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ،
ويتمثل بأبيات لتأبط شرا : —

ولا بصفا صلد عن الخير معزل ولست بعيدا عن مدام وقينة
وأمشى الملا بالساحب المتسلسل ولكنني أروى من الخمرهامتي
وفي ذلك يقول الحطيئة : —

أن الوليد أحق بالعدر شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
أأزيدكم ؟ ! ثملا وما يدرى نادى وقد تمت صلاتهم
لقرنت بين الشفع والوتر ليزيدهم أخرى ولو قبلوا
خلوا عنانك لم تزل تجرى حبسوا عنانك في الصلاة ولو

وأشاعوا بالكوفة فعله ، وظهر فسقه ومدامته شرب الخمر ، فهجم عليه جماعة
من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي وأبو جندب بن زهير الأزدي
وغيرهما ، فوجدوه سكران مضطجعا على سريريه لا يعقل ، فأيقظوه من رقدته ،
فلم يستيقظ ، ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر ، فانتزعوا خاتمه من يده
وخرجوا من فورهم إلى المدينة ، فأتوا عثمان بن عفان ، فشهدوا عنده على

الوليد أنه شرب الخمر ، فقال عثمان : وما يدريكما أنه شرب خمرًا ؟ فقالا : هي الخمر التي كننا نشربها في الجاهلية ، وأخرجنا خاتمه فدفعاه إليه ، فرزأهما ودفع في صدورهما ، وقال : تنحيا عني ، فخرجا وأتيا على بن أبي طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة ، فأتى عثمان وهو يقول : دفعت الشهود ، وأبطلت الحدود ، فقال له عثمان : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك ؛ فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد ، فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة ، فألقى عثمان السوط إلى على ، فقال على لابنه الحسن : قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه ، فقال : يكفيه بعض ما ترى ، فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقربائه منه أخذ على السوط ودنا منه ، فلما أقبل نحوه سبه الوليد ، وقال : يا صاحب مكس ، فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر : إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت ، وأنت عالج من أهل صفورية - وهي قرية بين عكة واللجون ، من أعمال الأردن ، من بلاد طبرية ، كان ذكر أن أباه كان يهوديا منها - فأقبل الوليد يزوغ من على ، فاجتذبه فضرب به الأرض ، وعلاه بالسوط ، فقال عثمان : ليس لك أن تفعل به هذا ، قال : بلى ، وشر من هذا إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه

وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص ، فلما دخل سعيد الكوفة واليا أبي سعيد بن العاص أن يصعد المنبر حتى يغسل ، وأمر بغسله ، وقال : إن الوليد كان نجسا رجسا ، فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة ، واشتبه بالأموال ، وقال في بعض الأيام وكتب به إلى عثمان : إنما هذا السواد فطير لقريش ، فقال له الأشر وهو مالك ابن الحارث النخعي : أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاننا لك ولقومك ؟ ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكبا من

أهل الكوفة ، فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص ، وسألوا عزله عنهم ، فسكت
الأشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء ، وامتدت أيامهم
بالمدينة ، وقدم على عثمان أمراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح
من مصر ومعوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص
من الكوفة ، فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم إلى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا
إلى الكوفة ، وكره أن يعزله ، حتى كتب إليه من أمصارهم يشكون كثرة الخراج
وتعطيل الثغور ، فجمعهم عثمان وقال : ما ترون ؟ فقال معاوية : أما أنا فراض
بى جندى ، وقال عبد الله بن عامر بن كريز : ليكفك امرؤ ما قبله أكفك
ما قبلى ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ليس بكثير عزل عامل للعامة
وتولية غيره ، وقال سعيد بن العاص : إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة
هم الذين يولون ويعزلون ، وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الأحاديث
والخوض ، فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر دابته ،
قال : فسمع مقاتله عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد ، فاذا طلحة والزبير جالسان
فى ناحية منه ، فقالا له : إيلينا ، فصار إليهما ، فقالا : فما وراءك ؟ قال : الشر ،
ما ترك شيئا من المنكر إلا أتى به وأمر به ، وجاء الأشتر فقالا له : إن عاملكم
الذى قمتم فيه خطباء قدر رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا ، فقال
الأشتر : والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء ، فكيف وقد قمنا ؟ !
وايم الله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى
أمنعه دخولها ، فقالا له : فعندنا حاجتك التى تقوتك فى سفرك ، قال : فأسلفانى
إذا مائة ألف درهم ، قال : فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم ، فقسما
بين أصحابه ، وخرج إلى الكوفة ، فسبق سعيدا ، وصعد المنبر وسيفه فى عنقه
ما وضعه بعد ، ثم قال : أما بعد ، فإن عاملكم الذى أنكرتم تعديده وسوء
سيرته قد رد عليكم ، وأمر بتجهيزكم فى البعوث ، فبايعونى على أن لا يدخلها ،

فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة ، وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة ، فلقى سعيدا بواقصة ، فأخبره بالخبر ، فانصرف إلى المدينة ، وكتب الأشر إلى عثمان : إنا والله ما منعنا عاملك إلا ليفسد عليك عملك ، وكل من أحببت . فكتب إليهم : انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه ، فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعري ، فوّلوه

أسباب
الانكار
على عمان

وفي سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه ، وظهر عليه النكير ؛ لأشياء ذكروها من فعله منها ما كان بدنه وبين عبد الله بن مسعود ، وانحراف هذيل عن عثمان من أجله

ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب ، وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله

ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل أنواعا من الشعبة والسحر يعرف بمطروى ، فأحضره [هـ] فأه في المسجد ضربا من التخيل ، وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ، ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل ، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل ، وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن ، وعلم أن ذلك هو ضرب من التخيل والسحر ، فاختلط سيفه وضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه ، وقال : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وقد قيل : إن ذلك كان نهارا ، وإن جندبا خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ

سيفاً ودخل فضرب به عنق اليهودى ، وقال : إن كنت صادقاً فأحى نفسك ،
فأنكر عليه الوليد ذلك ، وأراد أن يقيده به ، فمنعه الأزد ، فبسه ، وأراد قتله
غيلةً ، ونظر السجان إلى قيامه ليله إلى الصبح فقال له : انج بنفسك ، فقال له
جندب : تقتلنى ، قال : ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من
أولياء الله ، فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده ، فسأل السجان
فأخبره بهر به ، فضرب عنق السجان ، وصلبه بالكناس

أبو ذر وعثمان

ومن ذلك ما فعل بأبى ذر ، وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان :
أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره ؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع
أبو ذر فى صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودى ، ثم تلا (ليس البر أن
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - الآية) فقال عثمان : أترون بأساً أن نأخذ
مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال كعب :
لا بأس بذلك ، فرفع أبو ذر العصا فدفع بهأى صدر كعب ، وقال : يا ابن اليهودى ،
ما أجراك على القول فى ديننا ! فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لى ! غيب وجهك
عنى فقد آذيتنى ، فخرج أبو ذر إلى الشام ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا
ذر تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فإن كان لك فى القوم حاجة
فاحمله إليك ، فكتب إليه عثمان بحمله ، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه
خمسة من الصقالبة يطيطون به ، حتى أتوا به المدينة قد تساخت بواطن أفخاذها
وكاد أن يتلف ، فقبل له : إنك تموت من ذلك ، فقال : هيهات لن أموت حتى
أنفى ، وذكر جوامع ما نزل به بعد ، ومن يتولّى دفنه ، فأحسن إليه فى داره أياماً ،
ثم دخل إليه مجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء ، وذكر الخبر فى ولد أبى العاص
إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومر فى الخبر بطوله ، وتكلم
بكلام كثير ، وكان فى ذلك اليوم قد أتى عثمان بركة عبد الرحمن بن عوف
الزهرى من المال ، فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال

عثمان : إني لأرجو لعبد الرحمن خيرا ؛ لأنه كان يتصدق ، ويقرى الضيف ، وترك ماترون ، فقال كعب الأحبار : صدقت يا أمير المؤمنين ، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ، ولم يشغله ما كان فيه من الألم ، وقال : يا ابن اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال : إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ، وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يسرنى أن أموت وأدع ما يزن قيراطا » فقال له عثمان : وأرعننى وجهك ، فقال : أسير إلى مكة ، قال : لا والله ، قال : فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت ، قال : إى والله ، قال : فى الشام ؛ قال : لا والله ، قال : البصرة ، قال : لا والله ، فاختر غير هذه البلدان ، قال : لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ، ولو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرنى حيث شئت من البلاد ، قال : فأنى مسيرك إلى الربة ، قال : الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أخبرنى بكل ما أنا لاق ، قال عثمان : وما قال لك ؟ قال : أخبرنى بأنى أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربة ، ويتولى مواردى نفر من يردون من العراق نحو الحجاز ، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته - وقيل : ابنته - وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربة ، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها طلع عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن يسار ، فاعترض مروان فقال : يا على ، إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أباذر فى مسيره ويشيعوه ، فان كنت لم تدبر بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه على بن أبى طالب بالسوط بين أذنى راحلته ، وقال : تنح نحاك الله إلى النار ، ومضى مع أبى ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف ، فلما أراد على الانصراف بكى أبو ذر ، وقال : رحمكم الله أهل البيت ، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدت ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكروا من إلى عثمان ما فعل به على بن أبى طالب ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من على ، رد رسولى عما وجهته له ، وفعل

الجفاء بين
على وعثمان

كذا ، والله لنعطينه حقه ، فلما رجع على استقبله الناس ، فقالوا له : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر ، فقال علي : غضب الخيل على العجم ، ثم جاء فلما كان بالمشي جاء إلى عثمان فقال له : ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت على وردت رسولى وأمرى ؟ قال : أما مروان فانه استقبلنى يردنى فردته عن ردى ، وأما أمرك فلم أرد ، قال عثمان : أولم يبلغك أنى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه ، فقال علي : أوكل ما أمر تنابه من شىء يرى طاعة الله والحق فى خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل ، قال عثمان : أقدم مروان ، قال : وما أقيده ؟ قال : ضربت بين أذنى راحلته ، قال علي : أما راحلتى فمى تلك فان أراد أن يضر بها كما ضربت راحلته فليفعل ، وأما أنا فوالله لئن شتمنى لأشتمنك أنت مثلاً بما لا أكذب فيه ، ولا أقول إلا حقاً ، قال عثمان : ولم لا يشتمك إذ شتمته ؟ فوالله ما أنت عندى بأفضل منه ؟ فغضب علي بن أبى طالب ، وقال : ألى تقول هذا القول ؟ وبمروان تعذلى ؟ فأنا والله أفضل منك ، وأبى أفضل من أبيك ، وأمى أفضل من أمك ، وهذه نبلى قد نثلتها ، وهلم فأقبل بنبلك ، فغضب عثمان واحمر وجهه ، فقام ودخل داره ، وانصرف علي ، فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار

فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكاً إليهم علياً وقال : إنه يعينى ويظاهر من يعينى ، يريد بذلك أبازر وعمار بن ياسر وغيرهما ، فدخل الناس بينهما وقال له علي : والله ما أردت تشييع أبى ذر إلا لله .

عمار بن
ياسر والمقداد
ابن عمرو
يظاهرون
على بنى أمية

وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفيان صخر بن حرب فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان : أفيكم أحد من غيركم ؟ وقد كان عمى ، قالوا : لا ، قال : يابنى أمية ، تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثه ، فانهز به عثمان ، وساء ما قال ، ونمى هذا القول إلى المهاجرين

والأنصار ، وغير ذلك من الكلام ، فقام عمار في المسجد فقال : يا معشر قريش ، أما إذ صرقتُم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أودى به أهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إني والله لأحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس ، أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالي إياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتيننا على ذكره في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار الشورى والدار .

قدوم الثائرين
على عثمان من
الأمصار

ولما كان سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مائتي رجل ، وحكيم بن جبلة العبدى في مائة رجل من أهل البصرة ، ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس الشلوى ، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة ، إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الجموح الخزاعي وسودان بن أحمد التجيبي ، ومنهم محمد بن أبي بكر الصديق ، وقد كان تكلم بمصر وحرص الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم ، فنزلوا في الموضع المعروف بخُشْب ، فلما علم عثمان بنزولهم بعث إلى علي بن أبي طالب فأحضره ، وسأله أن يخرج إليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة ، فسار على إليهم ، فكان بينهم خطب طويل ، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا ، فلما صاروا إلى الموضع المعروف بحمس إذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة ، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، فقررروه ، فأقر وأظهر كتابا إلى ابن أبي سرح صاحب مصر « إذا قدم

عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلانا ، وافعل بفلان كذا ، وأحصى أكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر « وعلم القوم أن السكتاب بخط مروان ، فرجعوا إلى المدينة ، واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ، ونزلوا المسجد وتكلموا ، وذكروا ما نزل بهم من عاملهم ، ورجعوا إلى عثمان فحصره في داره ، ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس وقال : ألا أحد يسقينا ، وقال : بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » ؟ ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية أو إسلام ، فبلغ عليا طلبة للماء ، فبعث إليه بثلاث قرب ماء فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى أمية ، وارتفع الصوت وكثر الضجيج ، وأحدقوا بداره بالسلاح ، وطالبوه بمروان ، فأبى أن يخلى عنه ، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها ، وهذيل لأنه كان منها ، وبنو مخزوم وأحلافها لعمار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا ، فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمدا ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آبائهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصدوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهام ، واشتبك القوم ، وجرح الحسن ، وشج قنبر ، وجرح محمد بن طلحة ، فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم في القتال على الباب ، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار قسَّروا عليها ، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران ، وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال ، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته ، فقال : يا محمد ، والله لو رأيك أبوك لساء مكانك ، فتراخت يده ، وخرج عنه إلى الدار ، ودخل رجلان فوجداه ققتلاه ، وكان المصحف بين يديه

حصار الثوار
دار عثمان

يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية ، فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه ، فبكوا فبلغ ذلك عليا وطاحه والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين والأنصار فاسترجع القوم ، ودخل على الدار ، وهو كالواله الحزين ، فقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنجا على الباب ؟ ولطم الحسن ، وضرب الحسين ، وشتم محمد بن طاحه ، ولعن عبد الله بن الزبير ، فقال له طاحه : لا تضرب يا أبا الحسن ، ولا تشتم ، ولا تلعن ، لو دفع مروان ما قتل . وهرب مروان وغيره من بني أمية ، وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة : من قتله وأنت كنت معه ؟ فقالت : دخل إليه رجلان ، وقصت خبر محمد بن أبي بكر ، فلم ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فلما خاطبني بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجاءين عنى ، والله ما كان لى فى قتله سبب ، ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله

وكان مدة ما حاصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما ، وقيل أكثر من ذلك .

وقتل فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة ، وذكر أن أحد الرجلين كنفانة بن بشر التجيبى ، ضربه بعمود على جبهته ، والآخر منهما سودان بن حمران المرادى ، ضربه بالسيف على حبل عاتقه فله

وقد قيل : إن عمرو بن الحمق طعنه بسهم تسع طعنات ، وكان فيمن مال عليه عمير بن ضائب البرجمى التميمى ، وخضخض بسيفه بطنه

ودفن على ما وصفنا فى الموضع المعروف بحش كوكب ، وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ، ويعرف أيضا بحل ، وصلى عليه جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة

ولما حاصر عثمان كان أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه يصلى بالناس ، ثم

مقتل عثمان

قتله عثمان

مدفن عثمان
والذين صلوا

عليه
الذين صلوا
بالناس أيام

حصار عثمان

امتنع ، فصلى بهم سهل بن حنيف ، فلما كان يوم النحر صلى بهم على ،
وقيل : إن عثمان قتل ومعه في الدار من بنى أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان
ابن الحكم

وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة : —

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيلا التجبي الذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو
وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الأنصار وغيرهم وأعان
على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات : —

خذلته الأنصار إذ حضر المو ت وكانت ولاية الأنصار
من عذيري من الزبير ومن طلحة إذ جاء أمر له مقدار
فتولى محمد بن أبي بكر رعيانا وخلفه عمار
في شعره طويل يذكر فيه غير من ذكرنا ، وينسبهم إلى التماؤ على
قتله والرضا بما فعل به ، والله أعلم ، وكان حسان عثمانيا منحرفا عن غيره ، وكان
عثمان إليه محسنا ، وهو المتوعد للأنصار في قوله في شعره : —

يأليت شعري ولت الطير تخبرني ما كان شأن علي وابن عفا
لنسمعن وشيكا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمان
وكان عثمان رضى الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها ما لا
يعرف غيرها منه ، وهى : —

تقنى اللذادة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
يلقى عواقب سوء من مخبتها لا خير في لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه ، فسمع في الليلة الثانية
من مقتل عثمان يندبه وهو يقول : —

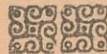
بنى هاشم ، إيه فما كان بيننا وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه

بنى هاشم رُدُّوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرآزبه
وهى أبيات

فأجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بنى هاشم ونسب إليهم الفضل بن العباس
ابن أبي لهب فقال : —

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا فهم سلّبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد على وفى كل المواطن صاحبه
على ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صيفورمارح فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق فمالك في الاسلام سهم تطالبه

قال المسعودى رحمه الله : ولعثمان أخبار وسيرو ما أثر حسان قد أتينا على
ذكرها فى كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وكذلك ما كان فى
أيامه من الكوائن والأحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم ، والله ولى
التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



ذكر خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

بويح علي بن أبي طالب في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً ، وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ما ذكرنا في خلافته ، وكان مولده في الكعبة ، وقيل : إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال ، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا ، وقد تنوزع في موضع قبره : فمنهم من قال : إنه دفن في مسجد الكوفة ، ومنهم من قال : إنه حمل إلى المدينة فدفن عند فاطمة ، ومنهم من قال : حمل في تابوت على جمل وإن الجمل تاه ووقع إلى وادي طيء ، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا في « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ونذكر نسبه ولما من أخباره وسيره

موضع قبره على

نسبه من جهة
أبيه وأمه

وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى أبا الحسن ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه على غيره ، والمكتفى بالله على بن المعتض ، وكان أول من ولد هاشمياً من الخلفاء ، وقد قيل : إنه بويح البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام ، وقد ذكرنا البيعة الأولى فيما سلف من هذا الكتاب ، وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه ، ووكد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان ، فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاخنة وحامنة لأب وأم ، أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وبين كل واحد من البنين عشر سنين : بين جعفر وعلي عشر سنين ، وبين جعفر وعقيل عشر سنين ، وبين عقيل

إخوته

وطالب عشر سنين ، وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ، ومضى ولم يعرف له خبر ، وحفظ من قوله هذا اليوم : —

يا رب إما خرّجوا بطالب في مقنّب من تلکم المقنّاب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب
وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عابد بن عمر^(١)
ابن مخزوم ، وخلف عليها ابنا و بنتا ، وهاجرت ، ومات زوجها بنجران مشرّبا
وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة : —

أشأقتك هند أم ناك سؤاها كذاك النوى أسبابها وانتقأها
وأرّقتي في رأس حصن ممرّد بنجران يسرى بعد نوم خياها
فإنّ لك قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها
وهي طويلة ، وكانت تسكنى أم هانئ ، وقد استعمل على — حين أفضت
الخلافة إليه — ابنها جعدة بن هبيرة ، وجعدة هو القائل : —

وإني من مخزوم إن كنت سائلا ومن هاشم أمي خير قبيل
فمن ذا الذي ينأى على بخاله وخالي على ذو الندى وعقيل

وحانة بنت أبي طالب كان بعلمها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وهي أول هاشمية ولدت بها شمي ، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها ، وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسيره على إلى البصرة في سنة ست وثلاثين ، وفيها كانت وقعة الجمل ، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى منها ، وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا ، وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف ، وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين : فمن مقلل ومكثر ؛ فالمقل يقول :

(١) في بعض الأصول « بن عمرو بن مخزوم »

قتل بينهم سبعة آلاف ، على حسب ميل الناس وأهواؤهم إلى كل فريق منهم ، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد

ثبت الحوادث وتواريخها وقيل : إنه كان بين خلافة علي إلى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وبين دخول علي إلى الكوفة وبين

التقاء مع معاوية للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما ، وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما

وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا ، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا : منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة

وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكيم وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بأرض البلقاء من أرض دمشق ، وقيل : بدومة الجندل ، وهى على عشرة أميال من دمشق ، وكان من أمرها ما قد شهر ، وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة حلت الخوارج ، وهم الشراة

وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار ، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة ، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة

شهود وقائعه
من الصحابة

القاعدون

عن بيعته

من الصحابة

وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج ، وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر : منهم سعد بن أبي وقاص ،

وعبد الله بن عمر ، وبائع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ، ومنهم
قدامة بن مظعون ، ووهبان بن صيفي ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة
الثقفي ، ومن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وكانا
شاعرين ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسleme حليف بن عبد الأشهل ، وفضالة
ابن عبيد ، وكعب بن عجرة ، ومسleme بن خالد ، في آخرين ممن لم نذكرهم من
العثمانية من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم

وانتزع على أملاكا كانت لعمان أقطعها جماعة من المسلمين ، وقسم ما في
بيت المال على الناس ، ولم يفضل أحدا على أحد ، وبعث أم حبيسة بنت
أبي سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير
الأنصاري ، واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الأمصار ، وكانت أهل
الكوفة أسرع إجابة إلى بيعته ، وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري ،
حتى تكاثر الناس عليه ، وكان عليها عاملا لعمان

وأناه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية : منهم سعيد بن العاص ،
ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فجری بينه وبينهم خطب
طويل ، وقال له الوليد : إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ، لكننا قوم
وترنا الناس ، وخفنا على نفوسنا ، فعذرنا فيما نقول واضح ، أما أنا فقتلت أبي
صبرا ، وضربتني حدا ، وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا ، وقال له الوليد :
أما سعيد فقتلت أباه صبرا ، وأهنت مشواه ، وأما مروان فانك شتمت أباه ،
وكبت عثمان في صنعه إياه

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك
والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب
ابن مالك : يا أمير المؤمنين ، ليس مسيئا من أعتب ، وخير كفء ما محاه عذر ،
في كلام كثير ، ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا .

عمرو بن
العاص

وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتولية مصر غيره ،
فنزّل الشام ، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة على كتب إلى معاوية
يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان ، وكان فيما كتب به إليه : ما كنت صانعا
إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع ، فبعث إليه معاوية ، فسار
إليه ، فقال له معاوية : يا بني ، قال : والله لا أعينك من ديني حتى أنال من
ديناك ، قال : سل ، قال : مصر طعمة ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له به كتابا ،
وقال عمرو بن العاص في ذلك : —

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دُنْيَا فأنظرن كيف تصنع
فان تُعطيني مصرا فأربح صفقة أخذت بها شيئا يضر وينفع
وأنت المغيرة بن شعبه عليا فقال له : إن حق الطاعة النصيحة ، وإن الرأي
اليوم تحوز به ما في غد ، وإن التصارع اليوم تضيع به ما في غد ، أقرر معاوية
على عمله ، وأقرر ابن عامر على عمله ، وأقرر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتتك
طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت ، قال : حتى أنظر ، فخرج من عنده
وعاد إليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس برأي وتعقبته ، وإنما الرأي
أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل أمرك ، ثم خرج فتلقاء ابن
عباس خارجا وهو داخل ، فلما انتهى إلى علي قال : رأيت المغيرة خارجا من عندك
فقيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس بكيت وكيت ، وجاءني اليوم بذيت وذيت ،
فقال : أما أمس فقد نصحتك ، وأما اليوم فقد غشك ، قال : فما الرأي ؟ قال :
كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان ، أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك
فتغلق عليك بابك فان العرب كانت لجائلة مضطرة في أترك لا تجد غيرك ، فأما
اليوم فان بني أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبه من هذا الأمر ويشبهون
فيك على الناس ، وقال المغيرة : نصحته فلم يقبل فعششته ، وذكر أنه قال :

المغيرة بن
شعبه

وأما أنا فنصحتته قبلها ولا أنصحه بعدها

قال المسعودي : وجدت في وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال : قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال ، فجيئت عليا أدخل عليه ، فقيل لي : عنده المغيرة بن شعبه ، فجلست بالباب ساعة ، فخرج المغيرة فسلم علي وقال : متى قدمت ؟ قلت : الساعة ، ودخلت علي علي وسلمت عليه فقال : أين لقيت الزبير وطلحة ؟ قلت : بالنواصف ، قال : ومن معهما ؟ قلت : أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش ، فقال علي : أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة عثمان ، فقلت : أخبرني عن شأن المغيرة ، ولم خلا بك ؟ قال : جاءني بعد مقتل عثمان يومين فقال : أخلى^(١) ، ففعلت ، فقال : إن النصح رخيص ، وأنت بقية الناس ، وأنا لك ناصح ، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمل عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت ، فقلت له : والله لا أداهن في ديني ، ولا أعطى الرياء في أمري ، قال : فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولأه الشام كلها ، فقلت له : لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا ، فخرج من عندي على ما أشار به ، ثم عاد فقال : إني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت على فنظرت في الأمر وإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دنسة ؛ قال ابن عباس : فقلت له : أما أول ما أشار عليك فقد نصحتك ، وأما الآخر فقد غشك ، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقامه من منزله ، قال : لا والله لا أعطيه إلا السيف ، ثم تمثل

فما منه إن منها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غالها

(١) يريدكن معي في خلوة

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقل « الحرب خدعة » فقال على : بلى ، قلت : أما والله لئن أطعنتي لأصدرن بهم بعد ورود ، ولأتركهم ينظرون في آثارهم الأمور ولا يدرو ما كان وجهها ، من غير نقص لك ولا إثم عليك ، فقال : يا ابن عباس ، لست من هنيئات وهنيات معاوية في شيء يسير مالك عندي الطاعة والله ولي التوفيق

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه

وما كان فيه من الحرب وغيره

ودخل طلحة والزبير مكة ، وقد كانا استأذنا عليا في العمرة ، فقال : لعلكما تريدان البصرة والشأم ، فأقسما أمهما لا يقصدان غير مكة ، وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة ، وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها على الناس حارثة بن قدامة السعدى ، ومصير عثمان بن حنيف الأنصارى إليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه ، وانصرف عن اليمين عامل عثمان ، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة درهم وكراعا وسلاحا ، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان شراؤه عليه باليمين مائتى دينار ، فأرادوا الشأم ، فصدهم ابن عامر ، وقال : إن به معاوية ولا ينتقاد إليكم ولا يطيعكم ، لكن هذه البصرة لى بها صنائع وغدد ، فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك ، وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب ، فانتهوا فى الليل إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب ، عليه ناس من بنى كلاب ، فعوت كلابهم على الركب ، فقالت عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال لها السائق لجلها : الحوأب ، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك ، فقالت : ردوني إلى حرم

مسير طلحة
والزبير
وعائشة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاحاجة لى فى المسير ، فقال ابن الزبير : بالله ما هذا الحوآب ، ولقد غلط فيما أخبرك به ، وكان طلحة فى ساقية الناس ، فالحقها فاقسم أن ذلك ليس بالحوآب ، وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم ، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت فى الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان بن حنيف فمانعهم ، وجرى قتال ، قال : ثم إنهم اصطالحوا بعد ذلك على كف الحرب إلى قدوم على ، فلما كان فى بعض الليالى بيئتوا عثمان بن حنيف فأسروه وضرروه وנתفوا لحيته ، ثم إن القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل ابن حنيف وغيره من الأنصار ، فخلوا عنه ، وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون ، فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح ، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الأسر ، وهؤلاء أول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبرا ، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى ، وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساکها ، وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ، ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ، ومحمد بن طلحة يوما ، فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير إلى أن اتفقا على ما وصفنا .

مسير على
من المدينة

وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر ، وقيل غير ذلك ، فى سبعائة راكب منهم أربعائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرىا وباقيهم من الصحابة ، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصارى ، فانتهى إلى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة ، وفاته طلحة والزبير ، وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه إلى العراق فى طلبهم ، ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأتاه من طيء ستمائة راكب ، وكاتب على من الربذة أبا موسى الأشعرى ليستنفر الناس ، فقبضتهم أبو موسى ، وقال : إنما هى فتنة ، فمى ذلك إلى على ، فولى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصارى ، وكتب إلى أبى موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائد مذموما مدحورا ،

فما هذا أول يومنا منك ، وإن لك فيها لهفات وهنيات ، وسار على بمن معه حتى نزل بذي قار ، وبعث بابنه الحسن وعمار إلى الكوفة يستنفر الناس ، فساروا عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف ، وقيل : ستة آلاف وخمسة وستون رجلا ، فانتهى إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله ، فأبوا إلا قتاله .

وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلي الطف ، فأتى الزاوية ، فخرجت أنظر إليه ، فوردموك نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً معه راية وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم ، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر فى نحو ألف فارس ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزيم بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين ، ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميث معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً فى نحو ألف فارس من الناس ومعهم راية ، فقلت : من هذا ؟ فقيل لى : أبو قتادة بن ربعى ، ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديه ومن خلفه ، شديد الأدمة عليه سكينه ووقار رافع صوته بقرأة القرآن متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأنهم قد أوقفوا للحساب ، أثر السجود قد أثر فى جباههم ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبناءهم ، ثم مر فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء

دخول على
البصرة
وأنصاره من
الصحابة

متنكب قوسا متقلد سيفاً تخط رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان ، ثم مر بنا فارس على فرس أشهل مارأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سد لها بين يديه بلواء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن العباس في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين ، قلت : من هذا ؟ قيل : قثم بن العباس ، أو سعيد ابن العاص ، ثم أقبلت الموكب والرايات يقدم بعضها بعضاً ، واشتبكت الرايح ، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسرو جبر (قال ابن عائشة : وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسرو جبر) كأنما على رؤسهم الطير ، وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا علي بن أبي طالب ، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار

فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية ، فصلى أربع ركعات ، وعفّر خديه على التربة ، وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه يدعو : اللهم رب السموات وما أظلت ، والأرضين وما أقلت ، ورب العرش العظيم ؛ هذه البصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرها ، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين ، اللهم هؤلاء القوم قد دخلوا طاعتي ، وبنوا على ، ونكثوا بيعتي ، اللهم اخقن دماء المسلمين .

وبعث إليهم من يناديهم الله في الدماء ، وقال : علام يقاتلونني ؟ فأبوا إلا الحرب ، فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو إلى الله ، فرموه بسهم فقتلوه ، فحمل إلى علي وقالت أمه : —

ياربَّ إن مسلما أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحامه وأمه قائمة تراهم

وأمر على رضي الله عنه أن يصفوهم ، ولا يبدءوهم بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم ، ولا يطعنوهم برمح ، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل ، فقال على : اللهم اشهد ، وأعدروا إلى القوم

ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال : أيها الناس ، ما أنصفتكم بنيكم حيث كفتكم عتقاء تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف ، وعأشته على جل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع ، فدنا عمار من موضعها فنادى : إلى ماذا تدعينني ؟ قالت : إلى الطالب بدم عثمان ، فقال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لتعلمون أينما المماليء في قتل عثمان ؟ ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل : —

عمار بن ياسر
يدعو إلى حقن
الدماء

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام وقاتله عندنا من أمر
وتواتر عليه الرمي واتصل ، فحرك فرسه وزال عن موضعه ، فقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب ؟ !

فقام على رضي الله عنه فقال : أيها الناس ، إذا هزمتهم فلا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيرا ، ولا تتبعوا موليا ، ولا تطلبوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، ولا تهتكوا سترا ، ولا تقربوا من أموالهم إلا ما تجودونه

وصية على
لأصحابه قبل
الحرب

في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم
على كتاب الله

على يدعو
الزبير لقتاله

وخرج على نفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلاح
عليه ، فنادى : يا زبير ، اخرج إلى ، فخرج شاكا في سلاحه ، فقيل لعائشة ،
فقات : واحرباه بأسماء ، فقيل لها : إن عليا حاسر ، فاطمأنت ، واعتنق كل واحد
منهما صاحبه ، فقال له على : ويحك يا زبير ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال :
قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني
بياضة وهو راكب حمارة ، فضحك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضحكت
أنت معه ، فقلت أنت : يا رسول الله ، ما يدع على زهوه ، فقال لك : « ليس به
زهو ، أحبه يا زبير » ؟ فقلت : إني والله لأحبه ، فقال لك : « إنك والله ستقتاله
وأنت له ظالم » فقال الزبير : أستغفر الله ، لو ذكرت ما خرجت ، فقال : يا زبير
ارجع ، فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ؟ هذا والله العار
الذي لا يغسل ، فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار ، فرجع الزبير
وهو يقول : —

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى على بأمرك لست أجعله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت : حسبك من عدل أباحسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبد الله : أين تدعنا ؟ فقال : يا بني أذكرني أبو حسن بأمرك كنت
قد أنسيته ، فقال : لا والله ، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب ؟ فانها
طوال حداد ، تحملها فتية أنجاد ، قال : لا والله ، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر
فاخترت العار على النار ، أبا لجبن تعيرني لأبالك ؟ ثم أمال سناناه وشد في الميمنة
فقال على : أفرجوا له قمدها جوه ، ثم رجع فشد في اليسرة ، ثم رجع فشد في
القلب ، ثم عاد إلى ابنه ، فقال : أفعل هذا جبان ؟ ثم مضى منصرفا ، حتى أتى

انصرف الزبير
عن القتال

وادی السباع والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بنى تميم ، فأتاه آت فقال له : هذا الزبير مار ، فقال : ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فتيين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار إلى منزله سالما ؟! فلحقته ففر من بنى تميم ، فسبهم إليه عمرو بن جرموز ، وقد نزل الزبير إلى الصلاة ، فقال : أتؤمنى أو أؤمك ؟! فأمنه مقتل الزبير فأمنه الزبير ، فقتله عمرو في الصلاة ، وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة ، وقد قيل : إن الأحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه ، وقد رثته الشعراء وذكر كرت غدر ابن جرموز به ، ومن رثاه زوجته عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد ، فقالت : —

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مسدد
يا عمرو ، لو نهته لوجدته لاطأنا عرش الجنان ولا اليد
هبتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة التعمد
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله فيمن مضى من يروح ويغتدى
وأنى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل : إنه لم يأت برأسه ، فقال على : سيف طالما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه الجبن ومصارع السوء ، وقاتل ابن صفية في النار ، ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي : —

أتيت عاليا برأس الزبير وقد كنت أرجوه الزلفه
فبشّر بالنار قبل العيان وبئس بشارة ذى التحفه
أسيان عندى قتل الزبير وضربة عزبذى الجحفه

ثم نادى على رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ، ما الذى أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال على : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » وأنت أول من بايعنى ثم نكثت ، وقد قال الله عز وجل : (ومن نكث

على يعاتب
طلحة

فانما ينكث على نفسه) فقال : أستغفر الله ، ثم رجع ، فقال مروان بن الحكم :
 رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رَمَيْتُ ههنا أم ههنا ، فرماه في أكحله
 فقتله ، فربه على بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قره ، فوقف عليه ، فقال : إنا لله
 وإنا إليه راجعون ، والله لكنت كارها لهذا ، أنت والله كما قال القائل :

فَتَيَّ كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبْعِدُهُ الفقر
 كأن الثريا علقت في يمينه وفي خده الشعرى وفي الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول : —

ندامة هاندمت وضل حلمي ولهفي ثم لهف أبى وأمى
 ندمت ندامة الكسعى لما طلبت رضا بنى حزم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول : (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وقيل :
 إنه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبد الملك ورماه مروان في
 أكحله ، وقد وقع صريعا يجود بنفسه

وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر بن كعب بن سعيد
 ابن تيم الله ، وهو ابن عم أبى بكر الصديق ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الصعبة ، ابن عبيد الله
 وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب ، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه
 في أنساب قريش ، وقتل وهو ابن أربع وستين سنة ، وقيل غير ذلك ، ودفن
 بالبصرة ، وقبره ومسجده إلى هذه الغاية ، وقبر الزبير بوادى السباع

وقتل محمد بن طلحة مع أبيه في ذلك اليوم ، ومربه على فقال : هذا رجل
 قتله بره بأبيه وطاعته ، وكان يدعى بالسجاد ، وقد تنوزع في كنيته : فقال
 الواقدي : كان يكنى بأبى سليمان ، وقال الهيثم بن عدى : كان يكنى بأبى
 القاسم ، وفيه يقول قاتله : —

وأشعث سجاد بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
 شككت له بالرمح جيبَ قميصه فخرَّ صريعا لليدين وللغم

مقتل طلحة

ترجمة طلحة

مقتل محمد
 ابن طلحة

على غير شيء غير أن لَيْسَ تابعا علياً ومن لا يتبع الحق يَنْدَم
يَذْكُرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحُ شَارِعٌ^(١) فَهَلَّا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ
وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها ، فأتاه
بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه ، فقال له : يا عم ، قد
بلغت ميمنتك وميسرتك خيث ترى وأنت تخفق نعاسا ، قال : اسكت يا ابن
أخي ؛ فإن لعمرك يوما لا يعدوه ، والله لا يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت
عليه ، ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية ، وكان صاحب رأيته : احمل على القوم ،
فأبطأ محمد عليه ، وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم ، فأتاه على فقال :
هلا حملت ، فقال : لا أجد مُتَقَدِّمًا إلا على سهم أو سنان ، وإني لمنتظر نفاذ
سهامهم وأحمل ، فقال : احمل بين الأسنة ، فإن للموت عليك جنة ، فحمل محمد ،
فسكن بين الرماح والنشاب فوقف ، فأتاه على فضربه بقائم سيفه ، وقال :
أدركك عرق من أمك ، وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه ، فما كان القوم
إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وطافت بنو أمية بالجمل وأقبلوا
يرتجزون ويقولون : —

بنو أمية
يحيطون بالجمل

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل نُنَازِلُ الموت إذا الموت نزل
رُدُّوا علينا شيخنا ثم بجمل عثمان رده بأطراف الأسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة معهم كعب بن سور القاضي
متقلدا مصحفا كما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال : أنا الغلام
الضبي ، ورمى الهودج بالنشاب والنبيل حتى صار كأنه قنفذ ، وعرقب الجمل وهو
لا يقع ، وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ، ويقال : إن عبد الله بن
الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده على فخلى عنه ، ولما سقط
الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر فأدخل يده فقالت : من أنت ؟ قال :

(١) يروى * يذكري حاميم والرمح شاجر *

أقرب الناس قرابة وأبغضهم إليك ، أنا محمد أخوك ، يقول لك أمير المؤمنين : هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أصابني إلا سهم لم يضرني ، فجاء على حتى وقف عليها ف ضرب الهودج بقضيب ، وقال : يا حميراء ، رسول الله أمرك ^(١) بهذا ؟ ألم يأمرك أن تقرى في بيتك ، والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك ، وأمر أخاها محمدا فأنزلها في دار صفية بنت الحرث بن أبي طلحة العبدى وهى أم طلحة الطلحات ، ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون ، والتقى الأشر ابن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا إلى الأرض عن فرسيهما والناس حولهم يحولون وابن الزبير ينادى : —

اقتلونى ومالكاً واقتلوا مالكاً معى

فلا يسمعهما أحد لشدة الجلال ووقع الحديد ، ولا يراها راء لظلمة النقع وترادف العجاج ، وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى على فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنكس اليوم رأس محمد ، واردد إليه الراية ، فدعا به ، ورد عليه الراية ، وقال : —

اطعنهم طعن أبيك محمد لا خير في حرب إذا لم توقد
بالمشرقى والقنا المسرد

ثم استسقى ، فأتى بعسل وماء ، فحسا منه حسوة ، وقال : هذا الطائفي وهو غريب البلد ، فقال له عبد الله بن جعفر : ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا ؟ قال : إنه والله يا بنى ما حلا بصدر عمك شيء قط من أمر الدنيا .

ثم دخل البصرة ، وكانت الواقعة في الموضع المعروف بالحر بية يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، على حسب ما قدمنا آنفا من التاريخ ، وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها : يا أهل المسجد ، يا أهل المؤتفكة ائتنفكت بأهلك من الدهر ثلاثا ، وعلى الله تمام الرابعة ، يا جند

(١) كذا ، ولعله « يا حميراء رسول الله ، الله أمرك بهذا ؟ »

عبد الله
ابن الزبير
والأشتر
النخعى

خطبة على
البصرة

المرأة ، يا أتباع البهيمة ، رغا فأجبتم ، وعقر فانهزمت ، أخلاقكم رقاق ، وأعمالكم نفاق ، ودينكم زيغ وشقاق ، وماؤكم أجاج زعاق ، وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة .

ابن عباس
وعائشة

وبعث بعبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة ، فدخل إليها بغير إذنها ، واجتذب وسادة فجلس عليها ، فقالت : يا ابن عباس ، أخطأت السنة المأمور بها ، دخلت إلينا بغير إذننا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا ، فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلقت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا إلا باذنك وما جلسنا على رحلك إلا باذنك ، إن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة ، فقالت : أبيت ما قلت ، وخالفت ما وصفت ؛ فمضى إلى على فخبه بامتناعها ، فردّه إليها ، وقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي ، فأنعمت وأجابت إلى الخروج ، وجعلها على وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان ، فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن : يا قاتل الأحبة ، فقال : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم ، فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم ، فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما : إني أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك ، فقال : بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فأمنه ، وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه ، وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية ، وأمن الناس جميعا ، وقد كان نأدى يوم الواقعة : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن .

واشتد حُزْنُ عَلَى من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين
قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة ، وجدد حزنه قتل زيد بن
صوحان ، قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة
في ذلك اليوم أيضا ، وكان على يكثر من قوله :

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة المطيعه

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلًا ،
وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء على البصرة فأنشأت
تقول : —

شهدتُ الحروب فشَيَّبَنِي فلم أر يوما كيومِ الجمل
أضر على مؤمن فتنةً وأقتله لشُجاع بطل
فليت الطعينة في بيتها وليتك عسكرُ لم ترحل

وقد ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلا مصطم الأذن ، فسأله عن قصته ،
فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى ، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه
ويرفعه وهو يقول : —

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف إلا ونحن رِواء
أطعنا بني تميمٍ لشقوة جدنا وما تيم إلا أعبدُ وإِماء

فقلت : سبحان الله ، أقول هذا عند الموت ، قل لا إله إلا الله ، فقال :
يا ابن اللعناء ، إياي تأمر بالجزع عند الموت ، فوليت عنه متعجبا منه ،
فصاح بي : ادن مني لَقْنِي الشهادة ، فصرت إليه ، فلما قربت منه استدنانني ،
ثم التقم أذني فذهب بها ، فجعلت ألعنه وأدعو عليه ، فقال : إذا صرت إلى
أمك فقالت من فعل هذا بك فقل عمير بن الأهلِب الضبي مخدوع المرأة التي
أرادت أن تكون أمير المؤمنين

وخرجت عائشة من البصرة ، وقد بعث معها على أخاها عبد الرحمن بن أبي عودة عائشة

عمير بن
الأهلِب
الضبي

بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما ، ألبسهن العائم ، وقلدهن السيوف ، وقال لهن : لا تعلمن عائشة أنكن نسوة كأنكن رجال ، وكن اللاتى تلين خدمتها وحملها ، فلما أتت المدينة قيل لها : كيف رأيت مسيرك ؟ قالت : كنت بخير والله ، لقد أعطى على بن أبى طالب فأكثر ولكنه بعث معى رجلا ، فعرفها النسوة أمرهن ، فسجدت ، وقالت : ما ازددت والله يا ابن أبى طالب إلا كرما ، ووددت أنى لم أخرج وإن أصابتنى كيت وكيت من أمور ذكرتها ، وإنما قيل لى : تخرجين فتصالحين بين الناس ، فكان ما كان ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن الذى قتل من أصحاب على فى ذلك اليوم خمسة آلاف ، ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا ، وقيل غير ذلك

عبد الرحمن
ابن عتاب

ووقف على على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال : لهنى عليك يعسوب قريش ، قتلت الغطاريف من بنى عبد مناف ، شفيت نفسى ، وجدعت أنفى ، فقال له الأشر : ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم !! فقال لى : إنه قامت عنى وغهم نسوة لم يقمن عنك ، وأصيب كف ابن عتاب بمنى ألقاه عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب ، وكان اليوم الذى وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام

استيلاء على
على أموال
البصرة

ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والأنصار فنظر إلى مافيه من العين والورق فجعل يقول : ياصفراء ، غررى غبرى ، وأدام النظر إلى المال مفكرا ، ثم قال : اقسموه بين أصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا فما نقص درهم واحد ، وعدد الرجال اثنا عشر ألفا .

وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك ، فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه

وأهله خمسمائة درهم ، فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لم آخذ شيئا ، وخلفني عن الحضور كذا ، وأدلى بعذر ، فأعطاه الخمسمائة التي كانت له وقيل لأبي لييد الجهمي من الأزدي : أتحب عليا ؟ قال : وكيف أحب رجلا قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة ، وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا ، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم .

على بولي على
البصرة ابن
عباس

وولى على علكى البصرة عبد الله بن عباس ، وسار إلى الكوفة ، فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب ، وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن أذربيجان وأرمينية ، وكان عاملا نعمان ، فكان في نفس الأشعث على علي ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الأموال

على بجريز
ابن عبد الله إلى
معاوية

ووجه بجريز بن عبد الله إلى معاوية وقد كان جريز قال لعلى : ابغضني إليه ؛ فانه لم يزل لي مستنصحا ووادا ، فأتيه وأدعوه إلى أن يسلم هذا الأمر ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك ، فقال الأشعث : لا تبعشه ولا تصدقه ، فوالله إني لأظن هوامه ونيته نيتهم ، فقال على : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا ، فبعث به وكتب إلى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهم عليه ، ونكت الزبير وطلحة ، وما أوقع الله بهما ، ويأمره بالدخول في طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ؛ فلما قدم عليه جريز دافعه وسأله أن ينتظره وكتب إلى عمرو بن العاص على ما قدمنا في صدر هذا الباب ، فأشار عليه عمرو بالبعث إلى وجوه الشام وأن يلزم عليا دم عثمان ، ويقا تلهم به ؛ فقدم جريز على علي فأخبره خبرهم ، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله ، وأنهم سيكون على عثمان ويقولون : إن عليا قتله وأوى قتلته ومنع منهم ، وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم ، فقال الأشعث : قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوتة وغشه ، لو بعثني لكنت خيرا من هذا الذي أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع بابا نرجو منه إلا فتحه ولا

بابا يخاف منه إلا أغلقه ، فقال جرير : لو كنت ثمّ لقتلوك ، والله لقد ذكروا
أنك من قتلة عثمان ، قال الأشر : لو أتيتهم والله ياجرير لم يعينى جوابهم ،
ولا ثقل على خطابهم ، ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر ، ولو
أطاعنى أمير المؤمنين قبل حبسك وأشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى
يستقيم هذا الأمر

فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات ،
وكتب إلى معاوية يعلمه ما نزل به ، وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره ، فكتب
إليه معاوية بالمسير إليه

وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبه الثقفى - عند منصرف على من الجمل ،
وقبل مسيره إلى صفين - بكتاب يقول فيه : قد ظهر من رأى ابن أبى طالب
ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير ، فما الذى بقى من رأيه فىنا ؟ وذلك
أن المغيرة بن شعبه لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن لك عندى نصيحة ، فقال : وما هى ؟ قال : إن أردت أن
يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة ، والزبير بن
العوام على البصرة ، وابعث إلى معاوية بعهد على الشام حتى تلزمه طاعتك ،
فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك ، قال : أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما ،
وأما معاوية فلا والله لا يرانى الله أستعين به مادام على أبدا ، ولكنى أدعوه
إلى ما عرفته ؛ فان أجاب وإلا حاكمته إلى الله ، فانصرف المغيرة وقال : -

معاوية
والمغيرة
ابن شعبه

نصحتُ عليّاً فى ابن هند مقالةً فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له : أرسل إليه بعهد على الشام حتى يستقر معاوية
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته وأم ابن هند عند ذلك هاوية
فلم يقبل النصح الذى جئته به وكانت له تلك النصيحة كافية

قال المسعودى رحمه الله : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان

من المغيرة مع على ، وما أشار به ، وهذا أحد الوجوه المروية في ذلك
فهذه جوامع ما يحتاج إليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه ، دون
الا كثار والتطويل وتكرار الأسانيد في ذلك ، والله ولى التوفيق .

ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق

وأهل الشام بصفين

قال المسعودى رحمه الله : وقد ذكرنا جملًا وجوامع من أخبار على رضى الله
عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل ؛ فلنذكر الآن جوامع من سيره إلى صفين
وما كان فيها من الحروب ، ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهر وأن ومقتله
عليه السلام

وكان سير على من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست
وثلاثين ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الأنصارى ، فاجتاز
في مسيره بالمدائن ، ثم أتى الأنبار ، وسار حتى نزل الرقة ، فعقد له هناك جسرا
فعبّر إلى جانب الشام

وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش فكثير ومقتل ، والمتفق عليه
من قول الجميع تسعون ألفا ، وقال رجل من أصحاب على لما استقروا مما يلي الشام
من أبيات كتب بها إلى معاوية : —

اثبت معاوى قد أتاك الحافل تسعون ألفا كلهم مقاتل

* عما قليل يضمحل الباطل *

وسار معاوية من الشام ، وقد تنوزع في مقدار من كان معه فكثير ومقتل ،
والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا ، فسبق عليا إلى صفين ، وعسكر
في موضع سهل أفيح اختاره قبل قدوم على ، على شريعة لم يكن على الفرات في

معاوية يمنع
القوم الماء

ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء ، وما عداها أخراق عالية ، ومواضع إلى الماء وعرة ، ووكل أبا الأعور السامي بالشرية مع أربعين ألفا ، وكان على مقدمته ؛ وبات على وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورد إلى الماء ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : إن علينا لا يموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ، ولكن دعهم يشربون ونشرب ، فقال معاوية : لا والله أوميوتوا عطشا كما مات عثمان ، وعلى يدور في عسكره بالليل ، فسمع قائلا وهو يقول : —

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفيما الرماح وفيما الحجب
وفيما على له صولة إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير وطاحه خضنا غمار التلف
فما بالنا الأمس أسد العرين وما بالنا اليوم شاة النجب

وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها : —

لئن لم يجلّ الأشعث اليوم كربة من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه فبيننا أناساً قبل كانوا فرت
فلما قرأها حمى وأتى عليها رضى الله عنه ، فقال له : اخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقي لأصحابك أو تموتوا عن آخركم ، وأنا أسير في خيل ورجالة وراءك ، فسار الأشعث وهو يقول مرتجزا : —

لأوردن خيلى الفرأتا شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم دعا على الأشعث فسرجه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة ، فصار يؤم الأشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع [وهو] يرتجز ويقول : —

ياأشتر الخيرات ياخير النخع وصاحب النصر إذا عال الفزع
قد خرج القوم وعالوا بالفزع إن تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار على رضى الله عنه وراء الأشر بباقي الجيش ، ومضى الأشعث فما
ردَّ وجهه حتى هجم على عسكر معاوية ، فأزال أبا الأعور عن الشريعة ،
وغرَّقَ منهم بشرا وخيلا ، وأورد خيله الفرات ، وذلك أن الأشعث داخلته
الحمية في هذا اليوم ، وكان يقدم رحمه ثم يحث أصحابه فيقول : ارجعوه مقدار
هذا الرمح ، فيزيلوهم عن ذلك المكان ، فبلغ ذلك من فعل الأشعث عليا فقتل :
هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية ، وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق : —

كشف الأشعث عنا كربة الموت عيانا

بعد ما طارت كلانا طيرة مست لھانا

فلھ المن علينا وبه دارت رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع ، وورد الأشر ، وقد كشف الأشعث القوم عن
الماء ، وأزالهم عن مواضعهم ، وورد على فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية
فقال معاوية لعمر بن العاص : يا أبا عبد الله ، ما ظنك بالرجل أترأه يمتنعنا الماء
لمنعنا إياه ؟ وقد انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائيا عن الماء ؛ فقال له عمرو :
لا ، إن الرجل جاء لغير هذا ، وإنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع جبال
عاتقك ، فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعه واستقاء الناس من
طريقه ، ودخل رسله عسكره ، فأباحه على كل ما سأل وطالب منه .

ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين
بعث إلى معاوية يدعوهُ إلى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت
المراسلة بينهما ، فاتفقوا على المودعة إلى آخر الحرم في سنة سبع وثلاثين ، وامتنع
المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب . وقد كان معاوية صالح
ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعلى ، ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير
ما اتفقا عليه من المودعة في الحرم ، وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء الحرم ؛
ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية : —

الكف عن
الحرب مدة
شهر المحرم

فَمَا دُونََ الْمَنَآيَا غَيْرُ سَبْعٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ أَوْ ثَمَانٍ

ولما كان في اليوم الآخر من الحرم قبل غروب الشمس بعث إلى أهل الشام :
إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد نبذت إليكم على
سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، فلم يردوا عليه جواباً إلا السيف بيننا وبينك
أو يهلك الأعجز منا .

وأصبح على يوم الأربعاء - وكان أول يوم من صفر - فعبأ الجيش ، وأخرج
الأشتر أمام الناس ، وأخرج إليه معاوية - وقد تصافَّ أهل الشام وأهل العراق -
حبيب بن مسلم الفهري ، وكان بينهم قتال شديد ، وأسفرت عن قتلى من الفريقين
جميعاً ، وانصرفوا .

مبدأ القتال

فلما كان يوم الخميس - وهو اليوم الثاني - أخرج على هاشم بن عتبة بن
أبي وقاص الزهري المرقال ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإنما سمي
المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك ، وكان
من شيعة على ، وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه
في ذلك اليوم في الكتاب الأوسط في فتوح الشام ، فأخرج إليه معاوية أبا الأعور
السلمي ، وهو سفيان بن عوف ، وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على ،
وكانت بينهم الحرب سجلاً ، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير .

اليوم الثاني

وأخرج على في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - أبا اليقظان عمار بن ياسر
في عدة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار فيمن شرع معهم من الناس
وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص في تنوخ ونهد وغيرها من أهل الشام ،
وكانت بينهم سجلاً إلى الظهر ، ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا ، فأزال عمراً
عن موضعه ، وألحقه بعسكر معاوية ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ،
ودونهم من أهل العراق .

اليوم الثالث

وأخرج على في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - ابنه محمد بن الحنفية في

اليوم الرابع

همدان وغيرها ممن خف معه من الناس ، فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب في حمير ولحم وجذام ، وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من على أن يقيده بالهرمزان ، وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه قاتل عمر كان في أرض العجم غلاما للهرمزان ، فلما قُتل عمر شدَّ عبيدُ الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها إلا قتلته ، وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي قتل فيه عمر ، فلما صارت الخلافة إلى على أراد قتلَ عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلما من غير سبب استحقه ، فلجأ إلى معاوية ، فاقتتلوا في ذلك اليوم ، وكانت على أهل الشام ، ونجا ابن عمر في آخر النهار بها وأخرج على في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - عبد الله بن العباس ، فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فاقتتلوا ، وأكثر الوليد من سبِّ بنى عبد المطلب بن هاشم ، فقاتله ابن عباس قتالا شديدا ، وناداه : ابرز إلى يا صفوان ، وكان لَقَبَ الوليد ، وكانت الغلبة لابن عباس ، وكان يوما صعبا

وأخرج على في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع ، وكانت بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعا

وأخرج على في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء - الأشتر في النخع وغيرهم فأخرج إليه معاوية حبيب بن سلمة الفهري ؛ فكانت بينهم سجالا ، وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب ، وأسفرت عن قتلى منهما ، والجراح في أهل الشام أعم

ويوم الثامن - وهو يوم الأربعاء - على رضى الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعة وهمدان

عبيد الله ابن
عمر ابن
الخطاب

اليوم الخامس

اليوم السادس

اليوم السابع

اليوم الثامن

قال ابن عباس : رأيت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكان عينيه سراجا سليط ، وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم ، حتى انتهى إلى وأنا في كثيف من الناس ، فقال : يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات ، وأكلوا الملاءمة ، واستشعروا الخشية ، وأقلقوا السيوف في الأجنان قبل السلة ، والحظوا الشزر ، واطعنوا الهبر ، وناخوا الصبا ، وصاوا السيوف بالخطا ، والنبال بالرماح ، وطيبوا عن أنفسكم نفساً فانكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، عاودوا الكر ، واستقبحوا الفر ؛ قانه عار في الأحقاب ، ونار يوم الحساب ، ودونكم هذا السواد الأعظم ، والرواق المطنّب ، فاضربوا نهجه ؛ فان الشيطان راكب صعيده ، معترض ذراعيه ، قد قدم للوثبة يدا وآخر للنكوص رجلا ، فصبوا جيلا حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأنتم الأعلمون والله معكم ولن يتركم أعمالكم

وتقدم على للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ، وخرج معاوية في عدد أهل الشام ، فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر

اليوم التاسع وخرج في اليوم التاسع على - وهو يوم الخميس - وخرج معاوية ، فاقتتلوا إلى ضحوة من النهار ، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من الحضرية معممين بشقق الحرير الأخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان ، وابن عمر يقدمهم وهو يقول :-

أنا عبيد الله يميني عمر خير قريش من مضي ومن غبر غير نبي الله والشيخ الأغر قد أبطأت في نصر عثمان مضر والربيعون فلا أسقوا المطر

فناداه على : ويحك يا ابن عمر ، علام تقاتلني ؟ والله لو كان أبوك حيا ما قاتلني ، قال : أطلب بدم عثمان ، قال : أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك

بدم الهرمزان ، وأمر على الأشر النخعي بالخروج إليه ، فخرج الأشر إليه وهو يقول : —

إني أنا الأشرُ معروف السَّيرِ إني أنا الأفعى العراقى الذَّكرُ
لست من الحى ربيع أو مضر لكننى من مذحج البيض الغررُ
فانصرف عنه عبید الله ولم يبارزه ، وكثرت القتلى يومئذ

وقال عمار بن ياسر : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر لكانا على الحق وكانوا على الباطل

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضعه فاستسقى ، فأثته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعسٍ فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، ياسر وترجمته اليوم ألقى الأوبة تحت الأسنة ، صدق الصادق ، وبذلك خبر الناطق ، وهو اليوم الذى وعدت فيه ، ثم قال : أيها الناس ، هل من رابح إلى الله تحت العوالى ؟ والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول : —

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مَقيله ويُدْهِلُ الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ، فقتله أبو الهادية العاملى وأبو حواء السكسكى ، واختلفا فى سلبه فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال لهما : اخرجاني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغت قریش بهمار : « ما لهم ولعمار ؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار » وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين وصلى عليه على عليه السلام ولم يغسله ، وكان يغير شبيهه . وقد تنوزع فى نسبه

فمن الناس من ألحقه بنى مخزوم ، ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وقد أتينا على خبره في كتاب «مزاهر الأخبار وظرائف الآثار» عند ذكرنا لاشتراط الحسين الذين بايعوا عليا على الموت ؛ وفي قتله يقول الحجاج ابن عريبة الأنصارى أحياتا رثاه بها : -

غزوة

يَا لِلرَّجَالِ عَيْنِ دُمْعُهَا جَارِي قَدْ هَاجَ حُزْنِي أَبُو الْيَقْظَانِ عَمَّارُ
أَهْوَى إِلَيْهِ أَبُو حَوْهَا فَوَارِسُهُ يَدْعُو السَّكُونُ وَلِلْجَيْشِينَ إِعْصَارُ
فَاخْتَلَّ صَدْرُ أَبِي الْيَقْظَانِ مُعْتَرِضًا لِلرَّمْحِ قَدْ وَجَبَتْ فِينَا لَهُ النَّارُ
اللَّهُ عَنْ جَمْعِهِمْ لَا شَكَّ كَانَ عَفَا أَتَتْ بِذَلِكَ آيَاتُ وَأَثَارُ
مَنْ يَنْزِعُ اللَّهُ غَلَا مِنْ صُدُورِهِمْ عَلَى الْأَسْرَةِ لَمْ تَمْسُحْهُمْ النَّارُ
قَالَ النَّبِيُّ لَهُ تَقْتَلُكَ شَرْدُمَةُ سَيِطَّتْ لِحْوَمِهِمْ بِالْبَغْيِ فُجَّارُ
فَالْيَوْمَ يَعْرِفُ أَهْلُ الشَّامِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ تِلْكَ وَفِيهَا النَّارُ وَالْعَارُ

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان ، وتقدم سعد بن عبادة الأنصارى في الأنصار وربيعة ، وعدى بن حاتم في طيء ، وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجمع بالجمع ، واشتد القتال ، وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية ، وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان ، وأمر على الأشتر أن يتقدم باللواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء ، وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده ، وعلى وراه يقول : يا أعور ، لا تكن جباناً ، تقدم ، والرقال يقول : -

قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْمَ وَمَا أَقْلًا أَعُورُ يَبْغِي أَهْلَهُ مُحَلَا
قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا لَا بُدَّ أَنْ يَفُلَّ أَوْ يُفَلَّا
أَسْلَمَهُمْ بَنَى الْكُحُوبَ سَلَا

ثم قصد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو من حمير فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول : —

اثبت فاني لست من قَزَعَى مُضَرٍّ نحن اليمايُوف ما فينا ضَجَرٌ
كيف ترى وقع غلام من عذر ينعى ابن عفان ويلجئ من غدرٍ
يا أعور العين رمى فيها العور سيان عندي من سعى ومن أمرٍ

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله ، وقتل بعده سبعة عشر رجلا ، وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا ، فاجتلد الناس ، فقتل هاشم المرقال ، وقتل ذو الكلاع جميعا ، فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة ، وكرّ في العجاج وهو يقول : —

يا هاشمَ بْنَ عَتَبَةَ بْنِ مالِك أعزّزْ بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنايك أبشر بحور العين في الأرائك

والروح والريحان عند ذلك

ووقف على رضى الله عنه عند صرع المرقال ومن صرع حوله من الأساميين وغيرهم ؛ فدعاهم وترحم عليهم ، وقال من أبيات : —

جزى الله خيرا عصابة أسلمية صباح الوجود صرّعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذى المكارم
وعروة لا ينفذ ثناه وذكره إذا سل بالبيض الخفاف الصوارم

واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليان ، وقد كان

حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى ، فقال : أخرجوني وادعوا « الصلاة جامعة » فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازرروه ؛ فوالله إنه لعلى الحق آخرا وأولا ، وإنه لخير

حذيفة بن
اليان

من مضى بعد نبيكم ومن بقى إلى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال : اللهم اشهد ، إني قد بايعت عليا ، وقال : الحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم ، وقال لابنيه صفوان وسعد : احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا أن تستشهدا معه ، فانه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل ، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوما ، واستشهد عبدالله بن الحرث النخعى أخوالأشتر ، واستشهد فيه عبدالله وعبدالرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعى ، فى خلق من خزاعة ، وكان عبد الله فى ميسرة على وهو يرتجز ويقول : —

لم يبق إلا الصبر والتوكلُ وأخذك الترسَ وسيفُ مُصقلٍ
ثم التمشى فى الرّعيّل الأوّل

فقتل ، ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده ، فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل فى أهل الشام وكتب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخى - وكان صاحب راية قومه فى تنوخ ونهد - وقال له : لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدّمًا ، وأنصح منك دينًا ، فقال له النعمان : إنا لو كنا ندعى إلى جيش ممنوع لكان فى لكع بعد الأناة ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ، وردينية شاجرة ، وقوم ذوى بصائر نافذة ، والله لقد نصحتك على نفسى ، وآثرت ملكك على دينى ، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه ، وحديثُ عن الحق وأنا أبصره ، وما وقتت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيتناه ما أعطيناك لكان أرف بالرعية وأجزل فى العطية ، ولكن قد بذلنا لك ، الأمر ولا بد من إتمامه كان غيا أو رشدًا ، وحاشا أن يكون رشدًا ، وستقاتل عن تين الغُوطَة وزيتونها إذا حرمنّا أثمار الجنة وأثمارها ، وخرج إلى قومه ، وصمد إلى الحرب .

معاوية والنعمان
ابن جبلة
التنوخى

وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ، ما خلا الشيبانية بنت هانيء بن قبيصة ، فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية ، وقال لها : إني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله إني لأرجو أن أربط بكل طنب من أطنا بفسطاطي سيدا منهم ، فقالت : ما أبغض إلا أن تقاتلهم ، قال : ولم ؟ قالت : لأنه لم يتوجه إليهم صنيدي إلا أبادوه ، وأخاف أن يقتلوك ، وكأنني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك ، فرماها بقوس فشجها وقال لها : ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ، ثم توجه فحمل عليه حرث ابن جابر الجعفي فطعنه فقتله ، وقيل : إن الاشترا لنخعي هو الذي قتله ، وقيل : إن عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه خشوة جوفه ، وإن عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهر مزان : لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره ، ولكن نساؤه معاوية في جيفته فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف ، ففعلن ذلك ، فاستأمرت ربيعة عليا ، فقال : إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ، ولكن قد أجبتهم إلى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانيء بن قبيصة الشيباني زوجته ، فقالوا لنسوة عبيد الله : إن شئنا شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية ، فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، وأخبرن معاوية بذلك ، فقال لهن : اتتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ، ففعلن ، وأتت القوم وقالت : أنا بنت هانيء بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته ماصار إليه فهبوا لي جيفته ، ففعلوا ، وألقت إليهم بمطرف خز فأدركوه فيه ودفعوه إليها قد شد في رجله إلى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرّض على عليه السلام الناس وقال لربيعة : أتم درعي ورمحي ، فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم ، قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلى أمهم على البغلة الشبهاء ، وهو يقول : —

مقتل عبيد الله
ابن عمر

مِنْ أَىِّ يَوْمَىِّ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ أَيَّوْمَ لَمْ يَقْدَرَ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ
 وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ،
 وأحمدوا كل ما أتوا عليه ، حتي أتوا إلى قبة معاوية ، وعلى لا يمر بفارس إلا قدّه
 وهو يقول : —

أَخْرَبَهُمْ وَلَا أَرَىٰ مَعَاوِيَةَ الْأَخْزَرَ الْعَيْنَ الْعَظِيمَ الْمَاوِيَةَ
 * تهوى به في النار أم هالويه *

وقيل : إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم

ثم نادى على : يا معاوية ، علام يقتل الناس بيني وبينك هلم أحاكمك إلى
 الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : قد أنصفك الرجل ،
 فقال له معاوية : ما أنصفت وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره ،
 فقال له عمرو : وما تجمل بك إلا مبارزته ، فقال له معاوية : طمعت فيها بعدى ،
 وحقدتها عليه

على يدعو
 معاوية للقتال

وقد قيل في بعض الروايات : إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا
 أن يبرز إلى على ، فلم يجد عمرو من ذلك بدا ، فبرز ، فلما التقيا عرفه على وشال
 السيف ليضربه به ، فكشف عمرو عن عورته ، وقال : مكره أخوك لا بطل ،
 فحوّل على وجهه ، وقال : قبحت ، ورجع عمرو إلى مصافه

خروج عمرو
 ابن العاص
 لقتال على

وقد ذكر هشام بن محمد الكلابي عن الشرقى بن القظامي أن معاوية قال
 لعمرو بعد انقضاء الحرب : هل غشيتني منذ نصحتني ؟ قال : لا ، قال : بلى والله
 يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ماهو ، قال : دعاك إلى المبارزة فكنت
 من مبارزته على إحدى الحسينين : إما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران
 وتردد شرفا إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء
 والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فقال معاوية : يا عمرو ، الثانية أشر من الأولى
 وكان في هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ، ووجدت في بعض النسخ من

أخبار صفين أن هاشما المرقال لما وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر مطروح إلى قربه جريحا ، فجثا حتى دنا منه ، فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لأنه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف إلى عبيد الله فحشاه ، وانصرف القوم إلى مواضعهم ، وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم

ومر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذي كان ميمنته فنظر إلى عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي معفرا بدمائه ، وقد كان على ميسرة على ؛ فحمل على ميمنة معاوية فأصيب على ما قدمنا آتفا ، فأراد معاوية أن يمثل به ، فقال عبدالله بن عامر وكان صديقا لابن بديل : والله لا تركزك وإياه ، فوهبه له ، فغطاه بعمامته فواراه ، فقال له معاوية : قد والله وارىت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا ، ولو أنا في جندل دون هذا الكبش ، وأنشأ يقول متمثلا :

أخوا الحرب إن عصت به الحرب عصها وإن شمرت يوما به الحرب شمرنا

كليت هزبر كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا
ونظر على إلى غسان في مصافهم لا يزولون ، فخرض أصحابه عليهم ، وقال : على يحرض على غسان

إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم ، وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام ، وتسقط منه المعاصم والأكف ، وحتى تشدخ جباههم بعدد الحديد وتتشعر حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر وطلاب الأجر ؟ فتأب إليه عصابة من المسلمين من سائر الناس ، فدعا ابنه محمدا ، فدفع إليه الراية ، وقال : امش بها نحو هذه الراية مشيا رؤيدا ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتبك أمرى ، ففعل ؛ وأتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة ، وقد كرددس الخيل ، فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا ، وعادت الحرب في آخر النهار كحانها في أوله ، وحملت

ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذبح وعشرون ألفاً مقتنون في الحديد على ميسرة على ؛ فاقتطعوا ألف فارس ، فانتدب من أصحاب علي عبد العزيز ابن الحرث الجعفي وقال لعلي : مرني بأمرك ، فقال : شد الله ركبك ، سر حتى تنتهي إلى إخواننا الحاط بهم ، وقل لهم : يقول لكم على كبروا ثم احموا ونحمل حتى نلتقي ، فحمل الجعفي قطعن في عرضهم حتى انتهى إليهم فأخبرهم بمقالة علي ، فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلي ، وشدخوا سبعائة من أهل الشام ، وقتل حوشب ذو ظليم ، وهو كبش من كباش اليمن في أهل الشام ، وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحصين بن المنذر بن الحرث بن ولة الدهلي وفيه يقول علي في هذا اليوم : —

لَمَنْ رَايَةً سُدَّاءُ يَخْفِقُ ظِلَّهَا إِذَا قَلَّتْ قَدَمُهَا حَصِينٌ تَقَدَّمَ

ليلة الهرير

فأمره بالتقدم ، واختلط الناس وبطل النبل ، واستعملت السيوف ، وجنهم الليل وتنادوا بالشعار ، وتقصفت الرماح ، وتصادم القوم ، وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا إلى الأرض عن فرسيهما ، وكانت ليلة الجمعة — وهي ليلة الهرير — فكان جملة من قتل على بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم في اليوم ؛ وذلك أنه كان إذا قتل رجلا كبر إذا ضرب ، ولم يكن يضرب إلا قتل ، ذكر ذلك عنه من كان يليه في حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم ، وكسفت الشمس ، وارتفع القتام ، وتقطعت الألوية ، ولم يعرفوا مواقيت الصلاة ، وغدا الأشرير تجز وهو يقول : —

نَحْنُ قَتَلْنَا حَوْشِيَا لَمَّا غَدَا قَدَ أَعْلَمَا

وَذَا الْكَلَاعِ قَبْلَهُ وَمَعْبَدَا إِذْ قَدَمَا

إِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا أَبَا إِي يَقْطُزَانِ شَيْخَا مُسْلِمَا

فَقَدْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ سَبْعِينَ رَأْسًا مَجْرَمَا

أَضْحَوْا بِصَفِينٍ وَقَدْ لَاتُوا نَكَالًا مَوْلَا

وكان الأشتر في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - على ميمنة على ، وقد أشرف على الفتح ، ونادت مشيخة أهل الشام : الله الله في الحرمات والنساء والبنات ، وقال معاوية : هلم محباتك يا ابن العاص فقد هلكنا ، وتذكر ولاية مصر ، فقال عمرو : أيها الناس ، من كان معه مصحف فليرفعه على رحمة ، فكثر في الجيش رفع المصاحف ، وارتفعت الضجة ونادوا : كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفار ؟ ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف ، وفي ذلك يقول النجاشي بن الحرث : -

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا عليها كتابُ الله خيرُ قرآن
ونادواً علياً يا ابن عم محمد أما تتقي أن يهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا : نجيب إلى كتاب الله ونتوب إليه وأحبّ القوم الموادعة ، وقيل لعلّ : قد أعطاك معاوية الحق ، دعاك إلى كتاب الله فاقبل منه ، وكان أشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس ، فقال على : أيها الناس ، إنه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وإني كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا ، وقد أحبيتكم البقاء فقال الأشتر : إن معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك ؛ فاقذع الحديد واستعد بالله ، وتكلم رؤساء أصحاب على بنحو من كلام الأشتر ، فقال الأشعث بن قيس : إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، وليس ندرى ما يكون غدا ، وقد والله فل الحديد ، وكلت البصائر ؛ وتكلم معه غيره بكلام كثير ، فقال على : ويحكم ما رفعوها لأنكم تعامونها ولا يعامون بها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيده ، فقالوا له : إنه ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال : ويحكم إنما قاتلهم ليدنوا بحكم الكتاب فقصد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا

خديعة
المصاحف

انخداع
أهل العراق

كتابه ، فامضوا على حكمكم وقصدكم ، وخذوا في قتال عدوكم ، فان معاوية وابن
العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدة غير هؤلاء ليسوا بأصحاب
دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم : صحبتهم أطفالا ورجالا ، فهم شر أطفال ورجال ،
وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه ، وتهددوه أن يصنع به ما صنع بهما ،
وقال الأشعث : إن شئت أتيت معاوية فسألتها ما يريد ، قال : ذلك إليك ، فأتته
إن شئت ، فأتته الأشعث فسأله ، فقال له معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب
الله وإلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ، ونبعث برجل ،
ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملوا بما في الكتاب ولا يخرجاه عنه ، وننقاد
جميعا إلى ما اتفقا عليه من حكم الله ، فصوب الأشعث قوله ، وانصرف إلى علي ،
فأخبره بذلك ، فقال أكثر الناس : رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا ، فاختار أهل
الشأم عمرو بن العاص ، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج :
رضينا نحن بأبي موسى الأشعري ، فقال علي : قد عصيتُموني في أول الأمر فلا
تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولى أبا موسى الأشعري ؛ فقال الأشعث ومن
معه : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري ، قال : ويحكم ليس بثقة ، قد فارقني
وخذل الناس وفعل كذا وكذا ، وذكر أشياء فعلها أبو موسى ، ثم إنه
هرب شهورا حتى أمنتته ، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك ، فقال الأشعث
وأصحابه : والله لا يحكم فينا مضري ، قال علي : فالأشعث ، قالوا : وهل حاج هذا
الأمر إلا الأشر ، قال : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه ،
فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القضية ، وقيل لأبي موسى : إن الناس قد
اصطاحوا ، قال : الحمد لله ، وقد جعلوك حكما ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول : إن الفتن لم تنزل في بني إسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتباعهما ، فقال سويد بن علقمة : إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين ، قال : أنا ؟ قال : نعم أنت ، فكان يخلع قميصه ويقول : لاجعل الله لي إذا في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ؛ فلقبه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال : يا أبا موسى ، أتذكر مقاتلتك ؟ قال : سل ربك العافية

وكان فيما كتب في الصحيفة أن يُحَيِّي الحكمان مأخذاً من القرآن ، ولا يتبعان الهوى ، ولا يدهنان في شيء من ذلك ، فان فعلا فلا حكم لهما ، والمسلمون من حكمهما برآء ، وقال على للحكمين حين أكره على أمرها ورد الأشر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فأخبره مخبر بما قالوا في على وأنه إن لم يرد سلم إلى معاوية وفعل به ما فعل ببن عفان ، فانصرف الأشر خوفاً على على أن تحكم بما في كتاب الله ، وكتاب الله كله لي ، فان لم تحكم بما في كتاب الله فلا حكم لكما ، وصيروا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشأم ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين ، وقيل : بعد هذا الشهر منها ، ومر الأشعث بالصحيفة يقرأها على الناس فرحاً مسروراً ، حتى انتهى إلى مجلس لبني تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن الزبير التيمي ، وهو أخو بلال الخارجي ، فقرأها عليهم ، فجزى بين الأشعث وبين أناس منهم خطب طويل ، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والمنازع لهم من قتال عدوهم حتى يفيثوا إلى أمر الله ، وقال عروة بن أديّة : أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال ؟ لاحكم إلا الله ، فكان أول من قالها ، وحكم بها ، وقد تنوزع في ذلك ، وشد بسيفه على الأشعث فضم فرسه عن الضربة ، ف وقعت في عجز

الفرس ونجا الأشعث ، وكادت العصبية أن تقع بين الزارية واليمانية ، لولا اختلاف
كلمتهم في الديانة والتحكيم ؛ وفي فعل عروة بن أديّة بالأشعث يقول رجل من
بنى تميم في أبيات : —

عُرُوَ يَا عُرُوَ كُلُّ فِتْنَةٍ قَوْمٌ سَلَفْتُ إِنَّمَا تَكُونُ فِتْيَةً
ثُمَّ تَنْمَى وَيَعْظُمُ الْخَطْبُ فِيهَا فَاحْذَرْنَ غَيْبَ مَا أَتَيْتَ عُرِيَّةً
أَعْلَى الْأَشْعَثِ الْمَعْصَبَ بِالتَّا جَاحَلَتِ السَّلَاحُ يَا ابْنَ أَدِيَّةِ
إِنَّمَا فِتْنَةٌ كَفَتْنَةُ دَى الْعَجْ لَ يَا عُرُوَ الْعَصَا وَالْعُصِيَّةِ
فَانْظُرِ الْيَوْمَ مَا يَقُولُ عَلَى وَاتَّبِعْهُ فَذَاكَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

عدة القتلى
أيام صفين

وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين : فذكر أحمد
ابن الدورق عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم
وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس : من أهل الشام تسعون ألفاً ،
ومن أهل العراق عشرون ، ونحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل
الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب ، وهو خمسون ومائة ألف مقاتل ،
سوى الخدم والأتباع ، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم
ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة ألف بل أكثر من ذلك ؛ لأن أقل من
فيهم معه واحد يخدمه ، وفيهم من معه خمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر
من ذلك ، وأهل العراق كانوا في عشرين ومائة ألف مقاتل دون الأتباع والخدم ،
وأما المهشم بن عدى الطائي وغيره مثل الشرقى بن القطامي وأبى مخنف لوط بن
يحيى فذكروا ما قدمنا ، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون ألفاً :
من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ،
فيهم خمسة وعشرون بدرية ، وأن العدد كان يقع بالقضيب والاحصاء للقتلى في
كل وقعة ، وتحصيل هذا يتفاوت ؛ لأن في قتلى الفريقين من يعرف ومن
لا يعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل في البر ؛ فأكلته السباع فلم يدركهم

الإحصاء ، وغير ذلك مما يعسر ما وصفنا ، وسمعت امرأة بصفين وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهي تقول : -

أَعَيْنِي جُودًا بدمع سَرِبَ على فتية من خيار العرب
وما ضَرَّهم غير جنى النفوس بأى امرئ من قریش غلب

ولما وقع التحكيم تباعض القوم جميعا ، يتبرا الأخ من أخيه والابن من أبيه اختلاف أهل العراق في التحكيم وأمر على بالرحيل ؛ لعلمه باختلاف الكلمة ، وتفاوت رأى ، وعدم النظام لأمرهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثرة التحكيم فى جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولأم كل فريق منهم الآخر فى رأيه ، وسار على يؤم الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام ، وفرق عساكره فلاحق كل جند منهم ببلده ، ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلاحقوا حرورى قرية من قرى الكوفة ، وجعلوا عليهم شبيب بن ربيع التميمى ، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء الشكرى من بكر ابن وائل ، فخرج على إليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا الكوفة ، وإنما سموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم إليها

وقد ذكر يحيى بن معين قال : حدثنا وهب بن جابر بن حازم ، عن الصلت ابن بهرام ، قال : لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر : جزعت من البلية ، ورضيت بالقضية ، وقبلت الدنية ، لا حكم إلا لله ، فيقول : حكم الله أنتظر فيكم ، فيقولون (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فيقول على : (فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الحرورية

وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل ، وقيل : بغيرها أول التقاء الحكمين على ما قدمنا فى وصف التنارع فى ذلك ، وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح ابن هانىء الهمداني فى أربعمائة رجل فيهم أبو موسى الأشعرى ، وبعث معاوية

وصية ابن
عباس لأبي
موسى

وصية معاوية
لعمرو

كتابة

الحكمين

كتاب التحكيم

بعمر و بن العاص ومعه شرحبيل بن الصمة في أربعمائة ، فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبي موسى : إن عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير ، وإن الناس أبوا غيرك ، وإني لأظن ذلك لشرياراد بهم ، وقد ضم داهية العرب معك ، إن نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة ، ووصى معاوية عمرا حين فارقه وهو يريد الاجتماع بأبي موسى ، فقال : يا أبا عبد الله ، إن أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأى ، فأخذ الجد ، وطبق المفصل ، ولا تلقه برأيك كله ، ووافاهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم ، وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على في آخرين من الناس ، وذلك في شهر رمضان ، فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لأبي موسى : تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو ، فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ضيف ، حمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر الحديث الذى حل بالاسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو ، هلم إلى أمر يجمع الله فيه الألفة ، ويلم الشعث ، ويصلح ذات البين ، فجزاه عمرو خيرا ، وقال : إن للكلام أولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خُطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه في كتاب يصير إليه أمرنا ، قال : فاكذب ، فدعا عمرو بصحيفة وكتب ، وكان الكاتب غلاما لعمرو ، فتقدم إليه ليبدأ به أولا دون أبي موسى لما أراد من المكربه ، ثم قال له بحضرة الجماعة : اكتب فانك شاهد علمينا ، ولا تكتب شيئا يأمر بك به أحدا حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمر بك فاكذب ، وإذا نهاك فأنته حتى يجتمع رأينا ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تناقضى

عليه فلان وفلان، فكتب ، وبدأ بعمر ، فقال له عمرو : لا أم لك !! أتقدمني قبله
كأنك جاهل بحقه ؟ فبدأ باسم عبد الله بن قيس ، وكتب : تقاضيا على أنهما
يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : نشهد
أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله
حتى قبضه الله إليه ، وقد أدى الحق الذى عليه ، قال أبو موسى : اكتب ، ثم
قال فى عمر مثل ذلك ، ثم قال عمرو : واكتب : وأن عثمان ولى هذا الأمر بعد عمر
على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا
منهم ، وأنه كان مؤمنا ، فقال أبو موسى الأشعرى : ليس هذا مما قعدنا له ، قال
عمرو : والله لا بد من أن يكون مؤمنا أو كافرا ، قال أبو موسى : اكتب ، قال
عمرو : فضالما قتل عثمان أو مظلوما ؟ قال أبو موسى : بل قتل مظلوما ، قال عمرو :
أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال
عمرو : فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو :
أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز ؟ قال أبو موسى :
بلى ، قال عمرو للكاتب : اكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ، قال عمرو : فإننا
نقيم البينة أن عليا قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حدث فى الإسلام ،
وإنما اجتمعنا لله ، فلم إلى أمر يصلح الله به أمة محمد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال
أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبدا ، وأن أهل الشام
لا يحبون عليا أبدا ؛ فهل نخالهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر ؟ وكان عبد الله
ابن عمر على بيت أبى موسى ، قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال
أبو موسى : نعم إذا حمله الناس على ذلك فعل ، فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه
أبو موسى فصوبه ، وقال له : هل لك فى سعد ؟ قال له أبو موسى : لا ، فعدده له
عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ عمرو الصحيفة وطواها

وجعلها تحت قدمه بعد أن ختمها جميعاً ، وقال عمرو : أرأيت إن رضى أهل العراق بعبد الله بن عمر وأبى أهل الشام أيقاتل أهل الشام ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضى أهل الشام وأبى أهل العراق أيقاتل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير المسلمين فقم فاطلب الناس ، واخلع صاحبينا ، وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاطلب فأنت أحق بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولى وقولك للناس إلا قول واحد ، فقم راشدا

عمرو يقدم
أبا موسى
للكلام

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا عليا ومعاوية ، وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه ، وأهوى إلى عمامته فخلعها ، واستخلفنا رجلا قد حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه ، ورغب الناس فيه ، ونزل

أبو موسى
يتقدم فيخلع
الرجلين
ويرشح ابن
عمر

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس خلع عليا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني خلعت عليا معه ، وأثبت معاوية على وعليك ، وإن أبا موسى قد كتب في الصحيفة إن عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وإن لوليه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد حجب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأطراه ، ورغب الناس فيه ، وقال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان ، فقال أبو موسى : كذب عمرو ، ولم نستخلف معاوية ولكننا خلعنا معاوية وعليها معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع عليا ولم يخلع معاوية

عمرو يخطب
فيخلع عليا
ويثبت معاوية

قال المسعودي رحمه الله : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنها اتفقا على

خلع على ومعاوية ، وأن يجعل الأمر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلاً يصلح لها ، فقدم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى : إني قد خلعت عليا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وتنحى ، وقام عمرو من مكانه فقال : إن هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فقال أبو موسى : مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت ؟ إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، فقال له عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت ، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ثم وكز أبا موسى فألقاه لجنبه ، فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرًا بالسوط ، وتحول أبو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ، ولم يعد إلى الكوفة وقد كانت خطته وأهله وولده بها ، وآلى أن لا ينظر إلى وجه على ما بقى ، ومضى ابن عمر وسعد إلى بيت المقدس

وفي فعل الحكمين يقول أيمن بن خزيمة بن فاتبك الأسدى : —

لو كان للقوم رأى يعظمون به عند الخطوب رموكم بآبن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوى يمن لم يدر ما ضرب أخماس بأسداس

وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك : —

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله ربا والنبي وبالذكر
وبالأصابع الهادى على إيماننا رضينا بذلك الشيخ فى العسر واليسر
رضينا به حياً وميتاً فإنه إمام الهدى فى موقف النهى والأمر

ولأبى موسى يقول ابن العباس : —

أبا موسى ، بُليتَ وكنتَ شَيْخاً قريبَ العفو مَخْزُونَ اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس فيالله من شيخ يماني
فأَمْسَيْتَ العشيّةَ ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب العنان
تَعْضُ الكفَّ من ندم ، وماذا يردُّ عليك عضك للبنان ؟

وقيل : إنه لم يكن بينهما غير ما كتباه في الصحيفة وإقرار أبي موسى بأن
عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا ، وإنهما لم يخطبا ، وذلك أن عمرا قال
لأبي موسى : سم من شئت حتى أنظر معك ، فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ،
ثم قال لعمرو : قد سميت أنا فسم أنت ، قال : نعم ، أسمى لك أقوى هذه
الأمّة عليها ، وأسدها رأيا ، وأعلمها بالسياسة ، معاوية بن أبي سفيان ، قال :
لا والله ، ما هو لذلك بأهل ، قال : فأتيتك بآخر ليس هو بدونه ، قال : من هو ؟
قال : أبو عبد الله عمرو بن العاص ، فلما قالها علم أبو موسى أنه ياعب به ، فقال :
فعلتها لعنك الله ، فتسابا ، فلحق أبو موسى بمكة

فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص إلى منزله ، ولم يأت إلى
معاوية ، فأرسل إليه معاوية يدعوه ، فقال : إنما كنت أجيئك إذ كانت لي
إليك حاجة ، فاما إذا كانت الحاجة إلينا فانت أحق أن تأتينا ، فعلم معاوية
ما قد وقع إليه ، فحد الرأي وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ، ثم دعا
بخاصته ومواليه وأهله ، فقال : إني سأغدو إلى هذا فإذا دعوته فادعوا مواليه
وأهله فليجلسوا قبلكم ، فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه ، فاذا
خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت ، واحذروا أن يدخل أحد
منهم إلا أن أمركم

مكر معاوية
بعمر

وغدا إليه معاوية وعمرو جالس على فرشه ، فلم يقم له عنها ، ولا دعاه إليها ،
فجاء معاوية وجلس على الأرض ، واتسكأ على الفرش ، وذلك أن عمرا كان
يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر وإليه العهد : يضعها فيمن يرى ، ويندب للخلافة
من يشاء ، فجرى بينهما كلام كثير ، وكان مما قال له عمرو : هذا الكتاب الذي
بيني وبينه عليه خاتمي وخاتمه ، وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوما ، فأخرج عليا من
هذا الأمر ، وعرض على رجلا لم أرهم أهلا لها ، وهذا الأمر إلى أستخلف من
شئت ، قد أعطاني أهل الشام عهودهم ومواثيقهم ، فحدثه معاوية ساعة وأخرجه

عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من غداء ؟ قال :
أما والله شيء يُشبع مَنْ ترى فلا ، فقال معاوية : هلم يا غلام غداءك ، فجيء
بالطعام المستعد ، فوضع ، فقال : يا أبا عبد الله ، ادع مواليك وأهلك ، فدعاهم
ثم قال له عمرو : وادع أنت أصحابك ، قال : نعم يا كل أصحابك ثم يجلس
هؤلاء بعد ، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية
معاوية ، حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية ، فقام الذي وكله بغلق
الباب ، فأغلق الباب ، فقال له عمرو : فعلتها ، فقال : إى والله بيني وبينك أمران
اختر أيهما شئت : البيعة لى ، أو أقتلك ، ليس والله غيرهما ، قال عمرو : فأذن
لغلامي وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه ، قال : لا تراه والله ولا يراك إلا قتيلا أو على
ما قات لك ، قال : فأولنى إذا مصر ، قال : هى لك ماعشت ، فاستوثق كل
واحد منهما من صاحبه ، وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ، ومنع أن يدخل
معه أحد من حاشية عمرو ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم
أر أحداً أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام وانصرف إلى منزله خليفة

ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبى موسى وعمرو قال : إني كنت تقدمت
إليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها فأيتتم إلا عصياني ، فكيف رأيتم عاقبة
أمركم إذا أيتتم على ؟ والله إني لأعرف من حملكم على خلافى والترك لأمرى ،
ولو أشاء أخذه لفعلت ، ولكن الله من ورائه ، يريد بذلك الأشعث بن قيس
والله أعلم ، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بنى خشم : —

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه ، ألا
إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموها حكيمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى
أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف ، فأما ما أحيا القرآن ، وأحييا ما أماته ،
واختلف فى حكمهما كلامهما ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما ، فبرىء الله منهما ورسله

تأنيب على
لأهل العراق
وتحريضهم
على الاستعداد

وصالح المؤمنين ؛ فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير وأصبحوا في عساكرهم إن شاء الله تعالى .

قال المسعودي : وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا في الحكمين ، وقالوا في ذلك أقاويل كثيرة ، وقد أتينا على ما ذهبوا إليه في ذلك في كتاب المقالات ، وما قاله كل فريق منهم ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الأمة في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا في كتاب « أخبار الزمان » قول على في موافقه وخطبه ، وما قاله في ذلك ، وما أكرهه عليه ، وما بينه لهم بعد الحكومة ، وما تقدم الحكومة من تحذيره إياهم منها حين ألحوا في تحكيم أبي موسى الأشعري وعمر وحيث قال : ألا إن القوم قد اختاروا لأنفسهم أقرب الناس مما يحبون ، واختارتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهون ، إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس وهو يقول ؛ ألا إنها فتنة فقطعوا فيها أوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد أخطأ في مسيره غير مستكره عليه ، وإن يك كاذبا فقد لزمته التهمة ، وهذا كلام أبي موسى في تحذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن أمير المؤمنين على في حروبه ومسيره إلى الجمل وغيره ، ثم ما قاله في بعض مقاماته في معابته لقريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ووافق في خلافته كلام كثير فقال : وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب ، تربت أيديهم ، وهل فيهم أشد مِرَاساً لها مني ، لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين ، وما أناذا قد أريت على نيف وستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع

قال المسعودي : وإذا قد تقدم ذكرنا لجل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ، ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا ، والله أعلم .

ذكر حروبه رضى الله عنه مع أهل النهر وان

وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبى بكر الصديق

رضى الله عنه ، والأشتر النخعى ، وغير ذلك

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ،
ولحقوا بالمداين ، وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها : ذبحوه ذبحاً ، وبقروا
بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا غيرها من النساء ، وقد كان على انفصل عن
السكوفة فى خمسة وثلاثين ألفاً ، وأتاه من البصرة من قبل ابن عباس - وكان
عامله عليها - عشرة آلاف فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدى ،
وذلك فى سنة ثمان وثلاثين ؛ فنزل على الأنبار ، والتأمت إليه العساكر ؛ فخطب
الناس وحرصهم على الجهاد ، وقال : سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار ، قدما
طلما سعوا فى إطفاء نور الله وحرصوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
معه ، ألا إن رسول الله أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ،
والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ولم نلقهم بعد ، فسيروا إلى
القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا
جبارين يتخذهم الناس أرباباً ويتخذون عباد الله خولاً وما لهم دُولا ، فأبوا
إلا أن يبدؤا بالخوارج ، فسار على إليهم ، حتى أتى النهر وان ، فبعث إليهم
بالحرث بن مرة العبدى رسولاً يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه وبعثوا إلى على :
إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بايعناك ، وإن أبيت فاعتزلنا حتى
نختار لأنفسنا إماماً فانا منك برآء ، فبعث إليهم على أن ابعثوا إلى بقتلة إخوانى
فأقتلهم ثم أتاكم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ، ولعل الله يقلب قلوبكم ،
فبعثوا إليه : كلنا قتلة أصحابك ، وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون فى قتلهم ،

الخوارج
وفعلهم
بالمداين

فقد

مسير على إلى
النهر وان
والنقاؤه
بالخوارج

الكتاب

وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أن القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت ، وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلاوان و بغداد من بلاد خراسان ؛ فقال على : والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى تقتلهم بالرميلة دونه ، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر وعبروهم هذا الجسر ، وهو يأبى ذلك ، ويحلف أنهم لم يعبروه ، وأن مصارعهم دونه ، ثم قال : سيروا إلى القوم فوالله لا يفلت منهم إلا عشرة ، ولا يقتل منكم عشرة ، فسار على فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لأصحابه ؛ فلما أشرف عليهم قال : الله أكبر ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصافَّ القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له : قد رمونا ، فقال : كفوا ، فكررُوا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه ، فقال على : الله أكبر ، الآن حل قتالهم ، احمِلوا على القوم ، فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فخرج فيهم وجعل يفضي كل ناحية ويقول : —

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى عَلِيًّا أَلْبَسْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرِفِيًّا

فخرج إليه على رضى الله عنه وهو يقول : —

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِيَّ عَلِيًّا إِنِّي أَرَاكَ جَاهِلًا شَقِيًّا
قَدْ كُنْتَ عَنْ كِفَاحِهِ غَنِيًّا هَلُمَّ فَابْرُزْ هَاهُنَا إِلَيَّا

وحمل عليه على فقتله

ثم خرج منهم آخر فحمل على فقتل فيهم ، وجعل يكر عليهم وهو يقول : —

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبَا حَسَنٍ أَلْبَسْتُهُ بَصَارِمِي ثَوْبَ غَبْنٍ

فخرج إليه على وهو يقول : —

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِيَّ أَبَا حَسَنٍ إِلَيْكَ فَانْظُرْ أَئِنَّا يَلْقَى الْعَبْنُ

الذي

وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه ، فانصرف على وهو يقول :
لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره .

وحمل أبو أيوب الأنصارى على زيد بن حصن فقتله ، وقتل عبد الله بن
وهب الذى قتل هانىء بن حاطب الأزدي وزيد بن حفصة ، وقتل حرقوص بن
زهير السعدى ، وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ، ولم يفلت من الخوارج
إلا عشرة وأتى على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المُخَدِّجُ ذُو الثُّدِيَّةِ إلا من
ذكرنا من هؤلاء العشرة ، وأمر على بطلب المُخَدِّجِ فطلبوه فلم يقدرُوا عليه ،
فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المُخَدِّجِ ، فانهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ،
فقال : افرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه ، فقال على رضى الله عنه : الله
أكبر ، ما كذبت على محمد ، وإنه لناقص اليد ، ليس فيها عظم ، طرفها حامة
مثل ثدى المرأة ، عليها خمس شعرات أو سبع رءوسها معقفة ، ثم قال : ائتوني به
فنظر إلى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليه شعرات سود إذا
مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الأخرى ثم ترك فتعود إلى منكبه ،
فنفى رجله ونزل وخر لله ساجداً ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال : لقد صرعكم
من غركم ، قيل : ومن غركم ؟ قال : الشيطان وأنفسُ السوء ، فقال أصحابه : قد
قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ، فقال : كلا والذى نفسى بيده إنهم لفي أصلاب
الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة
بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأسمط يخرج إليه رجل منا أهل البيت
فيقتلهم ، ولا يخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة .

غنائم على
ودعوته إلى
السير للحرب

وجمع على ما كان في عسكر الخوارج فقسَّم السلاح والدواب بين المسلمين ،
ورد المتاع والعبيد والإماء إلى أهلهم ، ثم خطب الناس فقال : إن الله قد أحسن
إليكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين
قد كُتبت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فدعنا نستعد بأحسن

عدتنا ، وكان الذي كله بهذا الأشعث بن قيس ؛ فحسب على بالنخيلة ، فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم ، فلم يبق معه إلا نفر يسير ، ومضى الحرت ^{بعض جيش} ابن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية ، وهم من ولد سامية بن لؤى عند أنفسهم ، وقد أبى ذلك كثير من الناس ، وذكروا أن سامية بن لؤى ما أعقب ، وقد حكى عن علي فيهم ما قد ذكرنا في كتابنا في « أخبار الزمان » .

ولست ترى ساميا إلا منحرفا عن علي : من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف ، وقد أتينا على لُحْم من شعره وأخباره في الكتاب الأوسط ، ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام أنه كان يلعن أباه ، فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه ، فقال : بتسميته إياي عليا .

فسرح عليهم علي معقل بن قيس الرياحي ؛ فقتل الحرت ومن معه من المرتدين بسيف البحر ، وسب عيالهم وذرائعهم ، وذلك بساحل البحرين ، فنزل معقل بن قيس بعض كُور الأهواز بسبى القوم ، وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي ؛ فصاح به النسوة : امنن علينا ، فاشتراهن بثلاثمائة ألف وأعتقهن وأدى من المال مائتي ألف وهرب إلى معاوية ، فقتل علي : قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفرار العبد ، لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وإن عجز لم نؤاخذه بشيء ، وأخذ العتق ، وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات : —

تركتُ نساء الحى بكر بن وائل وأعتقتُ سبيًا من لؤى بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب
وفي ذلك يقول الآخر :

سامية ومصقلة الذي قد باع بيعة ربيعاً يوم ناجية بن سام

ولمصلحة أفعال أئانها وحيل عملها قد ذكرناها وما قال في ذلك من الشعر في الكتاب الأوسط

وقال على بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى إلى سامة بن لؤى بن غالب ابن محمد : -

وسامة ممتا فامّا بنوه فامرهم عندنا مظلم
أناس اتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى وكل أقاويله محكم
إذا ماسئت فلم تدرما تقول قتل ربنا أعلم

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمرا عليها حياته ، ووفى له بما تقدم من ضمانه ، فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر - وكان عامل على عليها - بالموضع المعروف بالمشاة ، فاقتتلوا ، فانهزم محمد لاسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بمصر فاخفى فيه ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قتل ، فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرها فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع في مصر يقال له كوم شريك ، وقيل : إنه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة ، وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فأظهر الفرح والسروز ، وبلغ عليا قتل محمد وسور معاوية فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه ، كان لي ريبيا ، وكنت أعدده ولدا ، كان بي برا ، وكان ابن أخي ، فعلى مثل هذا نحزن ، وعند الله نحسبه

عمرو بن
العاص يسير
إلى مصر

مقتل محمد بن
أبي بكر
وتحريقه

على يولى
الاشتر مصر
فيدس له
السم رجل
بالعريش

وولى على الأشتر مصر وأنفذه إليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان وكان بالعريش فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للأشتر بالسم في طعامه ، فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقان : أى الطعام

والشراب أحب إليه ؟ قيل : العسل ، فأهدى له عسلا ، وقال : إن من أمره
وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشتر ، وكان الأشتر صائما ، فتناول منه شربة فما
استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ،
وقيل : كان ذلك بالقرنم ، والأول أثبت ، فبلغ ذلك عليا ، فقال : لليدين وللعم ،
وبلغ ذلك معاوية فقال : إن لله جندا من العسل ، وقبض أصحابه عن علي في
هذه السنة ثلاثة أرزاق على حسب ما كان يحمل إليه من المال من أعماله ، ثم
ورد عليه مال من أصبهان فخطب الناس وقال : اغدوا إلى عطاء رافع ، فوالله ما
أنا لكم بخازن ، وكان في عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم

ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب إلا ما وصفنا بصفين ، وكان معاوية
في بقية أعمال على يبعث سرايا تغير ، وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا
معاوية من أذية الناس ، وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من
كتبنا .

قال المسعودي رحمه الله : وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف
من أهل الآراء في الخوارج وغيرهم من فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه
فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين وإجهازه على جرحاهم ويوم
الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان
أمنا ، وما أجابهم به شيعة على في تباين حكم على في هذين اليومين لاختلاف
حكمهما ، وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما
رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لأمره مخالفين ، فرضوا
بالكف عنهم ، وكان الحكم فيهم رفع السيف ؛ لئلا لم يطلبوا عليه أعوانا ،
وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام منتصب : يجمع لهم السلاح ،
ويُسنى لهم الأعطية ، ويقسم لهم الأموال ، ويجبر كسيرهم ، ويحمل راجلهم ،
ويردّم فيرجعون إلى الحرب ، وهم إلى إمامته منقادون ، ولرايه متبعون ، ولغيره

الفرق بين
صفين والجمل

مخالفون ، ولا مامته تاركون ، ولحقه جاحدون ، وبأنه يطلب ما ليس له قائلون ؛
فاختلف الحكم لما وصفنا ، وتباين حكمهما لما ذكرنا ، ولكل فريق من السائل
والجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه : قد أتينا على استيعابه وما ذكره كل
فريق منهم فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن إعادته ، والله أعلم

ذكر مقتل علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج ، فتذاكروا الناس وما هم
فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن
العاص ، وتواعدوا واتفقوا على أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه
إليه حتى يقتله أو يُقتلَ دونه ، وهم : عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ، وكان من
تجيب ، وكان عدادهم في مُراد ، فنسب إليهم ، وحجاج بن عبد الله الصُرَيْمِي ،
ولقبه البرك ، وزادويه مولى بني العنبر ، فقال ابن ملجم : أنا أقتل عليا ، وقال
البرك : أنا أقتل معاوية ، وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص ، واتعدوا
أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين .
فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى علي ، فلما قدم الكوفة أتى قطام
بنت عمه ، وكان عليُّ قتل أباه وأخاه يوم النهروان ، وكانت أجمل أهل زمانها
فخطبها ، فقالت : لا أتزوج حتى تسمى لي ، قال : لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك ،
فقالت : ثلاثة آلاف وعبدا وقينة ، وقتل علي ، فقال : ما سألت هولاك مهر ، إلا
قتل علي فلا أراك تدركينه ، قالت : فالتمس غيرةً ، فان أصبته شفيت نفسي
ونفك العيش معي ، وإن هلك فمات عند الله خير لك من الدنيا ، فقال : والله
ما جاء بي إلى هذا المصروقد كنت هاربا منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت
وخرج من عندها وهو يقول : —

تعاهد ثلاثة
من الخوارج
على قتل
علي ومعاوية
وعمر

ابن ملجم
قاتل علي

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَقَتْلٌ عَلَى بِالْحَسَامِ الْمُصَمَّمِ

فَلَا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلَى وَإِنْ عَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتَكَ ابْنِ مُلْجَمٍ

فلقية رجل من أشجع يقال له شبيب بن بحيرة من الخوارج ، فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : أتساعدني على قتل على ؟ قال : شككتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً ، قد عرفت غناه في الاسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن ملجم : ويحك ، أما تعلم أنه قد حكم الرجال في كتاب الله ، وقتل إخواننا المصلين ؟ فنقتله ببعض إخواننا ، فأقبل معه حتى دخل على قَطَام ، وهى في المسجد الأعظم ، وقد ضربت كَلَّةً به وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، فأعلمتهما أن مجاشع ابن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما ، فدعت لهما بحريز وعصبتهم وأخذوا أسياфهم ، وقعدوا مقابلين لباب السُّدَّة التى يخرج منها على للمسجد ، وكان على يخرج كل غداة أول الأذان للصلاة ، وقد كان ابن ملجم مر بالأشعث وهو في المسجد ، فقال له : فَضَحَكَ الصَّبْحُ ، فسمعا حُجْر بن عدى ، فقال : قتلته يأعور قتلك الله ، وخرج على رضى الله عنه ينادى : أيها الناس ، الصلاة ، فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله لالك ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه ، وأما شبيب فوقعت ضربته بعُصَادَة الباب ، وأما ابن وردان فهرب ، وقال على : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس على ابن ملجم يَرْمُونَهُ بِالْحَصْبَاءِ ، ويتناولونه ، ويصيحون ، ف ضرب ساقه رجل من همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن ، ودخل شبيب بين الناس ، فنجأ بنفسه وهرب ، حتى أتى رحله ، فدخل إليه عبد الله بن بحرة - وهو أحد بنى أبيه - فرآه ينزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك ، فخبّره خبره ، فانصرف عبد الله إلى رحله وأقبل إليه بسيفه فضربه حتى قتله . وقيل : إن عليا لم يَمِمْ تلك الليلة ، ولأنه لم يزل يمشى

بين الباب والحجرة ، وهو يقول : والله ما كذبتُ ولا كذبتُ ، وإنها لكَلِيْلَةٌ التي وعدت ، فلما صرخ بَطَشَ كان للصبيان صاح بهن بعض من في الدار ، فقال على : ويحك ، دعهن فانهن نوائح

وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى إلى ابنه الحسن والحسين لأنهما شريكاه في آية التطهير ، وهذا قول كثير ممن ذهب إلى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن فقدناك ، ولا نفقدك ، أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم ، أتم أبصر ؛ ثم دعا الحسن والحسين ؛ فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بَغَتكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضعيف ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطعن أمراً دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به ، فانه سيفكما وابن أبيكما ، فأكرماه واعر فاحقه

فقال له رجل من القوم : ألا تعهد يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تقول لربك إذا أتيت ؟ قال : أقول : اللهم إنك أبقيتني فيهم ماشئت أن تبقيني ، ثم قبضتني وتركتك فيهم ، فان شئت أفسدتهم ، وإن شئت أصلحتهم ، ثم قال : أما والله إنها لليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة ، وقبض ليلة إحدى وعشرين وبقى على الجمعة والسبت وقبض ليلة الأحد ، ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخباره تنازع الناس في موضع قبره ، وما قيل في ذلك

وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة ، وقيل : اثنتان وستون . وقد قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه ؛ وكان كما قال الحسن : والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة ، ولا يدركه الآخرون ،

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه ، وكبر عليه سبعا ، وقيل غير ذلك

تركة على

ولم يترك صفراء ولا بيضاء ، إلا سبعة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يشتري بها خادما لأهله ، وقال بعضهم : ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه .

قتل ابن

ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر : دعوني حتى أشفى نفسي منه ، فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى إذا صار جمره كحله به ،

ملجم وما قيل فيه

فقال : سبحان الذي خلق الانسان ، إنك لتكحل عمك بمول بصاص ، ثم إن الناس أخذوه وأدرجوه في بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق

وفيه يقول عمر بن الخطاب بن حطّان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعر له طويل :-

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أو في البرية عند الله ميزانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي : -

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم للمعون بهتانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركانا
إني لأذكره يوما فألعنه دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله إسرارا وإعلانا
فأنتا من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهانا وتبياننا

وزاد بعضهم على هذه الأبيات بيتا آخر وهو : -

عليكما لعنة الجبار ما طلعت شمس وما أوقدوا في الكون نيرانا
معارضة لبيتى اللعين ابن حطان لعنه الله في ابن ملجم أخزاه الله : -
قل لابن ملجم والأقدار غالبية هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم وأول الناس إسلاما وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولانا وناصره
وكان منه على رغم الحسود له
وكان في الحرب سيفاً صامداً كراً
ذكرت قاتله والدمع منحدر
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد إذا عدت قبائلها
كما قر الناقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تممله
لقوله في شقى ظل مجترما
يا ضربة من تقي ما أراد بها
بل ضربة من غوى أورثته لظي
كأنه لم يرد قصدا بضربته
إلا ليصلي عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولأبيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في
كتابنا « أخبار الزمان » في باب أخبار الخوارج من الأزارقة والأباضية والحرورية
والصفورية والهجرية وغيرهم من فرق الخوارج إلى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ؛ وكان
آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان ، فأدخل على المقتدر بالله ، بعث به
ابن حمدان من هرموناء ، وقد كان خرج في أيامه أيضا المعروف بأبي شعيب

وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت وإلى هذه
الغاية ، وذكروا مقتله ، ومن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلي من أبيات : -
رثاء أبي
الاسود على
رضي الله عنه

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيونُ الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعثمونا بخير الناس طراً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ودَلَّهَا ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثنى والمبينا
إذا استقبلت وجهه أبي حُسين رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قریش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينا

البرك التيمى
ضارب معاوية

وانطلق البرك الصريمى إلى معاوية فطعنه بخنجر فى أليته وهو يصلى ،
فأخذ وأوقف بين يديه ، فقال له : ويلك ! ! وما أنت وما خبرك ؟ قال :
لا تقتلنى ، وأخبره ، قال : إنا تبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى على عمرو ؛
فإن أردت فأحبسنى عندك فإن كانا قتلا وإلا خليت سبيلى فطلبت قتل على ولك
على أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدى فى يدك ؛ فقال بعض الناس : قتله
يومئذ ، وقال بعضهم : حبسه حتى جاءه خبر قتل على فأطلقه

زادويه
ضارب عمرو

وانطلق زادويه عمرو بن بكر التيمى إلى عمرو بن العاص ، فوجد خارجة
قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو ، وقيل : بل صلى
خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم ، وتحلف عمرو عن الصلاة لعارض ؛ فضربه
بالسيف ، فدخل عليه عمرو وبه رَمَق ، فقال له خارجة : والله ما أراد غيرك ،
فقال عمرو : ولكن الله أراد خارجة ، وأوقف الرجل بين يدى عمرو ، فسأله
عن خبره ، فقص عليه القصة ، وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا فى هذه الليلة ،
فقال : إن قتلا أولم يقتلا فلا بد من قتلك ، فبكى ، فقيل له : أجزعا من الموت
مع هذا الاقدام ؟! فقال : لا والله ، ولكن غما أن يفوز صاحبائى بقتل على ومعاوية
ولا أفوز أنا بقتل عمرو ؛ فضرب عنقه وصلب

وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل :

تَلَكُمُ قَرِيشَ تَمَنَّائِي لَتَقْتُلَنِي فلا وربك ما برَّوا وما ظفروا
فإن هَلَكْتُ قَرَهْنُ ذَمِّي لَهُمْ بذات ودَّ قَيْن لا يعفو لها أثر
وكان يكثر من ذكر هذين البيتين : -

أَشَدُّ حَيَازِيْمَكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيْكَ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيْكَ

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه ، فإنه قد خرج إلى المسجد وقد عسر
عليه فتح باب داره ، وكان من جذوع النخل ، فاقتلعه وجعله ناحية ، وانحل
إزاره ، فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين

وقد كان معاوية دس أناسا إلى الكوفة يشيعون موته ، وأكثرت الناس
القول في ذلك حتى بلغ عليا فقال في مجلسه : قد أكثرتم من نعي معاوية ، والله
ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي وإنما أراد ابن آكلة الأكباد أن
يعلم ذلك مني ، فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه ، وما يكون
من أمره في المستقبل من الزمان ، ومر في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن
تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب ، فارتفع
الضجيج وكثر البكاء والشهيق ، فقام قائم من الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد
وصفت أمورا عظيمة آله إن ذلك كائن ؟ قال على : والله إن ذلك لكائن ،
ما كذبت ولا كذبت ، فقال آخرون : متى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا
خضبت هذه من هذه ، ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه ، فأكثر
الناس من البكاء ، فقال : لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا ،
فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم ، واتخذوا عنده الأيادي ،
فوالله ما مضت إلا أيام قلائل حتى كان ذلك ، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب
بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن
أبي سفيان ، والله ولي التوفيق

معاوية بأمر
أن يشيع مقتله
في الناس

ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده

رضوان الله عليه

لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ، ولا اقتنى ضيعة ولا ريحا ، إلا شيئا كان له بسرف مما تصدق به وحبسه ، والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ؛ تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا

وقيل له : من خيار العباد ؟ قال : الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساؤا استغفروا ، وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا غضبوا غفروا

وكان يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، الدنيا مسجد أحباء الله ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط وحيه ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد أذنت بينها ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، ومثلت لهم بيلائها البلاء ، وشوقت بسرورها إلى السرور ، وراحت بفسحة ، وابتكرت بعافية ؛ تحذيرا وترغيبا وتخويفا ، فذمها رجال غيب الندامة ، وحمدوها آخرون غب المكافأة ، ذكروا فذكروا نصارى فيها ، وصدقهم فصدقوا حديثها ، فيا أيها النادم للدنيا المغتر بفرورها ، متى استدامت لك الدنيا ؟ بل متى غرتك من نفسها ؟ أمضاج آباءك من البلى ؟ أم بمصارع أمهاتك من الثرى ؟ كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الأطباء ؟ لم تنفعه بشفائك ، ولم تستعف له بطببتك ، قد مثلت لك به الدنيا نفسك ، وبمصرعه مصرعك ، غداة لا ينفعك بكاؤك ، ولا يغنى عنك أحباؤك . ولا تسمع في مدح الدنيا أحسن من هذا

ومما حفظ من كلامه في بعض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال : ألا إن الدنيا قد ارتحلت مذبذبة ، وإن الآخرة قد دنت مقبلة ، ولهذه أبناء ، ولهذه أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا ،

والراغبين في الآخرة ، إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا ، والتراب فراشا ، والماء طيبا ، وقوّضوا الدنيا تقويضا ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الخير سارع في الخيرات ، ألا وإن لله عبادا يرون أهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين ، قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، أنفسهم عفيفة ، وحاجتهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى ، راحة طويلة ، أما الليل فصافوا أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى ربهم ، ويسعون في فكاك رقابهم ، وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء ، كأنهم القداح برأهم الخوف والعبادة ، ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ؛ وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها

وقال لابنه الحسن : يا بني ، استغن عن شئت تكن نظيره ، وسل من شئت تكن حقيقه ، وأعط من شئت تكن أميره

ودخل عليه رجل من أصحابه فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحت ضعيفا مذنبا ، آكل رزقي ، وأنظر أجلى ، قال : وما تقول في الدنيا ؟ قال : وما أقول في دار أولها غم ، وآخرها موت ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، قال : فأى الخلق أنعم ؟ قال : أجساد تحت التراب ، قد أمنت العقاب ، وهى تنتظر الثواب

ودخل ضرار بن حمزة — وكان من خواص على — على معاوية وافدا ، فقال له : صف لى عليا ، قال : أعفى يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : لا بد من ذلك ، فقال : أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فضلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ، ومن اللباس ما قصر ، وكان والله يمجينا إذا دعوانه ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه

ضرار بن حمزة يصف عليا لمعاوية

هيبة له ، ولا نبذته لعظمه في نفوسنا ، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم في المسغبة يتما ذا مقربة أو مسكينا ذا مقربة يكسو العريان ، وينصر الهمهان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ يتململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرّى غيرى ، ألى تعرضت أم إلى تشوفت ؟ هيهات هيهات !! لا حان حينك ، قد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك ، عمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد ، ووحشة الطريق

فقال له معاوية : زدنى شيئا من كلامه ، فقال ضرار : كان يقول : أعجب ما فى الانسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلفها ، فان سنع له الرجاء أماله الطمع ، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه القنوط قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ ، وإن أماله الخوف فضحه الجزع ، وإن أفاد مالا أطعاه الغنى ، وإن عضته فاقة فضحه الفقر ، وإن أجهدته الجوع أقعده الضعف ، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد

فقال له معاوية : زدنى كلما وعيته من كلامه ، قال : هيهات أن آتى على جميع ما سمعته منه ، ثم قال : سمعته يوصى كميل بن زياد ، يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ، ونفسه كريمة على الله ، وظالمه خصم الله ، وأحذركم من ليس له ناصر إلا الله

قال : وسمعته يقول ذات يوم : إن هذه الدار إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم
قال : وسمعته يقول : بطر الغنى يمنع من عز الصبر

قال : وسمعتة يقول : ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبدة ، وسكوته فكرة ،
وكلامه حكمة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار
بمؤتة من أرض الشام لا يبعث بعلى في وجهه من الوجوه إلا يقول : « رب
لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين »

وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين خشن ، فكشفهم ،
فقال جبريل : يا محمد ، إن هذه لهى المواساة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :
« إني عليا منى » قال جبريل : وأنا منكم كذلك ، ذكره إسحق بن
إبراهيم وغيره

ووقف على سائل فقال للحسن : قل لأملك تدفع إليه درهما ، فقال :
إنما عندنا ستة دراهم للديق ، فقال على : لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما في
يد الله أوثق منه بما في يده ، ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها ، فابرح على رضى
الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا ، فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما ، وأنسا
أجله ثمانية أيام ، فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبهير معقول فقال : بكم هذا ؟
فقال : بمائتي درهم ، فقال : قد أخذته ، فوزن له الثمن ، فدفع على منه مائة
وأربعين درهما للذى ابتاعه منه ، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام ،
فسألته : من أين هى ؟ فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم
(من جاء بالחסنة فله عشر أمثالها)

ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونونه ، فقال لقائده : أدنى منهم ،
فأذناه ، فقال : أيكم الساب لله ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله ، فقال : أيكم
الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم الساب على بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه
فنعم ، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سبني

دفاع ابن
عباس عن على

فقد سب الله ، ومن سب عليا فقد سبني » فأطرقوا ، فلما ولى قال لقائده : كيف رأيتم ؟ فقال : —

نظروا إليك بأعين مژورة نظر التيوس إلى شِفَارِ الجازر
فقال : زدني فداك أبي وأمي ، فقال : —

خُزِرَ العيون مُنْكَسِّي أَذْقَانِهِمْ نظر الدليل إلى العزيز القاهر
قال : زدني فداك أبي وأمي ، قال : ما عندي مزيد ، ولكن عندي
أحياء ثم تجني على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر

مقالته صبيحة
مقتله

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد
ابن علي بن الحسين بن علي أن عليا قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن
ابن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم : كل
امرئ ملاقيه ما يفر منه ، والأجل تساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم
ا طردت الأيام أتجنيها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عز وجل الإخفاء ، هيهات
علم مكنون ، أما وصيتي فلا تشركوا به شيئا ، ومحمد لا تضيعوا سنته ، أقيموا
هذين العمودين ، حمل كل امرئ منكم مجهوده ، وخفف عن الحملة رب رحيم ،
ودين قويم ، وإمام عليم ، كنفاني إعصار ذي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها
فقطها من الأرض حيا وبق من بعدى خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد
نطق ، ليعظكم هذوئي وخفوت أطرافي ، إنه أوعظ لكم من نطق البليغ ،
ودعتكم وداع امرئ مرصد لتلاق ، وغدا ترون ويكشف عن ساق ، عليكم
السلام إلى يوم المرام ، كنت بالأمس صاحبكم واليوم غظة لكم وغدا أفاركم
إن أفق فأنا ولي دمي ، وإن أمت فالقيامة ميعادي ، والعفو أقرب للتقوى ، ألا
تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم

ومن خطبه قبل هذا وترهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه :
إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أشرفت وأقبلت باطلاع

وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا إنكم في أيام أمل وراءه أجل ؛ فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد حسن عمله ، فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون في الرهبة ، ألا وإنى لم أركلجنة نام طالبا ، ولا كالنار نام هاربا ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه الضلال ، وقد أمرتم بالظمن ودلتم على الزاد ، فإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل

وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب ، أو يبلغه إسهاب مسهب ، أو إطناب مطنب ، وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره ، وأنواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب « حقائق الأذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام » وفي كتاب « مزاهر الأخبار ، وظرائف الآثار ، للصفوة النورية والنورية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة »

قال المسعودي : والأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقربى منه ، والقناعة ، وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع والزهد ، والقضاء والحكم ، والعفة والعلم ، وكل ذلك أعلى عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه « أنت أخي » وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ، ولا ند ، وقوله صلوات الله عليه « أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر : اللهم أدخل إلى أحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فدخل عليه على ، إلى آخر الحديث ، فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع

فيه من الخصال مما تفرق في غيره ، ولكل فضائل ممن تقدم وتأخر ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقها لظواهرهم بالإيمان ، وبذلك نزل التنزيل ، وتولى بعضهم بعضا ، فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت أمور تنازع الناس في صحتها ، ولا يقطع عليهم بها ، واليقين من أمورهم ماتقدم ، وما روى مما كان في إحداثهم بعد نبينهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن ، بل هو ممكن ، ونحن نعتقد فيهم ماتقدم ، والله أعلم بما حدث والله ولي التوفيق

ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

وقت البيعة ثم بويع الحسن بن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي أبيه بيومين ، في شهر رمضان من سنة أربعين ، ووجه عماله إلى السواد والجبل ، وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ، ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة إحدى وأربعين ، وكانت وفاة الحسن - وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة - بالسهم ، ودفن بالبقيع مع أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ولي التوفيق .

ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه

حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال : دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقى السم ، فقام لحاجة الإنسان ثم رجع ، فقال : لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه ، لقد لفظت طائفة من كبدي فأيتني أقبه بعود في يدي ، فقال له الحسين : يا أخي ، من سقاك ؟ قال : وما تريد بذلك ؟ فإن كان الذي أظنه فإله حسيه ، سم الحسن

وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي برىء ، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثا حتى توفي رضى الله عنه .

وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى سقته السم ، وقد كان معاوية دس إليها : إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم ، وزوجتك يزيد ، فكان ذلك الذى بعثها على سمه ، فلما مات وفى لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها : إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه وذكرك أن الحسن قال عند موته : لقد حاقت شربته ، وبلغ أمنيته ، والله ما وفى بما وعد ، ولا صدق فيما قال .

وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له النجاشى يرثى الحسين رضى الله عنه —

جعدة بكىه ولا تسأى بعدُ بكاء المَعُولِ الثا كل
لم يُسَبَلِ السَّتر على مثله فى الأرض من حافٍ ومن ناعل
كان إذا شَبَّتْ له ناره يرفعها بالسند الغاتل
كما يراها بأس مُرْمِلٌ وفرد قوم ليس بالآهل
يغلى بئى اللحم حتى إذا أنضجه لم يغل من آكل
أعنى الذى أسلمنا هلكه للزمن المستخرج الماحل

وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه : —

تأسَّ فكم لك من سَلَوَةٍ تَفَرِّجُ عنك غليل الحزن
بموت النبی وقتل الوصی وقتل الحسين وسمَّ الحسن

قال المسعودى رحمه الله : ووجدت فى كتاب « الأخبار » لأبى الحسن على ابن محمد بن سليمان النوفلى عن صالح بن على بن عطية الأصم قال : حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمى ، عن أبى عون صاحب الدولة ، عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه ، عن جده ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال :

كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل على بن أبي طالب ، فلما رآه أسفر في وجهه ، فقلت : يا رسول الله ، إنك لتسفر في وجه هذا الغلام ، فقال : يا عم رسول الله والله أشد حُبًّا له مني ، ولم يكن نبي إلا وذريته الباقية بعده من صلبه ، وإن ذريتي بعدي من صلب هذا ، إنه إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم سترًا من الله عليهم ، إلا هذا وشيعته فانهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم

ولما دفن الحسن رثاء ابن
الحنفية للحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية أخوه على قبره فقال :
لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء ؟ غذك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدي الإيمان ، وربيت في حجر الاسلام ، فطبت حيا وميتا ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد

ووجدت في وجه آخر من الروايات في أخبار أهل البيت أن محمدا وقف على قبره فقال : أبا محمد ، لئن طابت حياتك فقد فجع مماتك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت خامس أهل الكساء ، وابن محمد المصطفى ، وابن علي المرتضى ، وابن فاطمة الزهراء ، وابن شجرة طوبى ، ثم أنشأ يقول رضي الله عنه : —

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي وخذك مغفور وأنت سليم

أأشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لهيب

سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما أخضر في دوح الحجاز قضيب

غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب

ووجدت في بعض كتب التواريخ في أخبار الحسن ومعاوية أن بخلافه الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وعمر

رضى الله عنه عشر سنين وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، وعثمان رضى الله عنه إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، وعلى رضى الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر ويوما ، والحسن رضى الله عنه ثمانية أشهر وعشرة أيام ؛ فذلك ثلاثون سنة

وحدث محمد بن جرير الطبرى ، عن محمد بن حميد الرازى ، عن على بن مجاهد ، عن محمد بن إسحق ، عن الفضل بن عباس بن ربيعة ، قال : وفد عبد سرور معاوية الله بن العباس على معاوية ، قال : فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها ، فقالت : سرى الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذى بلغك فسررت به ؟ قال : موت الحسن بن على ، فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم بكيت وقالت : مات سيد المسلمين ، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : نعم والله ما فعلت ، إنه كان كذلك أهلاً أن يبكى عليه ، ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما ، فراح فدخل على معاوية ، قال : علمت يا ابن عباس أن الحسن توفى ، قال : أذلك كبرت ؟ قال : نعم ، قال : والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ، ولا حفرت به سادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، ثم بعدُ بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ، ورفع تلك العبرة ، فقال : ويحك يا ابن عباس ما كلمتك إلا وجدتك معداً

وفى نسخة إنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الخضراء ، وكبر أهل سرور معاوية الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة بصلح الحسن من خوخة لها ، فقالت : سرى الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذى بلغك ؟ قال : أتأنى البشير بصلح الحسن وانقياده ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن ابني هذا سيد أهل الجنة ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » فالحمد لله الذي جعل فتيي إحدى الفئتين

خطبة الحسن
بعد صلحه
معاوية

ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو ابن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال : ما أريد أن يخطب ، قال عمرو : لكني أريد أن يبدو عيه في الناس بأنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي ، ولم يزل به حتى أطاعه ؛ فخرج معاوية فخطب الناس ، وأمر رجلا أن ينادي بالحسن بن علي ، فقام إليه ، فقال : قم يا حسن فكلم الناس ، فتشهد في بديهته ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فان الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل إن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) ثم قال في كلامه ذلك : يا أهل الكوفة ، لم تذهب نفسى عنكم إلا لثلاث خصال : أذهلت مقتلكم لأبي ، وسلبكم ثقلى ، وطعنكم في بطنى ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سراق الحسنة ورحله ، وطعنوا بالخنجر في جوفه ، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح

خطبة للحسن
في حياة أبيه

وقد كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله لم يبعث نبيا إلا اختار له نفسا ورهطا وبيتا ، فوالذي بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين

خطبة أخرى
للحسن

ومن خطب الحسن رضي الله عنه في أيامه في بعض مقاماته أنه قال : نحن حزب الله المفاحون ، وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، وأهل بيته

الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
والمعول عليه في كل شيء ، لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا فإطاعتنا
مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة (فإن تنازعتم في شيء
فردوه إلى الله والرسول ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم) وأحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدو مبين
فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار
إكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني براء منكم إني أرى
مالاترون) فتلقون للرماح أزرا ، وللسيوف جزرا ، وللعمد خطأ ، وللسهام
غرضا ، ثم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها
خيرا ، والله أعلم

ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان

بويع معاوية في شوال سنة إحدى وأربعين بيت المقدس ، فكانت أيامه
تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وتوفي في رجب سنة إحدى وستين ، وله ثمانون
سنة ، ودفن بدمشق بباب الصغير ، وقبره يزار في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة - وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله

وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجير بن عدي الكندي ، وهو أول
من قتل صبرا في الاسلام : حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه
من أهل الكوفة وأربعة من غيرها ، فلما صار على أميال من الكوفة يراد به
دمشق أنشأت ابنته تقول ولا عقب له من غيرها :

زمان بيعته
ووفاته ومدفنه

مقتل حجير
ابن عدي
الكندي

ترفع أيها القمر المنير لهلاك أن ترى حجرا يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله ، كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق وتأكل من محاسنه النور
تخيرات الخبائر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بني عدى تلقى السلام والسلامة والسرور
أخاف عليك ما أوردى عليا وشيخا في دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم إلى هلك من الدنيا يصير

ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلا من دمشق تقدم البريد
بأخبارهم إلى معاوية ، فبعث برجل أعور ، فلما أشرف على حجر وأصحابه قال
رجل منهم : إن صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقيون ، فقيل له :
وكيف ذلك ؟ قال : أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه ، فلما وصل إليهم
قال لحجر : إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك يارأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان
والتولى لأبي تراب وقتل أصحابك ، إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم
وتبرؤا منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : إن الصبر على حد السيف
لأيسر علينا مما تدعونا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب
إلينا من دخول النار ، وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من على ، فلما
قدم حجر ليقول قال : دعوني أصلي ركعتين ، فاجعل يطول في صلاته ، فقيل له :
أجزعنا من الموت ؟ فقال : لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت ، وما
صليت قط أخف من هذه ، وكيف لا أجزع وإني لأرى قبرا محفورا ، وسيفا
مشهورا ، ثم قدم فحمر ، وألقى به من واقفه على قوله من أصحابه ، وقيل :
إن قتلهم كان في سنة خمسين .

وذكر أن عدى بن حاتم الطائي دخل على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات ؟ يعني أولاده ، قال : قتلوا مع علي ، قال : ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده ، فقال عدى : ما أنصفك على إذ قتل و بقيت بعده ، فقال معاوية : أما إنه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشرف اليمن ، فقال عدى : والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعل عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر قرأ لندنين إليك من الشر شبرا ، وإن حزّ الحقوم وحشّر جة الخيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف ، فقال معاوية : هذه كلمات حكم فاكتموها ، وأقبل على عدى محادثا له كأنه ما خاطبه بشيء .

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان تنازع إليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة ابن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض ، فقال عمرو لأسامة : كأنك تنكرني ، فقال أسامة : ما يسرفني نسبك بولائي ، فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب الحسن ، وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب أسامة ، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان ، فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد ، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين ، وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر ، فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر ، فلما رأى ذلك معاوية قال : لا تعجلوا ، أنا كنت شاهدا إذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة ، فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين ، وأقبل الأمويون عليه فقالوا : ألا كنت أصاحت بيننا ، قال : دعوني فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقلي ، وإن الحرب أوها نجوى ، وأوسطها شكوى ، وآخرها بلوى ، وتمثل بأبيات امرئ القيس المتقدمة في هذا الكتاب في أخبار عمر رضى الله عنه ، وأوها :

الحرب أول ما تكون فتية تدنو بزيتها لكل جهول

ثم قال : مافى القلوب يشب الحروب ، والأمر الكبير يدفعه الأمر الصغير ،
ومثل : —

قد يلحق الصغير بالجليل وإنما القرم من الأفيل

* وتسحق النخل من الفسيل *

قال المسعودى : ولما هم معاوية بالحق زياد بأبي سفيان أبيه — وذلك فى سنة
أربعين — شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك بن ربيعة السولى والمنذر
ابن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه ، وأن أبا سفيان قال لعلى عليه
عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب : —

أما والله لولا خوف شخص يرانى يا على من الأعدى
لبين أمره صخر بن حرب ولم يكن المحجم عن زياد (١)
ولكنى أخاف صروف كف لها تقم وتقبى عن بلادى
فقد طالت محاولتى ثقيفا وتركى فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقيناً إلى ذلك شهادة أبى مريم السولى ، وكان أخبر الناس ببسء
الأمر ، وذلك أنه جمع بين أبى سفيان وسمية أم زياد فى الجاهلية على زنا ،
وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة إلى الحرث بن كعدة ،
وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر فى محلة
يقال لها حارة البغايا .

وكان سبب ادعاء معاوية فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عليا كان
ولاه فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف ، ف ضرب زياد ببعضهم بعضا حتى
غلب عليها ؛ وما زال ينتقل فى كورها حتى صلح أمر فارس ؛ ثم ولاه على إصطخر
وكان معاوية يتهدده ؛ ثم أخذ بسر بن أرطاة عبدة الله وسلمان ولديه وكتب إليه
يقسم ليقبض عليهما إن لم يرجع ويدخل فى طاعة معاوية ويرده على عمله ؛ فقدم زياد
على معاوية ؛ وكان المغيرة بن شعبه قال لزياد قبل قدومه على معاوية : ارم

(١) لعله « ولم يكن المحجم عن زياد » .

الغرض الأقصى ودع عنك الفضول؛ فان هذا الأمر لا يمد إليه أحديدا إلا الحسن ابن علي، وقد بايع معاوية، فخذها لنفسك قبل التواطين، قال زياد: فأشعر علياً، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتغير الناس منك أذنا صماء، فقال زياد: يا ابن شعبة، أغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه، ثم إن زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأى ابن شعبة، وأرسلت إليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها، فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه، وقالت: أنت أخي، أخبرني بذلك أبو مريم، ثم أخرجه معاوية إلى المسجد، وجمع الناس، فقام أبو مريم السلولي فقال: أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال: ابغى بغيها، فأتيته وقلت: لم أجد إلا جارية الحرث بن كلدة سمية، فقال: ائتي بها على ذفرها وقذرها، فقال له زياد: مهلا يا أبا مريم، إنما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما، فقال أبو مريم: لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت، والله لقد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا؛ فلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه، فقلت: مه يا أبا سفيان، فقال: ما أصبت مثلها يا أبا مريم، لو لا استرخاء من ثديها وذفر من فيها، فقام زياد فقال: أيها الناس، هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم، ولست أدري حق ذلك من باطله، وإنما كان **عبد بنيا مبرورا** أو **وليا مشكورا**، والشهود أعلم بما قالوا، فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي — وكانت صفية مولاة سمية — فقال: يا معاوية، / قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت أن الولد للعاهر وأن الحجر للفراش، مخالفة لكتاب الله تعالى، وانصرفا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان، فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها، فقال يونس: هل إلا إلى الله ثم أقع؟ قال: نعم وأستغفر الله، فقال

شهادة أبي
مريم السلولي

اعتراض يونس
ابن عبيد بن
أسد على
استلحاق
معاوية لزياد

عبد الرحمن بن أم الحكم في ذلك ، ويقال : إنه يزيد بن مفرغ الحميري : —
 ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل الياني
 أتغضب أن يقال : أبوك عف وترضى أن يقال : أبوك زاني
 فأشهد أن رحمتك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
 وفي زياد وإخوته يقول خالد النجاري : —

إبن زيادا ونافعا وأبا بكرة عندي من أعجب العجب
 إبن رجالا ثلاثة خلقوا من رحم أني مخالف النسب
 ذا قرشي فيما يقول ، وذا مولى ، وذا ابن عمه عربي

ولما قتل على كرم الله وجهه كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم
 ابن عتبة بن أبي وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم إحن ، فلما استعمل معاوية
 زيادا على العراق كتب إليه : أما بعد ، فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة ، فشد
 يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى ، فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا إلى دمشق ؛
 وقد كان زياد طريقه بالليل في منزله بالبصرة ، فأدخل إلى معاوية وعنده عمرو
 ابن العاص ، فقال معاوية لعمرو بن العاص : هل تعرف هذا ؟ قال : لا ، قال :
 هذا الذي يقول أبوه يوم صفين :

عبد الله بن
 هاشم بن عتبة
 وعمرو ابن
 العاص بين
 يدي معاوية

إني شريتُ النفس لما اعتلَّ وأكثر اللومَ وما أقلَّ
 أعور يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا
 لا بد أن يُقْل أو يُفْلأ أسلهم بذى الكعوب سلا
 لا خير عندي في كريم ولي

فقال عمرو متمثلا : —

وقد يَنْبُتُ المرعى على دمن الثرى وتبقى حَزَزَاتُ النفوس كما هي
 دونك يا أمير المؤمنين الضب الضب فاشخب أوداجه على أسباجه ، ولا
 ترده إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب
 إبليس ليوم هيجانه ، وإن له هوى سيوديه ، ورأيا سيظفيه ، وبطانة ستقويه ،

وجزاء سيئة سيئة مثلاً ، فقال عبد الله : يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال ، وأنت تلوذ بشمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء ، لا تدفع يد لأمس ، فقال عمرو : أما والله لقد وقعت في لهاذم شذقم للأقران ذى لبد ، ولا أحسبك منفلتاً من مخالب أمير المؤمنين ، فقال عبدالله : أما والله يا ابن العاص إنك لبطرفي الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم إذ وكيت ، هيّاب إذا لقيت ، تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل في المدة ولا يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صفاراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ، يدعمون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعززون الدليل ، فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشائه ، وتبقى أمعاؤه ، وتضطرب أصلاؤه ، كأنما انطبق عليه ضمد ، فقال عبد الله : يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلتك فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسأمونك ، ولورمت المنطق في غير أهل الشام لبحظ إليك عقلك ، ولتأجلج لسانك ، ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حملة ، فقال معاوية : أيها عنكب ، وأمر بإطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية : —

أمرتك أمرًا حازماً فعصيتني
أليس أبوه يا معاوية الذي
فلم يثنى حتى جرت من دماننا
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه

فقال عبد الله يحبيه : —

معاوى إن المرء عمرًا أبت له
يرى لك قتلى يا ابن هند ، وإنما
ضعيفة صدر غشها غير نائم
يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم

على أنهم لا يقتلون أسيرهم
وقد كان منا يوم صفين نقرة
قضى ما قضى منها، وليس الذي مضى
فإن تعف عنى تعف عن ذى قرابة
فقال معاوية : —

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
ولست أرى قتل العدة ابن هاشم
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه
فكان أبوه يوم صفين جمة
إلى الله في يوم العصيب القاطر
بادراك ثارى في لوى وعامر
وزلت به إحدى الجود العواثر
علينا فأردته رماح نهابر

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية ، فقال معاوية : من
يخبرنى عن الجود والنجدة والمروءة ؟ فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، أما الجود
فابتذال المال ، والعطية قبل السؤال ، وأما النجدة فالجراءة على الإقدام ، والصبر
عند ازورار الأقدام ، وأما المروءة فالصلاح فى الدين ، والإصلاح للحال ، والحماية
عن الجار

عبد الله بن
هاشم يفسر
لمعاوية الجود
والنجدة
والمروءة

ولما صرف على رضى الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه
محمد بن أبى بكر ، فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتابا فيه : من محمد بن
أبى بكر ، إلى الغاوى معاوية بن صخر ، أما بعد ؛ فإن الله بعظمته وسلطانه خلق
خلقه بلا عبث منه ، ولا ضعف فى قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ؛ لكنه خلقهم
عبيدا ، وجعل منهم غويا ورشيدا ، وشقيا وسعيدا ، ثم اختار على علم واصطفى
وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ فانتخبه لعلمه ، واصطفاه لرسالته ،
وأثمنه على وحيه ، وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا ، فكان أول من أجاب
وأنا بآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه على بن أبى طالب : صدقه
بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وحارب حربته

كتاب من محمد
ابن أبى بكر
إلى معاوية

وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ، وهو هو أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم : أخوه الشاري بنفسه يوم مؤنة ، وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته ، وأنت اللعين ابن اللعين : لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، تجمعان على ذلك الجوع ، وتبدلان فيه المال ، وتؤلبان عليه القبائل ، وعلى ذلك مات أبوك ، وعليه خلفته ، والشهيد عليك من تدنى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق ، والشاهد لعل مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكروهم الله بفضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، وهم معه كتائب وعصائب ، يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه ، فكيف يالك الوليل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وأبو ولده : أول الناس له اتباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره ، وأنت عدوه وابن عدوه ، فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلاك ، ولمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأن أجلك قد انتضى ، وكيدك قد وهى ، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي آمنك كيده ويئست من روجه فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتبع الهدى

فكتب إليه معاوية : من معاوية بن صخر ، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر ، أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع كلام كثير لك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه ، وقرابته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواساته إياه في كل

جواب معاوية
على كتاب
محمد بن أبي
بكر

هول وخوف ، فكان احتجاجك علىَّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك ، فاحمد
ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن
أبي طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا ، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام
ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته فأبلى حجته وقبضه الله إليه صلوات الله
عليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتز حقه ، وخالفه على أمره ، على ذلك اتفقا
واسقا ، ثم إنهما دعوا إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به المهوم ،
وأرادا به العظيم ، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعا
على سرهما ، حتى قبضهما الله ، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما ، وسار بسيرهما ،
فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل العاصي ، فطلبنا له الغوائل ،
وأظهرتما عداوتكما ، حتى بلغتما فيه مناكما ، فخذ حذرک يا ابن أبي بكر ، وقس
شبرک بفترک يقتصر عن أن توازي أو تساوى من يزن الجبال بحمله ، لا يلين عن
قَسْرِ قَنَاتِهِ ، ولا يدرك ذو مقال أناته ، مهد مهاده ، وبني للمسكة وشاده ، فان
يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبدَّ به ونحن شركاؤه ، ولولا ما فعل أبوك من
قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه ، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من
قبلنا فأخذنا بمثله ، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك ، والسلام على من أناب
ومما كتب به معاوية إلى علي : أما بعد فلو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك
ما بلغت لم يجنحها بعضنا على بعض ، وإننا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي
لنا منها ما نرد به ما مضى ، ونصالح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشأم على أن
لا تلزمني لك طاعة ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإنك لا ترجو
من البقاء إلا ما أرجو ، ولا تخاف من القتال إلا ما أخاف ، وقد والله رقت
الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض
فضل يستدل به عزيز ويسترق به حر ، والسلام
فكتب إليه على كرم الله وجهه : من على بن أبي طالب إلى معاوية بن

كتاب من
معاوية إلى علي

جواب على
عليه

أبي سفيان ، أما بعد ؛ فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض ، وأنا وإياك نلتمس منها غاية لم نبغها بعد ، فأما طلبك مني الشام فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضي على الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة ، وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن ، وليس أمية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا الطليق كالمهاجر ، ولا المبطل كالخوق ، وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر ، والسلام

وحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، عن محمد بن حميد الرازي ، عن أبي مجاهد ، عن محمد بن إسحق ، عن ابن أبي نجيح ، قال : لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة ، فأجلسه معه على سريره ، ووقع معاوية في علي ، وشرع في سبه ، فزحف سعد ثم قال : أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي ، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن أكون صهرا لرسول صلى الله عليه وسلم لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قاله يوم خيبر « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه » أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، وأيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ، ومنهض .

معاوية يقع في
علي بمكة فينهاه
سعد ويذكر
فضل علي

ووجدت في وجه آخر من الروايات ، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان

النوفلى فى الأخبار ، عن ابن عائشة وغيره ، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية
 ونهض ليقوم ضربله معاوية ، وقال له : أقعد حتى تسمع جواب ماقلت ، ما كنت
 عندى قط ألام منك الآن ؛ فهلا نصرته ، ولم قعدت عن بيعته ، فأنى لو سمعت من
 النبى صلى الله عليه وسلم مثل الذى سمعت فيه لكنت خادماً لعلى ما عشت ،
 فقال سعد : والله إنى لأحق بموضعك منك ، فقال معاوية : يأبى عليك بنو عذرة ؛
 وكان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة ، قال النوفلى : وفى ذلك يقول السيد
 محمد الحميرى : —

السيد محمد
 الحميرى يمدح
 علياً

سائل قريشاً بها إن كنت ذا عمه
 من كان أثبتتْها فى الدين أوتاداً
 من كان أقدمها سلفاً ، وأكثرها
 علماً ، وأطهرها أهلاً وأولاداً
 من وحدَّ الله إذ كانت مكذبة
 تدعو مع الله أوثاناً وأنداداً
 من كان يقدم فى الهيجاء إن نكلوا
 عنها ، وإن بخلوا فى أزمة جادا
 من كان أعد لها حكماً ، وأقسطها
 حلماً ، وأصدقها وعداً وإيعاداً
 إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
 إن أنت لم تلق من تيمم أخا صلف
 أو من بنى عامر ، أو من بنى أسد
 أو رهط سعد ، وسعد كان قد علموا
 إن أنت لم تلق من تيمم أخا صلف
 أو من بنى عامر ، أو من بنى أسد
 أو رهط سعد ، وسعد كان قد علموا
 قوم تداعوا زنيماً ثم سادهم
 لو لا خمـول بنى زهر لما سادوا

وكان سعد وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن
 على بن أبى طالب ، وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته ،
 وذلك أنهم قالوا : إنها فتنة ، ومنهم من قال لعلى : أعطنا سيوفاً نقاتل بها معك
 فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم وإذا ضربنا بها الكافرين
 سرت فى أبدانهم ، فأعرض عنهم على ، وقال : (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمهم ،
 ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون) .

عن القاعدين
 عن نصرته على

أبو الطفيل
الكناني
ومعاوية

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الأخباريين أن الأمر لما أفضى إلى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له : كيف وجدك على خليك أبي الحسن ؟ قال : كوجد أم موسى على موسى ، وأشكو إلى الله التقصير ، فقال معاوية : أكنت فيمن حضر قتل عثمان ؟ قال : لا ، ولكنني فيمن حضر فلم ينصره ، قال : فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة ؟ قال : منعي ما منعك إذ ترَبَّصُ به ريب المنون وأنت بالشأم ، قال : أو ما ترى طلي بدمه نصره له ؟ قال : بلى ، ولكنك وإياه كما قال الجعدي : —

لَا أَلْفَيْنِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادَا

ضرار بن
الخطاب

ودخل على معاوية ضرار بن الخطاب فقال له : كيف حزنك على أبي الحسن ؟ قال : حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها

ومما جرى بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادَةَ حين كان عاملاً على كتاب معاوية مصر فكتب إليه معاوية : أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ، وإن ظفر أحب لقيس بن سعد ابن عبادَةَ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضها إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أو تر قوسه ، ورمى غرضه ، فأكثر الجد وأخطأ القصد ، فحذله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات بحوران طريداً

جواب قيس
على معاوية

فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ؛ فانما أنت وثني ابن وثني ، دخلت في الاسلام كرها ، وخرجت منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك ، وقد كان أبي أو تر قوسه ، ورمى غرضه ، فشعب به من لم يبلغ عقبه ، ولا شق غباره ، ونحن أنصار الدين الذي منه خرجت ، وأعداء الدين الذي فيه دخلت

ودخل قيس بن سعد بعد وفاة علي ووقوع الصباح في جماعة من الأنصار على قيس بن سعد معاوية ، فقال لهم معاوية : يا معشر الأنصار ، بم تطالبون ما قبلى ؟ فوالله لقد أنصرت معاوية
كنتم قليلاً معي كثيراً على ، ولفلتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم ، وهجوموني في أسلافي بأشد من وقع الأسنة ، حتى إذا أقام الله ما حاولتم

ميله قلم ارفع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيهات يأبى الحقير الغدرة ،
فقال قيس : نطلب ما قبلك بالاسلام الكافي به الله ، لا بما تمت به إليك
الأحزاب ، وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك ، وأما هجاؤنا إياك فقول
يزول باطله ويثبت حقه ، وأما استقامة الأمر فعلى كره كان منا ، وأما فلنا حدك
يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة ، وأما وصية رسول الله بنا فمن
آمن به رعاه بعده ، وأما قولك يأبى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تمحزك منا
يا معاوية ، فقال معاوية يمؤه : ارفعوا حواجكم

ورع قيس بن
سعد بن معاذ

وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى على بالموضع العظيم ،
وبلغ من خوفه الله وطاعته إياه أنه كان يصلى فلما أهوى للسجود إذا فى موضع
سجوده شعبان عظيم مطرق ، قال عن الشعبان برأسه ، وسجد إلى جانبه ، فتطوق
الشعبان برقبته ، فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيئا ، حتى فرغ ، ثم أخذ
الشعبان فرمى به ، كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر
ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا

عتب عمرو
على معاوية

وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم : قد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم
شجاع ؛ لأنى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ، ثم تتأخر حتى أقول : أراد
الفرار ، فقال له معاوية : والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غما ، ولا أتأخر حتى
أرى التأخر حزما ، كما قال القطامي : —

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة وإلا تكن لى فرصة فجبان

شجاعة العباس
ابن ربيعة

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى عن أبى الأغر التيمي ، قال بينا أنا واقف
بصفين إذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح ، وعيناه تبصّان من تحت المغفر
كأنهما شعلتا نار أو عيناه أرقم ، وبيده صفيحة له يمانية يقبلها ، والمنايا تلوح
فى شفرتها ، وهو على فرس صعب ؛ فبينما هو يبعثه ويمنعه ويلين من عريكته إذ
هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام : يا عباس ، هلم إلى النزال ،

قال : فالنزول إذا فانه إياس من الحياة ، فنزل إليه الشامي وهو يقول : —
 إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل
 وثى العباس وركه وهو يقول : —

الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه في محزمه يريد منطقته ودفع فرسه إلى غلام له أسود
 كائن والله أنظر فلافل شعره ، ثم زحف كل واحد منهما إلى صاحبه ، وكف
 الفريقان أعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين ، فتكافأ بسيفيهما ملياً
 نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته ، إلى أن لحظ العباس وهناً
 في درع الشامي ، فأهوى إليه بيده وهتسه إلى تئذوته ، ثم عاد لمجاولته ، وقد
 أفرج له مفتق الدرع ، فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره ، فخر
 الشامي لوجهه ، فكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض من تحتهم ، وانساب
 العباس في الناس ، فاذا قائل يقول من ورأى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم
 وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين - الآية) فالتفت فاذا بعلى رضى الله
 عنه ، فقال : يا ابن الأغر ، من المبارز لعدونا ؟ قلت : ابن أخيك العباس بن ربيعة ؛
 قال : وإنه هو العباس ؟ قلت : نعم ، فقال : يا عباس ، ألم أنك وعبد الله بن
 عباس أن تحلا بمرکز أوتبارزا أحدا ؟ قال : إن ذلك كما قلت ، قال على : فما عدا
 فيما بدا ؟ قال : أفأدعى إلى البراز فلا أجيب ؟ قال : طاعة إمامك أولى بك من
 إجابة عدوك ، وتغيظ واستطار ، ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلاً ، فقال : اللهم
 أشكر للعباس مقامه ، واغفر ذنبه ، اللهم إني قد غفرت له فاغفر له ؛ وتأسف معاوية
 على غرار بن أدهم ، وقال : متى ينطف فحل بمثله أبطل دمه ، لاها الله ، الأارجل
 يشرى نفسه يطلب بدم غرار ، فانتدب له رجالان من لحم من أهل البأس ومن
 صناديد الشام ، فقال : اذهبا فأيكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها

من اللجين وبعدهما من برود المين ، فأتياه فدعواه إلى البراز ، وصاحا بين الصنفين : يا عباس يا عباس ، ابرز إلى الداعي ، فقال : إن لي سيدا أريد أن أوامره ، فأتي عليا وهو في جناح الميمنة يحرض الناس ، فأخبره الخبر ، فقال علي : والله يود معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في بطنه إطفاء لنور الله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) أما والله ليملكنكم منا رجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفوا الآثار ، ثم قال : يا عباس ، ناقلني سلاحك بسلاحى ، فناقله ، ووثب على فرس العباس ، وقصد اللخمين ، فلم يشك أنه العباس ، فقال له : أذن لك صاحبك ، فتخرج أن يقول نعم ، فقال : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلى ، فبرز له أحدهما فما أخطأه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال : يا عباس ، خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعلى ، ونما الخبر إلى معاوية ، فقال : قبح الله اللجاج إنه لعقور ما ركبته قط إلا خذلت ، فقال عمرو بن العاص : الخذول والله اللخميان ، والمغرور من غررته ، لا أنت الخذول ، قال : اسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك ، قال : وإن لم يكن رحم الله اللخمين ولا أراه يفعل ، قال : ذلك والله أضيق لحجتك ، وأخسر لصفقتك ، قال : قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فإني أعلم أن على بن أبي طالب على الحق وأنا على ضده ، فقال معاوية : مصر والله أعمتك ، ولولا مصر لألفيتك بصيرا ، ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب ، قال : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا ، وإبدائك سواتك ، أما والله ياعمرو لقد واقعت المنايا ، ورأيت الموت عيانا ، ولو شاء قتلتك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك إلا تكرما ، فقال عمرو : أما والله إني لعن

يَمِينُكَ حِينَ دَعَاكَ إِلَى الْبَرَازِ فَاحْوَلْتُ عَيْنَاكَ ، وَبَدَأَ سَحَرُكَ ، وَبَدَأَ مَنُوكَ مَا أَكْرَهَ
ذَكَرَهُ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَاضْجِكَ أَوْدَع .

وَذَكَرَ أَبُو مُخَنَفٍ لَوْثَ بْنَ يَحْيَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ بَرَزَ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صَفِينِ أَمَامِ
النَّاسِ وَكَرَّ عَلَى مَيْسَرَةٍ عَلَى ، وَكَانَ عَلَى فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَعْبِي النَّاسُ ، فَفَعَّرَ عَلَى
لَأَمَتِهِ وَجَوَادِهِ ، وَخَرَجَ بِلَأَمَةٍ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَصَمَدٌ لَهُ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا تَدَانِيَا انْتَبَهَ
مَعَاوِيَةَ فَغَمَزَ بَرَجْلِيهِ عَلَى جَوَادِهِ وَعَلَى وَرَاءِهِ ، حَتَّى فَاتَهُ وَدَخَلَ فِي مَصَافِ أَهْلِ
الشَّامِ ، فَأَصَابَ عَلَى رَجُلًا مِنْ مَصَافِهِمْ دُونَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ : —
يَا لَهْفَ نَفْسِي فَاتَنِي مَعَاوِيَةَ فَوْقَ طِمْرٍ كَالْعُقَابِ الضَّارِيهِ

وَقَدَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ مِصْرَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدُومَ عَمْرُو مِنْ
مِصْرَ عَلَى
مَعَاوِيَةَ
قَالَ :

يَمُوتُ الصَّالِحُونَ وَأَنْتَ حَيٌّ تَخْطَاكَ الْمَنَائِي لَا تَمُوتُ
فَأَجَابَهُ عَمْرُو :

فَلَسْتُ بِمَيِّتٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَمُوتَ

وَذَكَرَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى عَسَاكِرِ أَهْلِ الْعِرَاقِ — وَقَدْ أَشْرَفَتْ ، وَأَخَذَتْ
الرِّجَالَ مَرَاتِبَهَا مِنَ الصَّفُوفِ — وَنَظَرَ إِلَى عَلَى عَلَى فَرَسٍ أَشَقَرٍ حَاسِرِ الرَّأْسِ
يَرْتَبِ الصَّفُوفَ كَأَنَّهُ يَغْرُسُهُمْ فِي الْأَرْضِ غَرْسًا فَيَثْبُتُونَ كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ
قَالَ لِعَمْرُو : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا تَنْظُرُ إِلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
مِنْ طَلَبِ عَظِيمٍ خَاطَرَ بَعْظِيمٍ .

وَقَدْ كَانَ مَعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ بَعَثَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ حَتَّى
قَدَّمَ الْمَدِينَةَ وَعَلَيْهَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَتَنَحَّى ، وَجَاءَ بِسْرٌ حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبِرَ
وَتَهَدَّدَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالْقَتْلِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى بَيْعَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ عَلِيًّا فَأَنْفَذَ حَارِثَةَ
ابْنَ قَدَامَةَ السَّعْدِيِّ فِي الْفَيْنِ وَوَهَبَ بْنَ مَسْعُودٍ فِي الْفَيْنِ ، وَمَضَى بِسْرٌ إِلَى مَكَّةَ
ثُمَّ سَارَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بِهَا ، فَخَرَجَ عَنْهَا وَلَحِقَ بِعَلِيٍّ

مَعَاوِيَةَ يَخْرُجُ
لِلْحَرْبِ فَيَجِيئُهُ
عَلَى فِيهِرَبِ
مِنْهُ

تَعَبَّةٌ عَلَى
لِجِيوشِهِ

مَعَاوِيَةَ يَبْعَثُ
إِلَى الْمَدِينَةِ
بِسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ
ثُمَّ إِلَى مَكَّةَ
وَالْيَمَنِ

واستخلف عليها عبد الله بن عبد المذان الحارثي ، وخلف ابنه عبد الرحمن وقم
عند أمهما جويرية بنت فارط الكنانية ، فقتلها بسر وقتل معها خالاً لها من
ثقيف ، وقد كان بسر بن أرطاة العامري عامر بن لؤي بن غالب قتل بالمدينة وبين
المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم ، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً
من رجال همدان ، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء ، ولم يبلغه عن أحد أنه
يمالئ علياً أو يهواه إلا قتله ، ونما إليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب ، وظفر
حارثة بابن أخى بسر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم ، وكانت جويرية أم ابني
عبد الله بن العباس اللذين قتلها بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهي من
أجل الناس وهي تقول ترثيها : —

ها من أحس من ابني اللذين هما	كالدرتين تشطى عنهما الصدفُ
ها من أحس من ابني اللذين هما	سمعى وقلبي فعلى اليوم مختطفُ
ها من أحس من ابني اللذين هما	مخُ العظام فمخى اليوم مزدهفُ
نُبئتُ بسرّاً وما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الإفك الذين وصفوا ،
أنحى على ود جى ابني مرهفة	مشحودة ، وكذلك الإثم يقترفُ

وذكر الواقدي قال : دخل عمرو بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر
ودق ، ومعه مولاة وردان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير وردان ، فقال
عمرو : يا أمير المؤمنين ، مابق مما تستلذه ؟ فقال : أما النساء فلا أرب لي فيهن ،
وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدي فما أدري أيها ألين ،
وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيه ألد وأطيب ، وأما
الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب ، فما شئ ألد عندي
من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بني وبني بني يدورون حولي ؛
فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلته ، فالتفت
معاوية إلى وردان فقال : ما بقي منك يا وردان ؟ قال : صنعة كريمة سنية أعلقها

اجتمع
معاوية
وعمر
وغلامه
فتذاكروا
ما بقي مما
يشتهونه

في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار لا يكافؤنى بها حتى ألقى الله تعالى وتكون
لعقبى في أعقابهم بعدى ، فقال معاوية : تبا لمجلسنا سائر اليوم ، إن هذا العبد
غلبنى وغلبك

وفي سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بن سعيد وفاة عمرو
ابن سعد بمصر ، وله تسعون سنة ، وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر
ولما حضرته الوفاة قال : اللهم لا براءة لى فأعذر ، ولا قوة لى فأنتصر ، أمرتنا
فعضينا ، ونهيتنا فركبنا ؛ اللهم هذه يدي إلى ذقنى ، ثم قال : خذوا لى
فى الأرض خذوا ، وسنوا على التراب سنا ، ثم وضع أصبعه فى فيه حتى مات .
وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر ؛ فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ، ثم
صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد ، وكان أبوه من المستهزئين ، وفيه نزلت (إن
شأنك هو الأبر)

وولّى معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لأبيه ، وخلف عمرو من العين تركه عمرو
ثلثائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار ، ومن الورق ألفى ألف درهم ،
وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم ، وفيه يقول ابن الزبير الأسدى
الشاعر من أبيات : —

ألم تر أن الدهر أخنت صرُوفهُ على عمرو والسهمى تجبى له مِصرُ
فلم يغن عنه حزمهُ واحتِياله ولا جمعه لما أتيج له الدهر
وأسمى مقى بالعرء وضلت مكايده عنه وأمواله الدثُر

وفى سنة خمس وأربعين ولى معاوية زياد بن أبيه البصرة وأعمالها ، وقال معاوية يولى
زيادا البصرة لما دخلها : —

ألا ربَّ مسرورٍ بما لايسره وآخر محزونٍ بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى ، وأمره
أن يبلغ الطوانة فأصيب معه خلق من الناس ، فعم الناس الحزن بمن أصيب

بأرض الروم ، وبلغ معاوية أن يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرا به مع
ندمائهم قال : —

أَهْوَنُ عَلَيَّ بِمَا لَاقَتْ جُوعُهُمْ يَوْمَ الطَّوَانَةِ مِنْ حُمَى وَمِنْ شُومِ
إِذَا اتَّكَأْتُ عَلَى الْأَنْطَاطِ مُرْتَقِقًا بَدِيرٍ مَرَّوَانٍ عِنْدِي أَمْ كَثُومِ

موت أبي أيوب
الأنصاري

خلف عليه ليفزُونَ ، وأردف به شقران ، فسميت هذه الغزاة غزاة
الرادفة ، وبلغ الناس فيها إلى القسطنطينية ، وفيها مات أبو أيوب الأنصاري
ودفن هناك على باب القسطنطينية ، واسم أبي أيوب خالد بن زيد ، وقد قيل :
إن أبا أيوب مات في سنة إحدى وخمسين غازيا مع يزيد ، وقد أتينا على خبر
هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الأوسط

طاعون
الكوفة

وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة
وموت المغيرة وكان واليها ، ثم عاد إليها فطعن فمات ، فمر أعرابي عليه وهو يدفن فقال : —
أَرَسَمَ دِيَارَ الْمَغِيرَةِ عَلِيهَا دَوَانِي الْإِنْسِ وَالْجَنِّ تَعْرِفُ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ لَاقَيْتَ هَامَانَ بَعْدَنَا وَفِرْعَوْنَ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ مُنْصِفُ

المغيرة بن شعبة
يخطب هند
بنت النعمان بن
المنذر فترده

وذكر أن المغيرة ركب إلى هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي في ديار لها في
الحيرة مترهبة ، وهو أمير الكوفة يومئذ ، وقد كانت هند عميت ، فلما جاء الدير
استأذن عليها ، فأتهاجرت بها فقالت : هذا المغيرة يستأذن عليك ، فقالت للجارية :
أَلْقِ إِلَيْهِ أَثَاثًا ، فألقت إليه وسادة من شعر ، فلما دخل قعد عليها ، وقال : أنا
المغيرة ، فقالت له : قد عرفتك عامل المدرة ، فما جاء بك ؟ قال : أتيتك خاطبا
إليك نفسك ، قالت : أما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت إلا
بما جئتك ، ولكني أخبرك الذي أردت ذلك له ، قال : وما هو ؟ قالت : أردت
أنك تتزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول : تزوجت ابنة النعمان ، قال :
ذلك أردت ، ولكن أخبريني ما كان أبوك يقول في هذا الحى من ثقيف ،
قالت : كان ينسبهم في إياد ، وقد افتخر عنده رجلا من ثقيف أحدهما من بنى

سالم والآخر من بنى يسار فسألها عن أنسابهما فانتسب أحدهما إلى هوازن والآخر إلى إياد ، فقال أبي : ما لى معد على إياد فضل ، فخرجا وأبى يقول : —
إن ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا ومازنا
إلا حديثا واثبتوا الحاسنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن هوازن وأبوك أعلم ، قال : فأخبرينى أى العرب كان أحب إلى أبيك ، قالت : أطوعهم له ، قال : ومن أولئك ، قالت : بكر بن وائل ، قال : فأين بنو تميم ؟ قالت : ما استعنتهم فى طاعة ، قال : فقيس ؟ قالت : ما اقتربوا إليه بما يحب إلا استعقبوه بما يكره ، قال : فكيف أطاع فارس ؟ قالت : كانت طاعتهم إياه فيما يهوى ، فانصرف المغيرة .

زياد يلى
الكوفة مع
البصرة

ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من جمع له ولاية العراقيين البصرة والكوفة

وفى سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فذاك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك ، فاستردها ، وقد كان معاوية حجب فى سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام ، فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار ، فجزع من ذلك وأعظمه ، وردّه إلى موضعه وزاد فيه ست مراق

وفاة زياد
بعد ولايته
الحجاز بن
والعراقيين
جميعا

وفى سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان ، وكان يكنى أبا المغيرة ، وقد كان كتب إلى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه ، وشماله فارغة ، فجمع له الحجاز مع العراقيين ، واتصلت ولايته بأهل المدينة ، فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضجّوا إلى الله ، ولاذوا بقبر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ؛ لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف ، فخرجت فى كفه بشرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت أكلة سوداء ،

فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل : اثنتين وخمسين ، ودفن
بالنوبة من أرض الكوفة

وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي ، فمن
أبى ذلك عرضه على السيف ، فذكر عبد الرحمن بن السائب قال : حصرت
فصرت إلى الرحبة ومعى جماعة من الأنصار ، فرأيت شيئا فى منامى وأنا جالس
فى الجماعة ، وقد خَفَقْتُ ، وهو أنى رأيت شيئا طويلا قد أقبل ، فقلت : ما هذا ؟
فقال : أنا النقاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فانتبهت فرعا ، فما كان
إلا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال : انصرفوا فإن الأمير عنكم
مشغول ، وإذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء ، وفى ذلك يقول عبد الله بن
السائب من أبيات : —

زياد يحرض
الناس على سب
على ويقتل من
لا يطعيه

ما كان منتهيا عما أراد بنا حتى تأتى له النقاد ذو الرقبة
فأسقط الشق منه ضربة ثبتت لما تناول ظلما صاحب الرحبة
يعنى بصاحب الرحبة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد ذهب جماعة
إلى أن عليا دفن فى القصر بالكوفة ، ويقال : إن زيادا طعن فى يده وإنه شاور
شريحا فى قطعها فقال له : لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإنى أكره إن كانت
لك مدة أن تعيش أجداً ، وإن حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك
لم قطعتها قلت : بُغْضًا للقائك ، وفرارا من قضائك ، فلام الناس شريحا ، فقال :
إنه استشارنى والمستشار مؤتمن ، ولو لا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما
ورجله يوما وسائر جسده يوما

وفود الأُمصار
عند معاوية
وبيعته لابنه
يزيد

وفى سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الأُمصار من العراق وغيرها ،
فكان ممن وفد من أهل العراق الأحنف بن قيس فى آخرين من وجوه الناس ،
فقال معاوية للضحاك ابن قيس : إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله ،
فإذا فرغت من كلامى فقل فى يزيد الذى يحق عليك ، وادع إلى بيعته ، فانى

قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمار الأشعري وثور بن
معن السلمي أن يصدقوك في كلامك، وأن يحيبوك إلى الذي دعوتهم إليه، فلما
كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه
وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده، ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك،
وحض الناس على البيعة ليزيد، وقال لمعاوية: اعزم على ما أردت، ثم قام
عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمار الأشعري وثور بن معن فصدقوا
قوله، ثم قال معاوية: أين الأحنف بن قيس؟ فقام الأحنف فقال: إن الناس قد
أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان يؤتف، ويزيد حبيب قريب
فان توله عهدك فغن غير كبر مفن، أو مرض مفن، وقد حلت الدهور،
وجربت الأمور، فاعرف من تسند إليه عهدك، ومن توليه الأمر من بعدك،
واعص رأى من يأمرك ولا يقدر لك، ويشير عليك ولا ينظر لك، فقام
الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق، وقال: اردد رأيهم
في نحورهم، وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك، ثم قام رجل
من الأزد فأشار إلى معاوية وقال: أنت أمير المؤمنين، فإذا مت فأمر المؤمنين
يزيد، فمن أبى هذا فهذا؛ وأخذ بقائم سيفه فسله؛ فقال له معاوية: اقعد فأنت
من أخطب الناس، فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولايه العهد؛ وفي
ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولى:

فان تأتوا برملة أو بهند	نبايهم أميرة مؤمنينا
إذا مامات كسرى قام كسرى	نعد ثلاثة متناسقين
فيا لهفا لو أن لنا الوفا	ولكن لا نعود كما عنيينا
إذا لضر بتمو حتى تعودوا	بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا	دماء بنى أمية ما رويننا
لقد ضاعت رعييتكم وأنتم	تصيدون الأرانب غافلين

وأُنْفَذَت السُّكَّتُ بِبَيْعَةِ يَزِيدٍ إِلَى الْأَمْصَارِ ، وَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَرْوَانَ بِالنَّحْمِ — وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ — يَعْلَمُهُ بِاخْتِيَارِهِ يَزِيدَ ، وَمُبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ وَيَأْمُرُهُ بِمُبَايَعَتِهِ ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ ، فَلَمَّا قَرَأَ مَرْوَانُ ذَلِكَ خَرَجَ مَغْضَبًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ فَنَزَلَهَا ، وَدَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ يَمْشِي بَيْنَ السَّمَاطِينَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَا يَسْمَعُهُ صَوْتُهُ سَلَّمَ ، وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ يُوجِّحُ بِهِ مَعَاوِيَةَ ، مِنْهُ : أَقِمِ الْأُمُورَ يَا ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَاعْدِلْ عَنْ تَأْمِيرِكَ الصَّبْيَانِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ مِنْ قَوْمِكَ نَظَرَاءَ ، وَأَنَّ لَكَ عَلَى مَنَاوِئِهِمْ زُرَّاءَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَنْتَ نَظِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَعْدَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَدِيدَةٌ ، وَغَضَبُهُ ، وَالثَّانِي بَعْدَ وَلِيِّ عَهْدِهِ ، وَجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِ يَزِيدَ ، وَرَدَّاهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ إِنَّهُ عَزَلَهُ عَنْهَا ، وَوَلَّاهَا الْوَلِيدَ بْنَ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَلَمْ يَفِ لِمَرْوَانَ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ وَلَايَةِ عَهْدِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ

ذَكَرَ جَمَلَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَسِيَاسَتِهِ

وظَرَائِفُ مِنْ عَيُونِ أَخْبَارِهِ

قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ جَمَلًا مِنْ أَخْبَارِهِ وَسِيرِهِ ؛ فَلْنَذْكُرْ الْآنَ فِي هَذَا الْبَابِ جَمَلًا مِنْ أَخْلَاقِهِ وَسِيَاسَاتِهِ وَأَخْبَارِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا لَحِقَ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى وَفَاتِهِ

كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ كَانَ يَأْذَنُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ لِلْقَاصِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ قِصَصِهِ ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُؤْتِي بِمُصْحَفِهِ فَيَقْرَأُ جُزْأَهُ ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَى ، ثُمَّ يَصِلُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، ثُمَّ يُخْرِجُ إِلَى مَجْلِسِهِ ؛ فَيَأْذَنُ لِمَنْ خَاصَ الْخَاصَةِ فَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ زُرَّاءُهِ فَيُكَلِّمُونَهُ فِيمَا يَرِيدُونَ مِنْ يَوْمِهِمْ إِلَى الْعِشِيِّ ، ثُمَّ يُؤْتِي بِالْغَدَاءِ الْأَصْغَرِ — وَهُوَ فَضْلَةُ عِشَاءِهِ مِنْ جَدَى بَارِدٍ أَوْ فَرْخٍ أَوْ مَا يَشْبَهُهُ — ثُمَّ يَتَحَدَّثُ طَوِيلًا ، ثُمَّ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ لَمَّا أَرَادَ ، ثُمَّ يُخْرِجُ فَيَقُولُ : يَا غُلَامُ ، أَخْرِجِ الْكُرْسِيَّ ، فَيُخْرِجُ إِلَى الْمَسْجِدِ

كَانَ مَعَاوِيَةَ
يَأْذَنُ كُلَّ يَوْمٍ
وَلَّيْلَةَ خَمْسَ
مَرَّاتٍ

فيوضع فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي ، ويقوم الأحداث فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لأحد له ، فيقول : ظلمت ، فيقول : أعزُّوه ، ويقول : عدِّي على ، فيقول : ابعثوا معه ، ويقول : صُنع بي ، فيقول : انظروا في أمره ، حتى إذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ، ثم يقول : ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني أحد عن رد السلام ، فيقال : كيف أصبح أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؟ فيقول : بنعمة من الله ، فإذا استَوَوْا جالوسا قال : يا هؤلاء ، إنما سميت أشرافا لأنكم شرقتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا ، فيقوم الرجل فيقول : استشهد فلان ، فيقول افرضوا لولده ، ويقول آخر : غاب فلان عن أهله ، فيقول : تعاهدوهم ، أعطوهم ، اقضوا حوائجهم ، اخدموهم ، ثم يؤتى بالغداء ، ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له : اجلس على المائدة ، فيجلس ، فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمر ، فيقال : يا عبد الله أعقب ، فيقوم ، ويتقدم آخر ، حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم ، ورمبا قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ، ثم يرفع الغداء ويقال للناس : أجزوا ، فينصرفون ، فيدخل منزله فلا يطعم فيه طامع ، حتى ينادي بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي أربع ركعات ، ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة ، فإن كان الوقت وقت شتاء أتاها بزاز الحاج من الأخبصة اليابسة والخشكناج والأقراص المعجونة بالبن والسكر من دقيق السميد والكعك المنضد والقواكه اليابسة ، وإن كان وقت صيف أتاها بالقواكه الرطبة ، ويدخل إليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا إليه ببقية يومهم ، ويجلس إلى العصر ، ثم يخرج فيصلي العصر ، ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه طامع ، حتى إذا كان في آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم ، فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادي بالمغرب ، ولا ينادي له بأصحاب الحوائج ، ثم يرفع العشاء وينادي بالمغرب فيخرج فيصليها ،

ثم يصلى بعدها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى ، ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه طامع ، حتى ينادى بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلى ، ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية ، فيؤامره الوزراء فيما أراد وأصدروا من ليلتهم ، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياساتها لرعيتهما وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياساتها لرعيتهما ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، ثم تأتية الطرف الغربية من عند نسائه من الحلوى وغيرها من الماء كل اللطيفة ، ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكاييد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ، ثم يخرج فيصلى الصبح ، ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم

وقد كان همّ بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ، ولا إتقانه للسياسة ، ولا التأني للأُمور ، ولا مداراته للناس على منازلهم ، ورفقه بهم على طبقاتهم

إحكام معاوية
للسياسة وأمثلة
منه

وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بغير له إلى دمشق في حال مُنْصَرَفِهِمْ عن صِفِّين ، فتعلق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتي ، أُخِذَتْ مِنِّي بصفين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقتة ، فقتضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي : أصالحك الله إنه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ودَسَّ إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره ، وسأله عن ثمن بغيره ، فدفع إليه ضعفه ، وبرّه ، وأحسن إليه ، وقال له : أبلغ عليا أنى أقبله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ؛ ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في

يوم الأربعاء وأعاروه رءوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص : إن عليا هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ، ثم ارتقى بهم الأمرُ في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليّ سنةً ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير

قال المسعودى : وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : من أبو تراب هذا الذى يلعبه الإمام على المنبر ؟ قال : أراه لصا من لصوص الفتن

وحكى الجاحظ قال : سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول : إذا أتيت من يكلمنى منه ؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم : مات قول فى محمد هذا أربنا هو ؟ وذكر ثمامة بن أشرس قال : كنت ماراً فى السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون ، فنزلت عن بغلى وقلت : شئ ما هذا الاجتماع ، ودخلت بين الناس ؛ وإذا برجل يصف كُحْلامه أنه ينجح من كل داء يصيب العين ، فنظرت إليه فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكة ، فقلت له : يا هذا ، لو كان كحلك كما تقول نعم عينيك !! فقال لى : أها هنا اشتكت عيناى ، إنما اشتكتنا بمصر ، فقال كلهم : صدق ، وذكر أنه ما نقلت من نعالهم إلا بعد كدٍّ

وذكر لى بعض إخوانى أن رجلا من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالى عن مذهب الرجل ، فقال : إنه مرجئٌ قد رى أباضى رافضىً ، فلما نص عن ذلك قال : إنه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص ، فقال له الوالى : ما أدرى على أى شئ أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالأنساب ؟ وأخبرنى رجل من إخواننا من أهل العلم ، قال : كنا نقعد تتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ، ونذكر ما يذكروه أهل العلم ، وكان قوم من العامة يأتون

أمثلة من بلاهة
أهل الشام

فيسمعون منا ، فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم حية : كم تطنبون فى على ومعاوية وفلان وفلان ؟ فقلت له : فما تقول أنت فى ذلك ؟ قال : من تريد ؟ قلت : على ماتقول فيه ؟ قال : أليس هو أبو فاطمة ؟ قلت : ومن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية ، قلت : فما كانت قصة على ؟ قال : قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم

وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان إلى الشام ، وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ، ونزل عبد الله بن على على الشام ، ووجه إلى أبى العباس السفاح أشياخا من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة ، فحلفوا لأبى العباس السفاح أنهم ما علموا الرسول صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية حتى وليتم الخلافة ، فقال فى ذلك إبراهيم بن المهاجر البجلي :-

أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجبا من عبد شمس إنهم
فتحو للناس أبواب الكذب
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانعهم
يحجز الميراث إلا من قرب

كان بنو أمية
يزعمون لأهل
الشام أنهم
ورثة النبى

وقد كان ببغداد رجل فى أيام هرون الرشيد متطبيب يطبب العامة بصفاته ، وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنى ، تنقاد إليه العامة ، فكان يجتمع إليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس ؛ فإذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم : معاشر المسلمين ، قتلتم لاضار ولا نافع إلا الله فلائى شئ تسألوننى عن مضاركم ومنافعكم ؟ الجؤا إلى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم ، فيقبل بعضهم على بعض فيقولون : إى والله قد صدقنا ؛ فكف من مريض لم يعالج حتى مات ، ومنهم من كان يتركه حتى

بعض أخلاق
العامة وعدم
اهتمامهم لوجه
الصواب

يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول : إيمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك ، فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده إياهم في معالجة مرضاهم ، ومن أخلاق العامة أن يُسوّدوا غير السيد ، ويفضلوا غير الفاضل ، ويقولوا بعلم غير العالم ، وهم أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول ، والفضل والنقصان ، ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ، ثم انظر هل ترى إذا اعتبرت ما ذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها إلا مشحونة بالخاصة من أولى التمييز والمروءة والحجبا ، وتقصد العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر إلا مرتقين إلى قائد دبٍّ ، وضارب بدفٍّ على سياسة قرد ، ومتشوقين إلى اللهو واللعب ، أو مختلفين إلى مشعبذ منمس مخرف ، أو مستمعين إلى قاصٍّ كذاب ، أو مجتمعين حول مضروب ، أو وقوفاء عند مصلوب : ينطق بهم ، ويصاح بهم ؛ فلا يرتدون : لا ينكرون منكرا ، ولا يعرفون معروفا ، ولا يباليون أن يلحقوا البار بالفاجر ، والمؤمن بالكافر ، وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول « الناس اثنان : عالم ، أو متعلم ، وما عدا ذلك هم مجّ راع لا يعبا الله بهم » وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال : همج راع أتباع كل ناعق ، لم يستضيؤا بنور العلم ، ولم يلجؤا إلى ركن وثيق ، وأجمع الناس في تسميتهم على أنهم غوغاء ، وهم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا ، ثم تدبر تفرقهم في أحوالهم ومذاهبهم فانظر إلى إجماع ملّتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق إلى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة ، وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ، ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور ، فأشادوا من ذكره ، ورفعوا من منزلته : بأن جعلوه كتابا للوحي ، وعظموه بهذه الكلمة ، وأضافوه إليها ، وسلبوها عن غيره ، وأسقطوا ذكر سواء وأصل ذلك العادة والإلف ، وما ولدوا عليه ، وما نشؤا فيه ، فألفوا وقت التحصيل

تأثير العادة والبلوغ وقد عملت العادة عملها ، وبلغت مبالغها ، وفي العادة قالت الشعراء وتكلم أهل الدراية والأدباء قال الشاعر : —

لأنهنّ بعد إذ أكرمتني فشيّد عادةً منتزعة

وقال آخر معاتباً لصاحبه : —

ولكن فطامُ النفس أثقلَ حملاً من الصخرة الصماء حين ترومها
وقد قالت حكماء العرب : العادة أملك بالأرب ، وقالت حكماء العجم : العادة هي الطبيعة الثانية ، وقد صنف أبو عقيل الكاتب كتاباً في أخلاق العوام يصف فيه أخلاقهم وشيمهم ومحاطباتهم ، وسماه بالملهي ، ولولا أنني أكره التطويل والخروج عما قصدنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز لشرحت من نوادر العامة وأخلاقها وظرائف أفعالها عجائب ، ولذكرت مراتب الناس في أخلاقهم ، وتصرفهم في أحوالهم .

فلنرجع الآن إلى أخبار معاوية وسياسته ، وما أوسع الناس من أخلاقه ، وما أفاض عليهم من بره وعطائه ، وشملهم من إحسانه : مما اجتذب به القلوب ، واستدعى به النفوس ، حتى آثروه على الأهل والقربات :

وفد عقيل ابن أبي طالب على معاوية في حياة على
من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن أبي طالب مُنتجعاً وزائراً ، فرحب به معاوية ، وسرّ بوروده ؛ لاختياره إياه على أخيه ، وأوسعَه حلماً واحتمالاً ، فقال له : يا أبا يزيد ، كيف تركت علياً ؟ فقال : تركته على ما يحب الله ورسوله ، وألفيتك على ما يكره الله ورسوله ، فقال له معاوية : لولا أنك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه ، ثم أحب معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفضه ، فوثب عن مجلسه ، وأمر له أن ينزل ، وحمل إليه مالا عظيماً ، فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه فقال له : يا أبا يزيد ، كيف تركت علياً أخاك ؟ قال : تركته خيراً لنفسه منك ، وأنت خير لي منه ، فقال له معاوية : أنت والله كما قال الشاعر : —

وإذا عددت فغار آل محرق فالجد منهم في بنى عتاب
فحل الجد من بنى هاشم مَنُوطٌ فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الأيام والليالي ،
فقال عقيل :

اصبر لحرب أنت جانبيها لا بد أن تصلى بحاميها
وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر :-

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يَوْمًا فَخَرْتُهُمْ بِآلِ مُحَاشِعِ
بالحاملين على الموالى عزمهم والضاريين الهام يوم القارع

ولكن أنت يامعاوية إذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر ؟ فقال معاوية :

عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت ، فاني لم أجلس لهذا ، وإنما أردت أن أسألك
عن أصحاب على فانك ذو معرفة بهم ، فقال عقيل : سل عما بدا لك ، فقال : طالب عن بني
مِيزْلَى أصحاب على وأبدأ بآل صَوْحَانَ فانهم مخاريق الكلام ، قال : أما
صَعَصَعَةُ فعظيم الشأن ، عَضْبُ اللسان ، قائد فرسان ، قاتل أقران ، يَرْتُقُ ما
فتق ، ويفتق مارتق ، قليل النظير ، وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان ،
يصب فيهما الخلبجان ، ويغاث بهما البلدان ، رجلا جد لا لعب معه ، وأما بنو
صوحان فكما قال الشاعر : —

إذا نزل العدو فإنَّ عندي أسوداً تَخْلِسُ الأَسَدَ النَّفُوسَا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب إليه « بسم الله الرحمن الرحيم ، ذكر
الله أكبر ، وبه يستفتح المستفتحون ، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة ، أما بعد ؛
فقد بلغ مولاي كلامك لعدو الله وعدوه ، فحمدت الله على ذلك ، وسألته أن يفيء
بك إلى الدرجة العليا ، والقضيب الأحمر ، والعمود الأسود ، فانه عمود من فارقه
فارق الدين الأزهر ، ولئن نزع بك نفسك إلى معاوية طلبا لماله إنك لذو علم
بجميع خصاله ، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة ؛ فان الله قد رفع

عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم ، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل إلينا ؛
فأجل الله أقدارك ، وحى أخطارك ، وكتب آثارك ؛ فان أقدارك مرضية ،
وأخطارك محمية ، وآثارك بدرية ، وأنتم سلم الله إلى خلقه ، ووسيلته إلى طريقه ،
أيدي عليّة ، ووجوه جلية ، وأنتم كما قال الشاعر : —

فما كان من خيرٍ أتوهُ فإنما توارثهُ أباءُ آبائهم قبلُ
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرسُ إلا في منابتها النخلُ

وحدث أبو الهيثم ، عن أبي سفيان عمرو بن يزيد ، عن البراء بن يزيد ،

عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائي ثم أحد بنى عفان ، قال : لما انصرف على

من أجل قال لآذنه : من الباب من وجوه العرب ؟ قال : محمد بن عمير بن عطارد

التميمي والأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدى ، في رجال سماهم ، فقال :

أذن لهم ، فدخلوا فساموا بالخلافة ، فقال لهم : أنتم وجوه العرب عندي ، ورؤساء

أصحابي ، فأشيروا على في أمر هذا الغلام المترف — يعنى معاوية — فافتنت بهم

المشورة عليه ، فقال صعصعة : إن معاوية أترفه الهوى ، وحُببت إليه الدنيا ، فهانت

عليه مصارع الرجال ، وابتاع آخرته بدنياهم ، فان تعمل فيه برأى ترشد وتصب

إن شاء الله ، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين ، الرأى أن ترسل إليه

عيناً من عيونك ، وثقةً من ثقاتك ، بكتاب تدعوه إلى بيعتك ، فان أجاب

وأجاب كان له مالك وعليه ما عليك ، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى

يأتيك اليقين . فقال على : عزمت عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيدك ،

وتوجهت به إلى معاوية ، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً ، وعجزه استنابة

واستنابة ، وليكن فاتحة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على

أمير المؤمنين إلى معاوية ، سلامٌ عليك ، أما بعد » ثم اكتب ما أشرت به على ،

واجعل عنوان الكتاب « ألا إلى الله تصير الأمور » قال : أعفى من ذلك ،

قال : عزمت عليك لتفعلنَّ ، قال : أفعل ، فخرج بالكتاب ، وتجهز وسار حتى

على بن
أبي طالب

يستشير وجوه
أصحابه في
شأن معاوية

ورد دمشق ، فأتى باب معاوية فقال لآذنه : استأذن لرسول أمير المؤمنين على
 ابن أبي طالب ، وبالباب أردفة من بني أمية ، فأخذته الأيدي والنعال لقوله ؛
 وهو يقول « أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » وكثرت الجلبة واللاغط ، فاتصل
 ذلك بمعاوية ، فوجه بمن يكشف الناس عنه ، فكشفوا ، ثم أذن لهم فدخلوا ،
 فقال لهم : من هذا الرجل ؟ قالوا : رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان
 معه كتاب من علي ، فقال : والله لقد باغى أمره ، هذا أحد سهام علي وخطباء
 العرب ، ولقد كنت إلى لقائه شيقاً ، أئذن له يا غلام ، فدخل عليه ، فقال :
 السلام عليك يا ابن أبي سفيان ، هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال معاوية : أما إنه
 لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ،
 وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطعاً أم تكلفاً ، فقال : من الرجل ؟ فقال :
 من نزار ، قال : وما كان نزار ؟ قال : كان إذا غزا نكس ، وإذا لقي اقترس ،
 وإذا انصرف احترس ، قال : فمن أي أولاده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما كان
 ربيعة ؟ قال : كان يطيل النجاد ، ويعول العباد ، ويضرب ببقاع الأرض العباد ،
 قال : فمن أي أولاده أنت ؟ قال : من جديلة ، قال : وما كان جديلة ؟ قال : كان
 في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المكرمات غيثاً نافعاً ، وفي اللقاء لها ساطعاً ، قال :
 فمن أي أولاده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما كان عبد القيس ؟ قال :
 كان حضرياً خصيباً أبيض وهاباً لضيئه ما يجدد ، ولا يسأل عما فقد ، كثير
 المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال : ويحك يا ابن صوحان
 فما تركت لهذا الحى من قریش مجداً ولا فخراً ، قال : بلى والله يا ابن أبي سفيان ،
 تركت لهم ما لا يصلح إلا بهم ، ولهم تركت الأبيض والأحمر ، والأصفر والأشقر ،
 والسرير والنبر ، والملك إلى المحشر ، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله
 في الأرض ونجومه في السماء ، ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قریش
 كلها ، فقال : صدقت يا ابن صوحان ، إن ذلك لكذلك ، فعرف صعصعة
 مأراداً ، فقال : لبس لك ولا تقومك في ذلك إصدار ولا إيراد ؛ بعدتم عن أنف

صعصعة

ابن صوحان

رسول على

ابن أبي

طالب عند

معاوية بكتابه

المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء ، قال : فلم ذلك ويملك يا ابن صوحان ؟ !! قال :
الويل لأهل النار ، ذلك لبنى هاشم ، قال : قم ، فأخرجوه ، فقال صعصعة :
الصدق ينبيء عنك لا الوعيد ، من أراد المشاجرة قبل المحاورة ، فقال معاوية :
لشيء مأسوده قومه ، وددت الله أنى من صلبه ، ثم التفت إلى بنى أمية فقال :
هكذا فلتكن الرجال

وحدث منصور بن وحشى ، عن أبى الفياض عبد الله بن محمد الهاشمى ،
عن الوليد بن البخترى العيسى ، عن الحارث بن مسمار البهرانى ، قال :
حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى وعبد الله بن الكواء اليشكرى ورجالا
من أصحاب على مع رجال من قریش ، فدخل عليهم معاوية يوما فقال : نشدتكم
بالله إلا ما قلتم حقا وصدقا ، أى الخلفاء رأيتمونى ؟ فقال ابن الكواء : لو لا أنك
عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد ؛ لا تراقب الله فى قتل الأخيار ، ولكننا نقول :
إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة ، قريب الثرى ، بعيد المرعى ؛ تجعل
الظلمات نورا ، والنور ظلمات ، فقال معاوية : إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام
الذابين عن بيضته ، التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين
لمحارم الله ، والحلین ماحرم الله ، والمحرمين ما أحل الله ، فقال عبد الله بن الكواء :
يا ابن أبى سفيان ، إن لكل كلام جوابا ، ونحن نخاف جبروتك ، فإن كنت
تطلق ألسنتنا ذنبنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها فى الله لومة لائم ،
وإلا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه ، قال : والله لا يطلق لك لسان
ثم تكلم صعصعة فقال : تكلمت يا ابن أبى سفيان فأبلغت ، ولم تقصر عما أردت ،
وليس الأمر على ما ذكرت ، أتى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ، ودانهم
كبيرا ، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا ؟ أما والله مالك فى يوم بدر
مضرب ولا مرعى ، وما كنت فيه إلا كما قال القائل : « لاحتلى ولا سيري »^(١)

(١) كذا ، والذي نرجحه - إن لم يكن كما ضبطناه - أن أصله « لاحتلى ولا ساء »
وهو من أمثال العرب ، يريد لم يكن لك فيه أمر ولا نهى . وانظر (مجمع الأمثال
٢ : ١٥٨ طبع بولاق)

ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني تصلح الخلافة لطيقيق ؟ فقال معاوية : لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قابلت جهلهم حملاً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم
لقتلتكم

وحدث أبو جعفر محمد بن حبيب ، قال : أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي ، قال : أخبرنا الوليد بن البختری ، عن أبيه ، عن أبي مزروع السكبي ، قال : دخل صعصعة بن صوحان على معاوية قتال له : يا ابن صوحان ، أنت ذو معرفة بالعرب وبجبالها ، فأخبرني عن أهل البصرة ، وإياك والحمل على قوم لقوم ، قال : البصرة واسطة العرب ، ومنتهى الشرف والسؤدد ، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره ، وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرجا على قطبها ، قال : فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : قبة الاسلام ، وذروة الكلام ، ومضان ذوى الأعلام ، إلا أن بها أجلاً فآتمنع ذوى الأمر الطاعة ، وتخرجهم عن الجماعة ، وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة ، قال : فأخبرني عن أهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى فتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلهم غناء فيها ، غير أن لهم ثباتاً في الدين ، وتمسكاً بعروة اليقين ، يتبعون الأئمة الأبرار ، ويخلعون الفسقة الفجار ، فقال معاوية : من البررة والفسقة ؟ فقال : يا ابن أبي سفيان ، ترك الخداع من كشف القناع ؛ على وأصحابه من الأئمة الأبرار ، وأنت وأصحابك من أولئك ، ثم أحب معاوية أن يمشى صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب ، فقال : أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر ، قال : أسدمضر بسلاء بين غيلين ، إذا أرسلتها افترست ، وإذا تركتها احترست ؛ فقال معاوية : هنالك يا ابن صوحان العز الراسي ، فهل في قومك مثل هذا ؟ قال : هذا لأهله دونك يا ابن أبي سفيان ، ومن أحب قوما حشر معهم ، قال : فأخبرني

معاوية يسأل
صعصعة بن
صوحان عن
العرب فيجيبه

عن ديار ربيعة ولا يستخفناك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك ، قال : والله ما أنا عنهم براص ، ولكني أقول فيهم وعليهم : هم والله أعلام الليل ، وأذنان في الدين والميل ، لن تغلب رايتها إذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين ، من نصره فليج ، ومن خذله زلج ، قال : فأخبرني عن مضر ، قال : كنانة العرب ، ومعدن العز والحسب ، يقذف البحر بها آذية ، والبرردية ، ثم أمسك معاوية ، فقال له صعصعة : سل يامعاوية وإلا أخبرتك بما تحميد عنه ، قال : وما ذاك يا ابن صوحان ؟ قال : أهل الشام ، قال : فأخبرني عنهم ، قال : أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للمخلوق ، عصاة الجبار ، وخلفة الأشرار ، فاعليهم الدمار ، ولهم سوء الدار ؛ فقال معاوية : والله يا ابن صوحان إنك لحامل مدينتك منذ أزمان إلا أن حلم ابن أبي سفيان يرد عنك ، فقال صعصعة : بل أمر الله وقدرته ، إن أمر الله كان قدراً مقدوراً .

حدث أبو الهيثم قال : حدثني أبو البشر محمد بن بشر الفزاري ، عن إبراهيم ابن عقيل البصري ، قال : قال معاوية يوماً - وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب على وعنده وجوه الناس - : الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي ، فقال صعصعة :

صعصعة بين
يدي معاوية
أيضاً

تَمْنِيكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ نَجَهْلًا مَعَاوِيَ لَا تَأْتِمِرُ

فقال معاوية : يا صعصعة ، تعلمت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسه إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بيني وبينك ؟ قال : الذي يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير ، قال : اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع .

قال المسعودي : ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان ، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني ، على إيجاز واختصار .

ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العباس ، وهو ما حدث به المدائني ، عن
 زيد بن طليح الذهلي الشيباني ، قال : أخبرني أبي ، عن مصقلة بن هبيرة الشيباني ،
 قال : سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم ؟ فقال :
 إعطام الطعام ، ولين الكلام ، وبذل النوال ، وكف المرء نفسه عن السؤال ،
 والتودد للصغير والكبير ، وأن يكون الناس عندك شرعاً ، قال : فما المروءة ؟ قال :
 أخوان اجتماعاً ، فان لقياً قهراً ، وإن كان حارسهما قليلاً وصاحبهما جليلاً لجاجان
 إلى صيانة مع نزاهة وديانة ، قال : فهل تحفظ في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، أما سمعت
 قول مرة بن ذهل بن شيبان حيث يقول : —

إن السيادة والمروءة علقتا حيث السماء من السمك الأعزل
 وإذا تقابل مجزبان لغاية عشر المهجين وأسلمته الأرجل
 ويحي الصريح مع العتاق معوداً قرب الجياد فلم يجئه الأفكـل

في أبيات ، فقال له ابن عباس : لو أن رجلاً ضرب آباط إبـله مُشَرِّقاً ومغرباً
 لفائدة هذه الأبيات ما عنفته ، إنا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد
 عفا من أخبار العرب ، فمن الحليم فيكم ؟ قال : من ملك غضبه فلم يفعل ، وسعى
 إليه بحق أو باطل فلم يقبل ، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ، ذلك الحليم
 يا ابن عباس ، قال : فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال : ولا قليلاً ، وإنما وصفت
 لك أقواماً لا تجدهم إلا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون ، فأما
 الآخرون فإنهم سبق جهلهم حلمهم ، ولا يبالي أحدكم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة
 من كان بعد أن يدرك زعمه ويقضى بغيته ، ولو وتره أبوه لقتل أباه ، أو أخوه
 لقتل أخاه ، أما سمعت إلى قول ريان بن عمرو بن ريان ، وذلك أن عمراً أباه قتله
 مالك بن كومة ، فأقام ريان زماناً ، ثم غزا مالكا ؛ فأتاه في مائتي فارس صباحاً وهو
 في أربعين بيتاً فقتله ، وقتل أصحابه ، وقتل عمه فيمن قتل ، ويقال : بل كان أخاه
 وذلك أنه كان جاورهم ، فقيل لريان في ذلك قتلت صاحبنا ، فقال : —

صعصعة عند
 عبد الله بن
 عباس يخبره
 عن المسكارم

فلو أُمي ثَقَفْتُ بِحَيْثُ كَانُوا لَبِلْ ثِيَابَهَا عَلَقُ صَبِيبُ
ولو كانت أُمِيَّةُ أَخْتِ عَمْرُو بِهَذَا الْمَاءِ ظَلَّ لَهَا نَحِيبُ
شَهَرْتُ السَّيْفِ فِي الْأُدُنَيْنِ مَنِي وَلَمْ تَعْطِفْ أَوْ اصِرْنَا قُلُوبُ

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَمَنْ الْفَارِسُ فَيَسْكُنُ حُدًى لِي حُدًى أَسْمَعُهُ مِنْكَ فَإِنْكَ تَضَعُ
الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا يَا ابْنَ صَوْحَانَ ، قَالَ : الْفَارِسُ مَنْ قَصَرَ أَجَلُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَضَعَمَ
عَلَى أَمَلِهِ بَضْرُسَهُ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْسِهِ ، ذَلِكَ الْفَارِسُ إِذَا وَقَدَتْ
الْحُرُوبُ ، وَاشْتَدَّتْ بِالْأَنْفُسِ الْكَرُوبُ ، وَتَدَاعَوْا لِلنِّزَالِ ، وَتَرَاخَفُوا لِلْقِتَالِ ،
وَتَحَالَسُوا الْمَهْجَ ، وَاقْتَحَمُوا بِالسَّيُوفِ اللَّحْجَ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ صَوْحَانَ ،
إِنَّكَ لَسَلِيلُ أَقْوَامٍ كَرَامٍ خُطَبَاءُ فَصَحَاءَ ، مَا وَرَثْتَ هَذَا عَنْ كَلَّالَةٍ ، زِدْنِي ، قَالَ :
نَعَمْ الْفَارِسُ كَثِيرُ الْحَذَرِ ، مَدِيرُ النَّظَرِ ، يَلْتَفَتُ بَقَلْبِهِ ، وَلَا يَدِيرُ خَرَزَاتِ صُلْبِهِ ،
قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ صَوْحَانَ الْوَصْفَ ، فَهَلْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ شَعْرٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، لَزَهْرٍ بَنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ يَرْتِي ابْنَهُ عَمْرًا حَيْثُ يَقُولُ : —

فَارِسٌ تُكَلِّأُ الصَّحَابَةَ مِنْهُ بِحَسَامٍ يَمُرُّ مَرَّ الْحَرِيقِ
لَا تَرَاهُ لَدَى الْوَعْيِ فِي مَجَالٍ يَغْفُلُ الضَّرْبُ ، لَا ، وَلَا فِي مَضِيقٍ
مَنْ يَرَاهُ يُخَلِّهُ فِي الْحَرْبِ يَوْمًا أَنَّهُ أَخْرَقَ مَضِلَ الطَّرِيقِ
فِي أَيْبَاتٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَيْنَ أَخَوَاكَ مِنْكَ يَا ابْنَ صَوْحَانَ صَفْهُمَا
لَأَعْرِفَ وَرَثَتَكُمْ ، قَالَ : أَمَا زِيدُ فَكَمَا قَالَ أَخُو غَنِي : —

فَتَنِي لَا يَسَالَى أَنْ يَكُونَ بَوَاجِهِ إِذَا نَالَ خِلَانَ الْكَرَامِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاهُ الرِّجَالُ تَحْفَظُوا فَلَمْ يَنْطَقُوا الْعَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيبُ
حَلِيفِ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيَجِيبُهُ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيَجِيبُ
بَيْتِ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرُو ضَجِيعُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حُلُوبُ
كَأَنَّ بَيُوتَ الْحَيِّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا بَسَائِسُ مَا يَلْفِي بِهِنَ عَرِيبُ

فِي أَيْبَاتٍ ، كَانَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ عَظِيمُ الْمُرُوءَةِ ، شَرِيفُ الْأَخْوَةِ ، جَلِيلُ

الخطر ، بعيد الأثر ، كمش العروة ، أليف البدوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الدهر ، ذاكر الله طرفي النهار وزلفا من الليل ، الجوع والشبع عنده سيان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقل أصحابه من ينافس فيها ، يظيل السكوت ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بعقام ، يهرب منه الدُّعَارُ الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار ، فقال ابن عباس : ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا !! فأين كان عبد الله منه ؟ قال : كان عبد الله سيدا شجاعا ، مألفا مطاعا ، خيره وساع ، وشره دفاع ، قلبه النخيزة ، أحوذى الغريزة ، لا ينهيه منهنه عما أراده ، ولا يركب من الأمر إلا اعتاده ، سَمَامٌ عدى ، وبازل قرى ، صعب المقادة ، جزل الرفادة ، أخو إخوان ، وقى فتيان ، وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان : —

سَمَامٌ عَدَى ، بالنبل يقتل من رمى وبالسيف والرمح الرَّدَيْنِيَّ مشعب
مهيب مفيد للنوال مُعَوَّد بفعل الندى والمكرمات مجرب
في أبيات ، فقال له ابن عباس : أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب

صعصعة ورجل
من فزارة

ومن أخبار صعصعة ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي ، عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي ، قال : وقف رجل من بني فزارة على صعصعة ؛ فأسمعه كلاما منه : بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس قهيبوك ، أما لئن شئت لأكون لك لصاقا ، فلا تنطق إلا جددت لسانك بأذرب من ظُبة السيف ، بعضب قوى ، ولسان على ، ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال ، فقتل صعصعة : لو أجد غرضا منك لرميت ، بل أرى شبحا ولا إخال مثالا ، إلا كسراب بقية يحسبه الظآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، أما لو كنت كفؤا لرميت حصائلك بأذرب من ذلق السنان ، ولرشتك بنبال تردعك عن النضال ، وخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام ، فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري ، وقال : أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من

جبال شمام إلى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخى عبد القيس ، خاب
أبوه ، ما أحبه ، يستجمل أخا عبد القيس وقواه الميرة ، ثم تمثل
صبت عليك ولم تنصب من أمم إن الشقاء على الأشقين مصوب

مقتل عبد الله
ابن وهب
الراسبي

وحدث المبرد ، عن الرياشي ، عن ربيعة بن عبد الله الميمري ، قال : أخبرني
رجل من الأزد ، قال : نظرت إلى أبي أيوب الأنصاري في يوم النهروان ، وقد علا
عبد الله بن وهب الراسبي فضر به ضربة على كتفه فأبان يده ، وقال : يؤبها إلى
النار يا مارق ، فقال عبد الله : ستعلم أينأ أولى بها صلياً ، قال : وأبيك إني لأعلم
إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف ، وقال : أولى بها والله صلياً من ضل في
الدنيا عمياً ، وصار إلى الآخرة شقياً ، أبعدك الله وأنزحك ، أما والله لقد أنذرتك
هذه الصرعة بالأمس فأبيت إلا نكوصاً على عقبيك ، فذق يا مارق وبال أمرك
وشرك أبا أيوب في قتله : ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله ، وأدركه بأخرى
في بطنه ، وقال : لقد صرت إلى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيها ، ثم احتزا رأسه
وأتيأ به علياً ، فقالا : هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب ، فنظر
إليه فقطب ، وقال : شاه هذا الوجه ، حتى خيل إلينا أنه يبكي ، ثم قال : قد
كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله ، تاركا لحدود الله ، ثم قال لهما : اطلباني ذا
التدية ، فطلب فلم يوجد ، فرجعا إليه وقالوا : ما أصبنا شيئاً ، فقال : والله لقد قتل
في يومه هذا ، وما كذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه ،
قوموا بجمعكم فاطلبوه ، فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا في القتلى فأصابوه في
دهاس من الأرض فوقه زهاء مائة قتيل ؛ فأخرجوه يجر برجله ، ثم أتى به على
فقال : اشهدوا أنه ذو التدية ، وقد ذكرنا أخبار ذى التدية فيما سلف من
هذا الكتاب

ولعل في ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنشورا ، وقد كانوا
أنصاره وأعوانه والركن المنيع من أركانه ؛ فمن بعض ذلك قوله يوم صفين : -

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدّمها حصين تقدّمها
 فيوردها في الصف حتى يعلمها حياض المنايا تقطر الموت والدماء
 جرى الله قوما قاتلوا في لقائه لدى الموت قدما ما أعزّ وأكرما
 وأطيب أخبارا ، وأكرم شيمة ، إذا كان أصوات الرجال تغمها
 ربيعة أعنى ؛ إنهم أهل نجدة وبأس ، إذا لا قوا خميساً عرمرماً

وذكر المدائني أن معاوية أسر جميل بن كعب الشعلي — وكان من سادات معاوية يأسر
 ربيعة وشيعة على وأنصاره — فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكنني جميل بن كعب
 منك ، ألت القائل يوم الجمل : —

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غداً لمن غلب
 قد قلت قولاً صادقاً غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب
 قال : لا تقل ذلك فإنها مصيبة ، قال معاوية : وأي نعمة أكبر من أن
 يكون الله قد أظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حماة أصحابي ؟
 اضربوا عنقه ، فقال : اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي ؛
 ولكن قتلتني على حطام الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل
 فافعل به ما أنت أهله ، فقال معاوية : قاتلك الله !! لقد سببت فأبلغت في السب ،
 ودعوت فبالغت في الدعاء ، ثم أمر به فأطلق ، وتمثل معاوية بأبيات للنعمان بن
 المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبي ، وهى : —

تعفو الملوك عن الجليل ل من الأمور بفضائها
 ولقد تعاقب في اليسير ، وليس ذاك للجهلها
 إلا ليُعرفَ فضلها ويخاف شدة نكلها

وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الأخبار أن احتضار معاوية
 معاوية لما احتضر تمثل :

هو الموت ، لا منجى من الموت ، والذي تحاذر بعد الموت أدهى وأفزع

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعفُ عن الزلة ، وجد بحملك على جهل من لم يرج غيرك ، ولم يثق إلا بك ، فانك واسع المغفرة ، وليس لذي خطيئة مهرب ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله ، وإني لأرجو أن لا يعذبه الله

وذكر محمد بن إسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها ، فرأى نحول جسمه ، فبكى لفنائته وما قد أشرف عليه من الدور الواقع بالخيقة ، وقال متمثلاً :

أرى الليالي أسرعَتْ في نقضي أَخَذَنْ بَعْضِي وَتَرَ كُنْ بَعْضِي
حَنِينَ طُولِي وَحَنِينَ عَرْضِي أَفْعَدَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ نَهْضِي
ولما أَرَفَ أمره وحن فراقه واشتدت علته وأيس من برئه أنشأ يقول : -

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعةً ولم ألك في اللذات أعشى النواظر
وكنت كذى طَمَرَيْنِ عاش ببلغةٍ من الدهر حتى زار أهل المقابر
قال المسعودي : ولماوية أخبار كثيرة مع علي وغيره ، وقد أتينا على الفرر من أخباره وما كان في أيامه في كتابنا « أخبار الزمان » والأوسط ، وغيرها من كتبنا ، مما أفرد للآثار ، وهذا باب كبير ، والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ، ومن ضمن الاختصار لم يجهله إلا كثر ، وإنما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفاً من كل نوع من العلوم والأخبار ، وما انتخبناه من طرائف الآثار ؛ ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركناه ذكره ، وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا

وإذ قد تقدم ما ذكرنا فلنذكر الآن جملاً من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام ؛ إذ كانوا حجة على من بعدهم ، وقدوة لمن تأخر عنهم ، وبالله التأييد

ذكر الصحابة ومدحهم ، وعلى والعباس وفضلهما

دخِل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس قال له معاوية : إني أريد أن أسألك عن مسائل ، قال : سل عما بدالك ، قال : ما تقول في أبي بكر ؟ قال : رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تاليا ، وعن المنكر ناهيا ، وبذنبه عارفا ، ومن الله خائفا ، وعن الشبهات زاجرا ، وبالمعروف آمرا ، وبالليل قائما ، وبالنهار صائما ، فاق أصحابه ورعا وكفافا ، وسادهم زهدا وعفافا ، فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه

قال معاوية : إيهما يا ابن عباس ، فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال : رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، ومحل الإيمان ، وكهف الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا ، حتى أوضح الدين ، وفتح البلاد ، وأمن العباد ، فأعقب الله على من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين

قال : فما تقول في عثمان ؟

قال : رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم الجعدة ، وأفضل البررة ، هجدا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضا عند كل مكreme ، سباقا إلى كل منحة ، حيا أيا وفيها ، صاحب جيش العسرة ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين .

قال : فما تقول في علي ؟

قال : رضى الله عن أبي الحسن ، كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، وتحمل الحجا ، وبجر الندى ، وطود النهى ، وكهف العلا ، لورى داعيا إلى المحجة العظمى ، متمسكا بالعروة الوثقى ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمص وارتدى ، وأبر من انتعل وسعى ، وأفصح من تنفس وقرأ ، وأكثر من شهد النجوى ،

معاوية يسأل
عبد الله بن
عباس عن أبي
بكر فيجيبه

ويسأله عن
عمر فيجيبه

ويسأله عن
عثمان فيجيبه

ويسأله عن
علي فيجيبه

سوى الأنبياء والنبي المصطفى ، صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد ؟ وأبو السبطين
فهل يقارنه بشر ؟ وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد ؟ للأسود قتال ،
وفي الحروب ختال ، لم ترعيني مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد
إلى يوم التناد

قال : أيها ابن عباس لقد كثرت في ابن عمك ، قال : فأتقول في أبيك العباس ؟
قال : رحم الله العباس أبا الفضل ، كان صِنَوْ نبي الله صلى الله عليه وسلم ،
وقرة عين صني الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آبائه الأجواد ، وأحلام أجداده الأجداد ،
تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسقاية ، والمشارع والتلاوة ، ولم
لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من دب ؟

ويسأله عن
أبيه العباس
فيحييه

فقال معاوية : يا ابن عباس ، أنا أعلم أنك كلمانى أهل بيتك

قال : ولم لا أكون كذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل » ، ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام : يا معاوية ،
إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه
على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه
فقال (رحماء بينهم - الآية) قاموا بمعالم الدين ، وناصرحوا الاجتهاد للمسلمين ،
حتى تهذبت طرقة ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت
أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال روحه ، ومحامد دعائمه ، وصارت كلمة الله
العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس
الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد
الموت أحياء أوصحياء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا
وهم بعد فيها

ويحدثه عن
فضل الصحابة

فقطع عليه معاوية الكلام ؛ وقال : أيها يا ابن عباس ، حديثاً في غير هذا

قد تم - بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الثاني
من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » تصنيف العلامة
الرحالة أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي أحد أعلام القرن
الرابع الهجري ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث مفتتحا
بذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، نسأل الله أن يعين على
إكماله بمنه وكرمه .

فهرست الموضوعات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب

مَرْوَرَاتُ الزَّهْبِ
وَمَعَادُنُ الْجَوْهَرِ

الموضوع	ص	الموضوع	ص
وفود العرب إلى معد يكر ب وفيهم	١٠	ذكر اليمن وملوكها ومقدار سنيها	٣
عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ		أولهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان	٣
أشهر أسماء وفد العرب إلى معد يكر ب	١١	ملك حمير بن سبأ	٣
خطبة عبد المطلب بين يدي معد يكر ب	١١	ملك كهلان بن سبأ	٣
أبو زمعة الثقفي (أبو ربيعة) بين يدي معد يكر ب	١٢	ملك أبي مالك عمرو بن سبأ	٣
مقتل معد يكر ب	١٢	ملك جبار بن غالب أبرهة ذي المنار	٣
رواية أخرى في ترتيب ملوك اليمن	١٢	ذكر بقية ملوك اليمن	٣
ملوك اليمن من الفرس	١٤	أبرهة ذو الأذعار	٤
ملوك اليمن من أبناء إبراهيم الخليل	١٤	تبع الأول	٤
ظفار عاصمة بلاد اليمن	١٥	بليقيس وسليمان بن داود	٤
حدود اليمن	١٥	ناشر النعم بن عمرو بن يعفر	٥
ذكر ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم	١٦	كليكر ب بن تبع	٥
جذيمة الوضاح صاحب الزباء	١٦	حسان بن تبع	٥
ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الوضاح	١٧	عمرو بن تبع	٥
قصة زواج عدى بن نصر برقاش	١٧	تبع بن حسان بن كليكر ب	٥
أخت جذيمة الوضاح		مرثد بن كلال	٥
الزباء تستدعي جذيمة الوضاح	١٩	أبرهة بن الصباح	٥
مقتل جذيمة الوضاح	٢١	ملك ذي شنانر	٦
ملك عمرو بن امرئ القيس الملقب بمحرق	٢٣	يوسف ذو نواس ، وذكر أصحاب الأخدود	٦
ملك المنذر بن النعمان فارس حليلة	٢٣	قصة أبي رغال الذي يرحم قبره بالمغمس بين الطائف ومكة	٦
ملك عمرو بن المنذر	٢٤	قبر العبادي	٨
ملك قابوس بن المنذر	٢٤	ملك يكسوم بن أبرهة	٨
ملك النعمان بن المنذر	٢٤	ملك مسروق بن أبرهة	٨
النابعة الدياني والنعمان بن المنذر	٢٤	حرب الفرس مع الحبشة باليمن	٩
تسكيل كسرى بالنعمان بن المنذر	٢٥	ملك معد يكر ب	١٠
بسعاية عدى بن زيد			

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧	وفاة هاني بن مسعود الشيباني	٥٢	مسير عملاق ، وتفرق بنييه في
٢٧	خرقاء بنت النعمان بن المنذر وسعد		جهات مختلفة
	ابن أبي وقاص	٥٣	مسير طسم نحو البحرين
٢٨	إحصاء ملوك الحيرة ومدتهم	٥٤	خبر عملوق ملك طسم الظالم ومقتله
٢٩	ذكر ملوك الشام من غسان وغيرها		ومقتل قومه
٣٣	ذكر البوادي من العرب وغيرهم	٥٦	رباح بن مرة الطسمي يفر من القتل
	الأمم وعلّة سكنائها البدو		فيستجد بحمير على جديس
٣٥	قصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى	٥٧	خبر زرقاء اليمامة
	الجرهمي وصاحب البعير الشارد	٥٨	مسير وبار بن أميم إلى رمل عاجلج
٣٩	تفرق الناس بعد الطوفان	٥٨	أرض وبار مسكن الجن في زعم العرب
٤٠	علّة سكنى العرب الحيام	٥٩	مسير عبد ضخم بن إرم إلى الطائف
٤٢	كسرى يسأل عن اختيار العرب	٦٠	بدء الكتابة
	سكنى البدو	٦٠	مسير جرهم إلى مكة
٤٣	الأكراد ، وأصلهم ، وسكناهم	٦٠	مسير أميم بن لاوذ بن إرم إلى بلاد
٤٤	الترك		فارس
٤٤	رأى آخر في أصل الأكراد	٦٠	أول من بنى البيوت أميم بن لاوذ
٤٤	بعض أيام العرب	٦١	تنازع الناس في نسب البربر
٤٥	ذكر ديانات العرب وآرائها في	٦١	الشام بلاد كنعان
	الجاهلية ، وتفرقها في البلاد	٦١	مسير بوقر بن لوط إلى الهند
٤٥	تعدد دياناتهم	٦١	بغى عاد ، وذكر أصنامها ، وبعثة هود
٤٦	سير أبرهة بالفيل إلى مكة		إليهم ، وهلاكهم ، وبعض ما قيل
٥٠	اختلاف الناس في تدين عبد المطلب		في ذلك
٥١	اختلاط الألسنة	٦٤	الجحفة ، وسبب تسميتها بذلك
٥١	مسير يعرب وسكناء اليمن	٦٤	يثرب ، وسبب تسميتها بذلك
٥١	مسير عاد إلى الأحقاف	٦٤	تنازع الناس في شعيب ونسبه
٥١	إرم ذات العماد بدمشق	٦٦	بنو حضور و تنازع الناس في أنسابهم
٥٢	نزول ثمود الحجر	٦٧	تنازع الناس في ديارهم
٥٢	مسير جديس إلى اليمامة	٦٨	ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس
			والهام والصفير

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٨	الاختلاف في النفس ما هي	٨٢	ذكر الكهانة ، وما قيل في ذلك ،
٦٨	الهام ، وما قيل فيه	٨٢	وما اتصل به ، وحد النفس الناطقة
٦٩	آراء العرب في الغيلان والتغول وما	٨٢	أصل ادعاء علم الغيب ، وتنازع
	ورد من الأخبار في ذلك	٨٣	الأئم في الكهانة ما هي وما سببها
٧٠	يرون أن الغول تتلون وتضل	٨٣	استراق السمع سبب الكهانة عند
٧٠	عمر بن الخطاب والغول قبل الاسلام	٨٣	بعضهم
٧٠	الغول عند الفلاسفة والمنجمين	٨٣	سبب الكهانة عند بعضهم علل فلكية
٧١	تلون الغول أيضا	٨٣	وعند آخرين علل نفسية
٧١	السعلة	٨٤	العرافة وبعض العرافين
٧١	بعض إيذاء الغيلان والشياطين للناس	٨٤	الكهانة في العرب
٧٣	ذكر قول العرب في الهواتف والجنان	٨٥	الرؤيا ، وأسبابها ، واختلاف
٧٣	الهاتف واختلاف أقوالهم فيه		الناس فيها
٧٣	علقمة بن صفوان والهاتف	٨٧	تحديد النفس ، واختلاف الفلاسفة فيه
٧٤	بعض الدين قتلهم الجن	٨٩	ذكر جمل من أخبار الكهان ،
٧٤	زعموا أن قبر حاتم الطائي يقرى	٨٩	وسيل العرم
	الضيف	٨٩	ملوك سبأ ، وذكر بعض عاداتهم
٧٧	ذكر ما ذهب إليه العرب من القيافة	٨٩	وصف بلاد سبأ
	والزجر والسانح والبارح	٩١	العرم
٧٧	الخلافة في القيافة ، وجواز	٩١	مفاخرة بين القحطانيين والنرايين
	الاستدلال بها		في مجلس السفاح العباسي
٧٧	اختصاص العرب بذلك	٩٢	العرم في شعر العرب
٧٨	منشأ القيافة ، وذكر علل طبيعية لها	٩٢	طول العمر ، وعمر النسور ، وما
٧٩	الزجر وبعض أخباره		قيل في ذلك من الشعر
٨٠	اختصاص بعض العرب ببعض هذه	٩٣	اختلاف الناس في علة طول العمر
	الأمور	٩٤	طريقة الخير السكاهنة تنذر بسيل العرم
٨٠	القيافة	٩٦	عمرو بن عامر يتحيل للخروج من
٨١	القيافة عند أهل الشرع ، وهل		بلاده بعد ما أنذرتة طريقة بالسيل
	يجوز الاستدلال بها ؟	٩٧	تفرق أهل سبأ في البلاد
		٩٧	خزاعة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٧	غسان	١١٠	الأيام النجسات
٩٨	ديانة أهل مأرب	١١٠	أسماء أيام الأسبوع وعلتها
٩٩	عود إلى حديث الكهانة ، وذكر	١١٠	أسماء الأيام عند العرب قديما
	سطيح الكاهن ، وبيان أول كهنته	١١٠	أسماء الشهور عند العرب قديما
١٠٠	ذكر سنى العرب والعجم وشهورها	١١٠	الازمنة الأربعة
	وما اتفق منها واختلف	١١١	شهور الروم مرتبة على الفصول
١٠١	ذكر شهور القبط وما يقابلها	١١٢	ذكر قول العرب في ليالى الشهور
	عند السريان		القمرية
١٠١	أيام لواحق للأقباط (النسئ)	١١٣	تقسيم ليالى الشهر ثلاثا ثلاثا وتسمية
١٠١	مبدأ التاريخ عند الأقباط		كل ثلاث منها باسم
١٠٢	ذكر شهور السريان ووصف موافقتها	١١٣	أسماء الهلال والليالى عند العرب
	لشهور العرب		بحسبه
١٠٣	زمن المهرجان ، ومعناه ، وأصله	١١٤	ذكر القول في تأثير النيرين في العالم
١٠٤	ليلة الغطاس وما يحدث فيها بمصر	١١٤	رأى اليونانيين الحكماء في ذلك
	والشام	١١٤	تصور الجنين في رحم أمه ، وسببه
١٠٤	بطارقة النصرانية وأما كنهم	١١٥	يشبه الولد أباه وأهل بيت أبيه
١٠٤	كنائس أنطاكية وعجائبها	١١٦	الاختلاف في تأثير النيرين
١٠٥	زمن أيام برد العجوز وأسمائها	١١٧	كروية الأرض وجميع أجزائها
١٠٦	استواء الليل والنهار ومنزلة	١١٩	ذكر أرباع العالم والطبائع
	الشمس حينئذ	١١٩	الطبائع الأربع
١٠٦	ذكر شهور الفرس وأسمائها	١١٩	أرباع العالم ، وما خص به كل ربع منها
١٠٧	ذكر أيام الفرس وأسمائها	١٢٠	علة عدم سكنى بعض الأرض
١٠٨	ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية	١٢٠	مدة سلطان الكواكب
	أيامها ولياليها	١٢١	أجناس الأجسام وخاصة كل نوع
١٠٨	تعليل تسمية الشهور عند العرب		منها
١٠٨	اختصاص بعض الشهور ببعض	١٢٢	أنواع الجن
	الأسماء		النسئ ، والاختلاف في وجوده ،
١٠٨	اختصاص بعض الأيام ببعض الأسماء		وذكر شبهه بالآدميين
١٠٩	تسمية أيام التشريق والاختلاف في	١٢٥	العنقاء
	سببها		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٦	خاله بن سنان بنى بنى عبس	١٣٧	البرموك سادن البوهار وهو بيت النار بخراسان، ومنهم جد البرامكة
١٢٦	خبر خلق الحيل	١٣٧	قصر غمدان وما قيل فيه
١٢٧	بحث فى بيان ما يجوز أن يؤخذ به من الأخبار وما لا يجوز	١٤٠	البيوت المعظمة عند اليونانيين
١٢٨	بعض الاسرائيليات التى لا يؤخذ بمثلهما	١٤٠	البيت الاول بأنطاكية
١٢٩	عود إلى ذكر أرباع العالم والطبائع	١٤٠	الثانى بمصر
١٢٩	الكلام على عمور الانسان وما يظهر عنده من الطبائع فى كل عمر منها	١٤٠	الثالث بيت المقدس فى زعمهم
١٣٠	رأى أبقرط فى أعمار الانسان	١٤١	البيوت المعظمة عند أوائل الروم
١٣٠	الهواء وأثره فى الانسان	١٤١	البيوت المعظمة عند الصقالبة
١٣٠	الاستدلال بتغاير أهل الأقاليم على تأثير الهواء فى الانسان	١٤٢	البيوت المعظمة عند الصابئة
١٣١	اختلاف الحكماء فى ذلك	١٤٢	هياكل العقول
١٣٢	الرباع الأربعة	١٤٢	هياكل الكواكب
١٣٢	مساحة الممالك وما بينها من المسافات	١٤٢	قرايينهم
١٣٤	اعتذار للمؤلف عن استطراداته	١٤٣	الباقى من هياكلهم إلى عصر المؤلف
١٣٤	ذكر البيوت المعظمة والهياكل	١٤٤	بحث فى النفس
١٣٤	وبيوت النيران والأصنام	١٤٤	استطراد بذكر الكليات الخمس والمقولات العشر
١٣٤	الهند والصين تتخذ أصناما تمثل الملائكة	١٤٥	عود إلى الكلام عن الصابئة
١٣٤	اتخاذهم الكواكب آلهة	١٤٥	وصف هيكل بأقاصى بلاد الصين
١٣٥	اتخاذهم أصناما تمثل الكواكب	١٤٧	ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها
١٣٥	عقيدة العالم فى البيت الحرام	١٤٧	رأى الفرس الأولى فى النار والنور
١٣٥	يوداسف متنبى الهند يدعو إلى مذهب الصابئة	١٤٧	أما كن بيوت النيران
١٣٥	دعوته إلى عبادة النار	١٤٨	المؤلف يصف بيتا من بيوت النيران
١٣٦	عمرو بن لحي أول من نصب الأصنام بمكة	١٤٨	رآه باسطخر
١٣٦	البيوت السبعة المعظمة	١٤٩	المؤلف يصف بيتا آخر رآه بجور من بلاد فارس ، ويتعرض لبعض وصف جور

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٥٠	حصن الحضرة واستيلاء سابور عليه	١٦٧	بطون قریش
	وقته الساطرون ملك الحضرة وابنته	١٦٧	عود لحروب الفجار وحلف
	النضيرة		الفضول ، وسببه ، وما قيل في
١٥٢	الهياكل المعظمة عند اليونانيين		ذلك ، وتاريخه
١٥٢	هيكلي بل	١٦٩	بناء قریش السكبة واختلافهم في
١٥٢	جیرون ، ووصف هياكلها		وضع الحجر الأسود وحكم النبي صلى
١٥٣	مسجد دمشق ، وأصله		الله عليه وسلم بينهم
١٥٤	البريض بناء بدمشق	١٧٠	فخار أبي طالب بحكم النبي
١٥٤	الديماس هيكلي بأنطاكية	١٧٠	تحديد يوم مولده صلى الله عليه
١٥٤	مجل بذكر بعض البناءات العجيبة		وسلم
	في العالم	١٧٠	جماع الحوادث من مبدأ مولده
١٥٦	ذكر محاولات قديمة لوصول البحر		عليه الصلاة والسلام
	الأحمر بالبحر الأبيض	١٧٢	ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم
١٥٨	ذكر جامع التاريخ من بدء العالم		وما جاء في ذلك إلى هجرته
	إلى رسول الله	١٧٢	إسلام علي بن أبي طالب
١٥٨	اختلاف الناس في حدوث العالم	١٧٣	إسلام أبي بكر ومن أسلم بإسلامه
١٦٠	اختلاف الناس في مدة العالم منذ نشأته		من الصحابة
١٦٢	رأى أهل الآثار من المسلمين في مبدأ	١٧٤	ذكر هجرته ، وجوامع ما كان
	العالم ، وفي المدة التي مضت منه إلى		في أيامه صلى الله عليه وسلم إلى
	التاريخ المعلوم لهم على سبيل الجزم		انتقاله إلى الرفيق الأعلى
١٦٤	ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم	١٧٤	فرض الجهاد
	ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب	١٧٤	تأريخ الهجرة
١٦٤	نسبه صلى الله عليه وسلم ، واختلاف	١٧٥	تحديد يوم قدومه المدينة ولقاء أهل
	الروايات فيه		المدينة له
١٦٥	نهى رسول الله أن يتجاوز النسابون	١٧٦	زمن وفاته صلى الله عليه وسلم
	عدنان	١٧٦	عدة غزواته
١٦٦	كنيته صلى الله عليه وسلم	١٧٦	ترتيب مغازيه
١٦٦	أولاده صلى الله عليه وسلم	١٧٧	بيان المغازي التي قاتل فيها ، واختلاف
١٦٦	زمن مولده عليه الصلاة والسلام		الرواة فيها
١٦٦	حروب الفجار		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم	١٨٥	السرايا والبعوث	١٧٧
ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام	١٨٦	أشهر الحوادث التي اتصل برسول الله	١٧٨
من الكلام مما لم يحفظ قبله عن		أصلى الله عليه وسلم	
أحد من الناس		اختلاف العلماء في مقدار سنه صلى	١٧٩
باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق	١٩١	الله عليه وسلم	
رضى الله عنه		وفاته وتكفينه ودفنه	١٧٩
مجل تاريخه من خلافته إلى وفاته	١٩١	أشهر أممور التي حدثت من مولده	١٨٠
ذكر نسبه وبلغ من أخباره وسيره	١٩٢	إلى وفاته صلى الله عليه وسلم	
اسمه ونسبه	١٩٢	ما حدث في السنة الأولى من مولده	١٨٠
تواضعه ولباسه	١٩٢	ما حدث في السنة الخامسة	١٨٠
وفود ذى الكلاع الحميري على أبي	١٩٢	ما حدث في السنة السادسة	١٨٠
بكر رضى الله عنه وتأسيه به في لباسه		ما حدث في السنة التاسعة	١٨٠
أبو بكر وأبو سفيان بن حرب	١٩٢	أعلام النبي صلى الله عليه وسلم	١٨١
نسب أبي بكر من جهة أمه	١٩٣	ما حدث في سنة ست وعشرين من مولده	١٨١
أولاد أبي بكر ، وبيان أمهاتهم ،	١٩٣	ما حدث في سنة ست وثلاثين	١٨١
ومن أعقب منهم		ما حدث في سنة إحدى وأربعين	١٨١
مات أبو قحافة والد أبي بكر في	١٩٤	ما حدث في سنة ست وأربعين	١٨٢
خلافة عمر بن الخطاب		ما حدث في سنة خمسين	١٨٢
عدي بن حاتم	١٩٤	ما حدث في سنة إحدى وخمسين	١٨٢
مرض أبي بكر	١٩٤	ما حدث في سنة أربع وخمسين ،	١٨٢
بنات أبي بكر	١٩٥	وهي سنة الهجرة	
بيعة على لابي بكر	١٩٥	ما حدث في سنة اثنتين من الهجرة	١٨٢
وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان	١٩٥	ما حدث في سنة ثلاث من الهجرة	١٨٢
ثبت بجماع الحوادث في عهد أبي بكر	١٩٦	ما حدث في سنة أربع من الهجرة	١٨٣
ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى	١٩٨	ما حدث في سنة خمس من الهجرة	١٨٣
الله عنه		ما حدث في سنة ست الهجرة	١٨٣
مجل تاريخه	١٩٨	ما حدث في سنة سبع من الهجرة	١٨٣
ذكر نسبه وبلغ من أخباره وسيره	١٩٨	ما حدث في سنة ثمان من الهجرة	١٨٤
نسبه من جهة أبيه ومن جهة أمه	١٩٨	ما حدث في سنة تسع من الهجرة	١٨٤
		ما حدث في سنة عشر من الهجرة	١٨٤

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٩٩	أخلاقه وتواضعه	٢٢١	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
١٩٩	دين سعد بن عامر بن خريم أحد عمال عمر ، وكان عامله على حمص	٢٢١	نسبه من جهة أبيه وأمه ، وذكر أولاده
٢٠٠	سلمان الفارسي عامل عمر على المدائن	٢٢٢	أخلاقه رضى الله عنه
٢٠٠	أبو عبيدة بن الجراح عامل عمر على الشام	٢٢٢	ثروته
٢٠٠	عمر يحرض على الجهاد ويؤمر بأبعية على جيوشه	٢٢٢	الزبير بن العوام ، وثروته
٢٠٠	مسير أبي عبيدة لقتال الفرس	٢٢٢	طلحة بن عبيد الله ، وثروته
٢٠٣	شأن جرير بن عبد الله البجلي والمثنى ابن حارثة	٢٢٢	عبد الرحمن بن عوف ، وثروته
٢٠٤	وفاة المثنى بن حارثة بسيراف	٢٢٢	سعد بن أبي وقاص ، وثروته
٢٠٤	شأن سعد بن أبي وقاص	٢٢٣	زيد بن ثابت ، وثروته
٢٠٥	شأن عاصم بن عمرو	٢٢٣	المقداد بن دارا بالمدينة ذات شرفات
٢٠٥	يوم أغواث	٢٢٣	يعلى بن أمية ، وثروته
٢٠٧	شأن أبي محجن الثقفي ، وبلاؤه وشجاعته ، وتوبته	٢٢٣	شدة عمر بن الخطاب فيما هو مصلحة للرعية
٢٠٩	يوم عماس	٢٢٣	ذكر بعض عمال عثمان على الأمصار
٢١١	تصير البصرة والكوفة	٢٢٤	الوليد بن عقبة بن أبي معيط والى الكوفة ، وصرفه عنها ، وتولية سعيد بن العاص
٢١٢	أبو أولؤة الجوسي غلام المغيرة بن شعبة ، وهو قاتل عمر رضى الله عنه	٢٢٥	أمر سعيد بن العاص في ولايته الكوفة
٢١٢	أولاد عمر بن الخطاب	٢٢٧	مبدأ إنكار الناس على عثمان ، وأسبابه
٢١٣	عمر وعبد الله بن العباس	٢٢٨	أبو ذر وعثمان ، ونفى أبي ذر إلى الشام ثم إلى الربرة
٢١٣	خبر وقعة نهاوند	٢٢٩	خروج أبي ذر وتوديع على ، أبي طالب إياه وتلاحى على مع مروان
٢١٥	عمر بن معد يكرب يصف قومه لعمر ابن الخطاب بطنا بطننا		ابن الحكم بسبب ذلك
٢١٧	عمر بن معد يكرب وريعة بن مكرم	٢٣٠	الحفاء بين علي وعثمان
٢٢١	ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه	٢٣٠	عمار بن ياسر والمقداد بن عمرو
٢٢١	تجمل تاريخه		يظاهران على بنى أمية ويعلمان حب آل الرسول

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٣١	قدوم الثائرين على عثمان من الأمصار	٢٤٤	دخول على البصرة ، وذكر أنصاره
٢٣٢	حصار الثوار دار عثمان		وقواد جيشه من الصحابة
٢٣٢	وصول محمد بن أبي بكر إلى عثمان	٢٤٥	دعاء على ربه قبل القتال
	أمام الثوار	٢٤٦	على يرسل إلى الخارجين عليه من
٢٣٢	وصول الثوار إلى عثمان بعد تسليقهم إليه		يدعوهم إلى السلم ، فيأبون
٢٣٣	مقتل عثمان ، وتاريخه ، ومدة حصاره	٢٤٦	عمار بن ياسر يدعو إلى حقن الدماء
٢٣٣	قتلة عثمان	٢٤٦	وصية على لأصحابه قبل القتال
٢٣٣	مدفن عثمان وذكر الذين صلوا عليه	٢٤٧	على يدعو الزبير إلى قتاله ، فإذا
٢٣٣	بيان الذين صلوا بالناس أيام حصار		التقيا ذكره بما قاله النبي صلى الله عليه
	الخليفة		وسلم له في شأنه ، فيعزم على ترك
٢٣٤	بعض ما قيل في مقتل عثمان		القتال ، ويأخذ الندم
٢٣٤	حسان بن ثابت وموقفه	٢٤٧	الزبير ينصرف عن القتال ، فيقوم
٢٣٦	ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي		ابنه عبد الله في وجهه يحجزه فيأبى
	الله عنه	٢٤٨	مقتل الزبير ، وما قيل فيه
٢٣٦	محمل تاريخه ، وبيان موضع قبره	٢٤٨	على يدعو طلحة إلى القتال ، فإذا
٢٣٦	نسبه من جهة أبيه ، ومن جهة أمه		التقيا عاتبه على خروجه وذكره بما
٢٣٦	إخوته ، وأمهاتهم		قال رسول الله فيه ، فيعزم على
٢٣٧	أوان مسيره إلى البصرة		الرجوع
٢٣٨	ثبت الحوادث في أيامه وتواريخها	٢٤٩	مقتل طلحة
٢٣٨	شهود وقائعه من الصحابة	٢٤٩	ترجمة طلحة بن عبيد الله
٢٣٨	القاعدون عن بيعته من الصحابة وبعض	٢٤٩	مقتل محمد بن طلحة ، وترجمته
	ما جرى بينهم	٢٥٠	بنو ضبة يحيطون بالجل ، فيموت
٢٤٠	عمرو بن العاص يعاهد معاوية على		منهم عدد حوله
	الانتصار له في مقابل توليته مصر	٢٥١	عبد الله بن الزبير والأشتر النخعي
٢٤٠	نصيحة المغيرة بن شعبة لعلي رضي الله عنه	٢٥١	خطبة طويلة لأمر المؤمنين على بن
٢٤١	رواية أخرى في شأن نصيحة المغيرة		أبي طالب بالبصرة
٢٤٢	ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه	٢٥٢	ابن عباس وعائشة أم المؤمنين
	وما كان فيه من الحرب وغيره	٢٥٣	امراة من عبد القيس تجدد ولديها
٢٤٢	مسير طلحة والزبير وعائشة		مقتولين
٢٤٣	مسير على من المدينة	٢٥٣	عمير بن الأهلب الضبي وشجاعته

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٣	عودة عائشة	٢٦١	شأن عبيد الله بن عمر بن الخطاب
٢٥٤	عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، يعسوب قریش	٢٦١	والسبب في خروجه على علي رضي الله عنه
٢٥٤	استيلاء على رضي الله عنه على أموال البصرة	٢٦١	ما كان في اليوم الخامس من أيام الحرب
٢٥٥	عبد الله بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة	٢٦١	ما كان في اليوم السادس
٢٥٥	عبد الله إلى معاوية	٢٦١	ما كان في اليوم السابع
٢٥٦	معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة	٢٦١	ما كان في اليوم الثامن
٢٥٧	ذكر جوائح مما كان بين أهل العراق وأهل الشام	٢٦٢	ما كان في اليوم التاسع
٢٥٧	مسير على رضي الله عنه إلى صفين ، ووقته	٢٦٣	مقتل عمار بن ياسر ، وترجمته
٢٥٧	عدة جيشه	٢٦٥	موقف حذيفة بن اليمان من علي ، ومقتل ولديه صفوان بن حذيفة وسعد بن حذيفة
٢٥٧	عدة جيش معاوية بن أبي سفيان ومنزله للقتال	٢٦٦	معاوية بن أبي سفيان والنعمان بن جبلة التنوخي أحد قواده
٢٥٨	معاوية يمنع جيش على من ورود الماء ، فيأمر على أصحابه أن يقتحموا إلى الماء وينزلوا عنده ويطردوا عنه جيش معاوية	٢٦٧	مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب
٢٥٩	جيش علي يرد الماء ويطرد عنه جيش معاوية	٢٦٨	على رضي الله عنه يخرض أصحابه
٢٥٩	اتفاق الفريقين على ترك القتال شهر المحرم	٢٦٨	على رضي الله عنه يدعو معاوية إلى القتال فيخرج له عمرو بن العاص فيرد عليا بكشف سوائته
٢٦٠	مبدأ القتال ، وذكر ما كان في اليوم الأول	٢٦٩	معاوية يحاول أن يمثل بعبد الله ، بدليل بن ورقاء الخزاعي فيمنعه عبد الله بن عامر
٢٦٠	ذكر ما كان في اليوم الثاني	٢٦٩	على رضي الله عنه يخرض أصحابه على غسان
٢٦٠	ذكر ما كان في اليوم الثالث	٢٧٠	ليلة المهزلة
٢٦٠	ذكر ما كان في اليوم الرابع	٢٧١	خديعة رفع المصاحف
		٢٧١	أهل العراق ينخدعون فيثورون على علي رضي الله عنه
		٢٧٢	الاختلاف في اختيار الحكم عن أهل العراق
		٢٧٣	ذكر الحكمين ، وبدء التحكيم

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧٣	اتفق القوم على المبدأ الذي يحكمان بمقتضاه ، وكتبوا بذلك صحيفة	٢٨٧	على يولى الأشر مصر فيدس له السم رجل بالعريش بإيعاز معاوية
٢٧٤	عدة القتلى أيام صفين	٢٨٨	بعض الفروق بين وقعتى صفين والجل
٢٧٥	اختلاف أهل العراق في التحكيم	٢٨٩	ذكر مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه
٢٧٥	الحرورية	٢٨٩	تعاهد ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص
٢٧٥	أول التقاء الحكيمين	٢٨٩	مسير عبد الرحمن بن ملجم إلى الكوفة لقتل على وزوله على ابنة عمه قطام وخطبته إياها
٢٧٦	وصية ابن عباس لأبى موسى	٢٩١	طلب أصحاب على منه أن يعهد بالخلافة فأبى
٢٧٦	الحكماني يكتبان كتاب التحكيم	٢٩١	وفاة على رضى الله تعالى عنه
٢٧٨	عمر و يقدم أبى موسى للكلام	٢٩٢	تركة على
٢٧٨	أبو موسى يتقدم فيخلع عليا ومعاوية ويرشح عبد الله عمر	٢٩٢	قتل ابن ملجم ، وبعض ما قيل في شأنه
٢٧٨	عمر و يخطب فيخلع عليا ويثبت معاوية	٢٩٣	رثاء أبى الأسود لعلى رضى الله عنه
٢٧٨	رواية أخرى في هذا الشأن	٢٩٤	مسير البرك التميمي لقتل معاوية
٢٨٠	مكر معاوية بعمر و بن العاص	٢٩٤	مسير زادويه بن عمرو بن بكر التميمي لقتل عم و
٢٨١	تأنيب على لأهل العراق ، وتخريصهم على الاستعداد للحرب	٢٩٥	معاوية يأمر بعض أنصاره أن يذيعوا في الناس أنه قتل ليلبلغ ذلك عليا
٢٨٣	ذكر حروب على مع أهل النهروان	٢٩٦	ذكر لمع من كلام على رضى الله عنه وأخباره وزهده
٢٨٣	الخوارج و فعلهم بالمدائن	٢٩٦	وصف الدنيا
٢٨٣	مسير على إلى النهروان والتقاؤه بالخوارج	٢٩٧	ضرار بن حمزة بعض خلاصان على يصفه لمعاوية ويذكر له من روائع كلامه
٢٨٤	موقعة الرملة	٢٩٩	ثقة على رضى الله عنه بما عند الله
٢٨٥	ذو الشدبة المخدج		
٢٨٥	غنائم على ، ودعوته أصحابه إلى الاستمرار على الحرب		
٢٨٦	بعض جيش على يرتدون عن الاسلام		
٢٨٦	على يرسل من يحارب المرتدين		
٢٨٧	عمر و بن العاص يسير الى مصر		
٢٨٧	مقتل محمد بن أبى بكر		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٩	دفاع ابن عباس عن علي وقد سمع قوما ينالون منه	٣٠٩	معاوية وعدي بن حاتم الطائي وكان من شيعة علي
٣٠٠	مقالة على صبيحة مقتله	٣٠٩	تنازع أسامة بن زيد وعمرو بن عثمان بن عفان إلى معاوية في أرض ققضى بها لأسامة خوفا من آل علي
٣٠٠	خطبة له في التزهيد في الدنيا	٣١٠	معاوية يلحق زياد ابن سمية بأبي سفيان
٣٠٠	جماع فضائله	٣١٠	سمية أم زياد وأمرها في الجاهلية
٣٠٢	ذكر خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما	٣١٠	سبب إلحاق معاوية لزياد
٣٠٢	وقت البيعة له	٣١١	شهادة أبي مريم السلولى على أبي سفيان
٣٠٢	ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه	٣١١	اعتراض يونس بن عبيد بن أسد على حكم معاوية بلحق زياد لأبي سفيان
٣٠٢	سم الحسن رضي الله عنه	٣١٢	عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمرو بن العاص يتلاحيان بين يدي معاوية فيشير عمرو على معاوية بقتله فلا يأخذ مشورته
٣٠٣	أمرأته جعدة بنت الأشعث هي التي سمته بإيعاز معاوية	٣١٤	عبد الله بن هاشم بن عتبة يفسر لمعاوية الجود والنجدة والمروءة
٣٠٣	النجاشي يرثي الحسن رضي الله عنه	٣١٤	كتاب من محمد بن أبي بكر وإلى مصر لعلي بن أبي طالب يرسله إلى معاوية بن أبي سفيان
٣٠٤	رثاء ابن الحنفية لأخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما	٣١٥	جواب معاوية على كتاب محمد بن أبي بكر
٣٠٥	سرور معاوية بموت الحسن بن علي وثأنيب عبد الله بن عباس إياه على ذلك	٣١٦	كتاب من معاوية إلى علي
٣٠٥	سرور معاوية بصلاح الحسن إياه	٣١٦	جواب علي على كتاب معاوية
٣٠٦	خطبة الحسن بن علي بعد صلحه لمعاوية	٣١٧	وقع معاوية بن أبي سفيان في علي ابن أبي طالب بمكة فنهزه سعد وذكر له بعض فضل علي
٣٠٦	خطبة للحسن في حياة أبيه ، وقد أمره أن يصلى الجمعة بالناس		
٣٠٦	خطبة أخرى للحسن بن علي		
٣٠٧	ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان		
٣٠٧	زمان بيعته ووفاته ، ومكان دفنه		
٣٠٧	ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله		
٣٠٧	مقتل حجر بن عدي السكندی		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣١٨	السيد الحميري الشاعر يمدح على بن أبي طالب	٣٢٥	تركة عمرو بن العاص
٣١٨	ذكر بعض القاعدن عن نصره على	٣٢٥	معاوية يولي زيادا البصرة
٣١٩	أبو الطفيل الكناني يصف لمعاوية	٣٢٥	غزاة الرادف
حزنه على على ويشتم بالعود عن نصره عثمان في حياته		٣٢٦	موت أبي أيوب الأنصاري
٣١٩	ضرار بن الخطاب يصف لمعاوية	٣٢٦	طاعون بالكوفة ، وموت المغيرة ابن شعبة به
حزنه على على		٣٢٦	المغيرة بن شعبة يخطب هند بنت النعمان ابن المنذر فلا يجيبه
٣١٩	كتاب من معاوية لقيس بن سعد	٣٢٧	زيد يجمع بين الكوفة والبصرة
ابن عبادة وكان عاملا على مصر أيام حرب على ومعاوية		٣٢٧	حاول معاوية نقل منبر النبي إلى الشام
٣١٩	جواب قيس بن سعد على كتاب معاوية	٣٢٧	اجتمع لزيد ولاية الحجازين والعراقيين ، ثم مات
٣١٩	قيس بن سعد والانصار عند معاوية	٣٢٨	زيد يحرص الناس بالكوفة على سب على ويقتل من لا يطيعه
٣٢٠	ورع قيس بن سعد	٣٢٨	وفود الأماصار على معاوية ، وأخذه البيعة لابنه يزيد من بعده
٣٢٠	عتب عمرو بن العاص على معاوية بأنه كثير التردد	٣٣٠	ذكر جمل من أخلاق معاوية وسياسته
٣٢٠	شجاعة العباس بن ربيعة	٣٣٠	كان معاوية يأذن في كل يوم وليلة خمس مرات
٣٢٣	برز معاوية للقتال في يوم من أيام صفين فتقدم على لحربه ، فلما عرفه معاوية ولى الأدار	٣٣٢	إحكام معاوية للسياسة وأمثلة منه
٣٢٣	قدوم عمرو بن العاص من مصر على معاوية	٣٣٣	أمثلة من بلاهة أهل الشام وتسليمهم لمعاوية
٣٢٣	نظام تعبئة على لجيوشه	٣٣٤	كان بنو أمية يزعمون لأهل الشام أنهم ورثة رسول الله
٣٢٣	معاوية يرسل بسر بن أرطاة لقتال أهل المدينة ثم لقتال أهل مكة واليمن	٣٣٤	بعض أخلاق العامة وعدم اهتمامهم لوجه الصواب
٣٢٤	اجتمع معاوية وعمرو بن العاص ووردان غلام عمرو وفتداكروا مابق لهم مما يشتهونه	٣٣٦	تأثير العادة
٣٢٥	وفاة عمرو بن العاص	٣٣٦	وفد عقيل بن أبي طالب على معاوية في حياة على

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٣٧	معاوية يسأل علقمة بن أبي طالب عن	٣٤٥	صعصعة ورجل من فزارة
	بنى صوحان فيجيبه	٣٤٦	مقتل عبد الله بن وهب الراسبي
٣٣٧	كتاب من صعصعة بن صوحان إلى	٣٤٧	على يمدح ربيعة
	عقيل بن أبي طالب	٣٤٧	معاوية يأمر جميل بن كعب الشعلي
٣٣٨	على بن أبي طالب يستشير وجوه	٣٤٧	احتضار معاوية
	أصحابه في شأن معاوية	٣٤٩	ذكر الصحابة ومدحهم
٣٣٩	صعصعة بن صوحان رسول على بن	٣٤٩	معاوية يسأل ابن عباس عن أبي
	أبي طالب إلى معاوية بكتاب على		بكر فيجيبه
٣٤١	معاوية يسأل صعصعة بن صوحان	٣٤٩	ويسأله عن عمر فيجيبه
	عن بطون العرب فيجيبه	٣٤٩	ويسأله عن عثمان فيجيبه
٣٤٢	صعصعة بين يدي معاوية	٣٤٩	ويسأله عن علي فيجيبه
٣٤٣	صعصعة عند عبد الله بن عباس	٣٥٠	ويسأله عن أبيه العباس فيجيبه ثم يذكر
	يجيبه عن المنكرام		له فضل الصحابة جميعا



مركز الوثائق والبحوث



30018000012011

المكتبة

